المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه



مجلة الدراسات القرآنية

مجلة علمية دوريّة محكّمة

موضوعات العدد السادس

جمادى الأول ١٤٣١هـ
مايو ٢٠١٠م

- العقد الثمين في بيان (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) - تحقيق ودراسة.
- الماء النازل من السماء في ضوء القرآن الكريم.
- التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم.
- علم القراءات عند شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ما أعربه ابن كيسان من القرآن الكريم - جمعاً ودراسةً .

ردمد ٣٥١٥-١٦٥٨
ISSN.١٦٥٨-٣٥١٥
رقم الإيداع ١٤٢٨/٢١٩٠



قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات القرآنية مجلة دورية تصدر عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه. وتعنى بالبحوث العلمية، وفق الأمور الآتية:

- أن يكون البحث متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- أن تتحقق له السلامة اللغوية.
- مراعاة علامات الترقيم.
- ألا يكون قد سبق نشره.
- ألا يكون مستلاًّ من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.
- توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلاً ، وتضبط الحواشي آليا لا يدوياً .
- تثبت المصادر والمراجع في فهرس يلحق بآخر البحث.
- توضع نماذج من صور الكتاب المخطوط الملحق في مكانها المناسب.
- ترفق جميع الصور والرسوم المتعلقة بالبحث واضحة جلية.
- ألا تزيد صفحات البحث عن ثمانين صفحة (A٤) ولا تقل عن عشرين صفحة.
- أن يكون خط الأصل (١٨) وخط الهامش (١٤) ، ونوع الخط (Arabic Traditional).
- تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .

- يرفق الباحث ثلاث نسخ مطبوعة، مع ملخص لا يزيد على صفحة واحدة.
- تُحكَّم البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل.
- تُعاد البحوث معدلة على قرص حاسوبي.
- لا تعاد البحوث والدراسات إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- للمجلة الحق في نشر البحث على الموقع الإلكتروني للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بعد إجازته للنشر.
- يُعطى الباحث نسختين من المجلة وخمس مستلات من بحثه.

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم
رئيس هيئة التحرير على النحو التالي:

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص. ب: ١٧٩٩٩ الرياض: ١١٤٩٤
هاتف وناسوخ ٢٥٨٢٧٠٥
البريد الإلكتروني: quranmag@gmail.com

عنوان الجمعية
ص - ب: ١٧٩٩٩ - الرياض - ١١٤٩٤ هاتف: ٢٥٨٢٦٩٥ - ٢٥٨٢٧٥٣

موقع الجمعية
www.alquran.org.sa

*　　*　　*

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً ، طيباً مباركاً، وصلاة وسلاماً على نبي الهدى والتقى، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأخيار وبعـــد :

ها هي الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه **(تبيان)** تسابق الزمان، وتضاعف الجهد ، لتضع بين يدي الباحثين ، والقراء المحترمين العدد السادس من مجلتها : مجلتكم العلمية (مجلة الدراسات القرآنية) وهي المجلة العلمية المحكمة ، التي بدأت سنوية ، وتقدمت إلى فصلية ، بفضل الله ومعونته، ثم بثقة الباحثين بها، وتسابقهم لها، وحرصهم على النشر فيها، حيث تخطت المحلية إلى العالمية، وأصبحت تتلقى البحوث من مختلف أنحاء العالم من سوريا، والجزائر، والمغرب، والسويد، وماليزيا، وغيرها، شاكرين لهم ثقتهم بالمجلة، والقائمين عليها، ولازلنا في هذه المجلة، وسنظل نأمل من الباحثين وندعوهم إلى انتقاء الموضوعات الحية، والمهمة، التي تجمع الجدة والجودة، وتقدم للقارئ ما يعينه ويفيده، ويسد حاجته، من جديد الموضوعات، وعميق الدراسات، وما يخدم التخصص، ويثري المعرفة .

فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتتحقق النجاحات ، والشكر له سبحانه أولاً، وآخراً، ظاهراً وباطناً. والشكر موصول ومخصوص لخادم الحرمين الشريفين **الملك / عبد الله بن عبد العزيز**، وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي **الأمير / سلطان بن عبد العزيز**، والنائب الثاني صاحب السمو

الملكي **الأمير نايف بن عبد العزيز** ، وصاحب السمو الملكي **الأمير / سلمان بن** عبد العزيز، أمير منطقة الرياض، ورئيس شرف أعضاء الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، فلهم خالص الدعاء، وجزيل الثناء على دعم الجمعية، والمجلة ، وتشجيعها، ودعم النشاط العلمي في المملكة العربية السعودية. والشكر موصول لمعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية **الأستاذ الدكتور / سليمان بن عبد الله ابا الخيل** على تشجيعه للمجلة، ودعمه للجمعية، ولجميع العاملين جزيل الشكر، والدعاء بعظيم الأجر .

نسأل الله الهدى والرشاد في القول، والعمل، والاعتقاد .

رئيس تحرير المجلة

أ . د / محمد بن عبد الرحمن الشايع

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١	العقد الثمين في بيان (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) – تحقيق ودارسة– . **د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل**	١٣
٢	الماء النازل من السماء في ضوء القرآن الكريم **د. سلمى داود إبراهيم بن داود**	٨٧
٣	التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم **د. ناصر بن محمد آل عشوان**	١٥٩
٤	علم القراءات عند شيخ الإسلام ابن تيمية **د. عبدالله بن حماد بن حميد القرشي**	٢٠٧
٥	ما أعربه ابن كيسان من القرآن الكريم – جمعاً ودراسةً – **د. سليمان بن عبدالعزيز العيوني**	٣٢٥

العِقْدُ الثَّمِين
في بيان : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾

تأليف: محمّد بن محمّد اللّبّان الإسكندري الشّافعي

(ت ١٣٠١هـ)

تحقيق ودراسة

د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

د. تركي بن سعد بن فهيد الهويمل

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بأطروحته (ترجيحات الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان من أول سورة مريم إلى آخر سورة المؤمنون - جمع ودراسة).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بأطروحته (خواص القرآن الكريم - دراسة نظرية تطبيقية)

المقدمـة

إن الحمـد لله، نحمـده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مـن يهـده الله فـلا مضـل لـه، ومـن يضـلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأشـهد أن محمـداً عبده ورسوله، صلى الله عليـه وآلـه وصـحبه، وسـلم تسـليماً كثيراً إلى يـوم الدين... أما بعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله جل وعلا، لا يأتيه الباطل مـن بـين يديـه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أنزله الله تعالى على رسوله ^ هداية للناس ورحمة، ومرشـداً إلى الصراط المسـتقيم، وتكفـل الله بحفظـه إلى يـوم القيامة، قال تعالى:] g h i j k l m Z [سورة الحجر: ٩].

وقد يسر الله – عز وجل – أن وقفت على مخطوط قيِّم في تفسير آيـات من القرآن الكريم، بديع في موضوعه وعرضه، يمتاز بوضوح المعنى، ودقة التعبير، وجودة الصـياغة، ويشـتمل عـلى جملـة مـن علـوم القـرآن الكـريم، عنوانه: «**العقد الثمين في بيان وإذ أخذ الله ميثاق النبيين**» لمحمـد بـن محمـد اللبان الشافعي.

فاستخرت، واستشرت، ثـم عزمـت وعـلى الله ربي توكلـت، رغبـة في دراسـة وتحقيـق هـذا العقـد الثمـين، وإخراجـه للبـاحثين، وخدمـة لتراثنـا الرصين، ونهوضاً بهمة المستفيدين، وتقديمه في صورة تتيح الإفـادة منـه في يسر وسهولة.

وجعلت عملي في هذا المخطوط على قسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول، اسمه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: مكانته.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: وفاته.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه.

المطلب الثاني: سبب التأليف.

المطلب الثالث: وصف المخطوط، ومكان وجوده.

المطلب الرابع: موضوع المخطوط، وقيمته العلمية.

القسم الثاني: النص المحقق.

منهج التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذا المخطوط (الكتاب) المنهج الآتي:

- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع بيان أرقامها وعزوها إلى سورها.
- تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه منهما، وإذا كان في غيرهما أخرجه من المصادر الأخرى المعتمدة، مع ذكر أقوال أهل العلم فيه والحكم عليه.
- تخريج الآثار الواردة في النص.
- الاعتماد في التحقيق على النسخة الفريدة التي سيأتي الكلام عنها.
- توثيق الأقوال والآراء المنسوبة إلى القائلين بها من مؤلفاتهم، أو من المصادر المعتمدة.
- ضبط الكلمات المشكلة والغريبة من مصادرها المعتبرة.
- شرح المفردات اللغوية الغريبة.
- التعليق بذكر ما يستدعيه المقام من مزيد بيان، أو إضافة مناسبة، تخدم المعنى وتوضحه في النص المحقق.
- التعريف بالأعلام غير المشهورين.
- كتابة النص حسب قواعد الإملاء والرسم المتعارف عليها في الوقت المعاصر.

هذا، وقد سرت على هذا المنهج من أجل إخراج النص كما أراده

المؤلف، إخرجاً صحيحاً سليماً من الأخطاء اللغوية والإملائية، سائلاً المولى – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وفي خدمة كتابه، وسنة نبيه محمد ^ .

والحمد لله رب العالمين.

القسم الأول

قســـــم الدراســــــة

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته.

هو محمد بن محمد اللبان الشافعي الإسكندري، ولد سنة (١٢٥٤)هـ في مدينة الإسكندرية، وبها نشأ، وأخذ مناهج الجد والعمل إلى أن بلغ العمر منتهاه.

المطلب الثاني: مكانته:

اشتغل بالعلم منذ نشأته، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم العلوم الدينية والعربية، ثم عُيِّن في مسجد إبراهيم باشا، وكان من المشتغلين بالعلم، شريف النفس، ورعاً عفيفاً أديباً طريفاً ناظماً ناشراً.

المطلب الثالث: مؤلفاته:

نسبت إليه كتب التراجم طائفة من الكتب التي قام بتأليفها، منها:

١ – باقة الريحان فيما يتعلق بليلة النصف من شعبان، فرغ من تأليفها في الخامس من شعبان (١٢٨٦)هـ (مطبوع)، ويقع في (١٣) ورقة من المقاس الصغير، المطبعة العامة الشرفية ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م.

٢ – العقد الثمين في بيان: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) وهو موضوع تحقيق كتابنا هذا[(١)].

---

(١) ينظر: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، لزكي محمد مجاهد ١/٣٩٧، وفهرس =

٣ – نظم متن التهذيب في المنطق مع غاية التهذيب. لم أقف عليه.
٤ – ديوان خطب (لم يتم)، ولم أقف عليه[١].

المطلب الرابع: وفاته:

كانت وفاته – رحمه الله – في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من صفر، سنة (١٣٠١)هـ عن سبع وأربعين سنة، ودفن في مقبرة عامود السواري بالإسكندرية[٢].

= مؤسسة آل البيت ٢/ ٨١٥، وفهرس مصنفات تفسير القرآن الكريم ٢/ ٩٨٢، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٦٦٨، ومقدمة باقة الريحان (ص ١).

(١) ينظر في ذكر هذين الكتابين للمؤلف: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، لزكي محمد مجاهد ١/ ٣٩٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٦٦٨، ومقدمة باقة الريحان (ص١).

(٢) ينظر للزيادة في ترجمة المؤلف والتعريف به: مقدمة باقة الريحان (ص ١)، والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، لزكي محمد مجاهد ١/ ٣٩٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٦٦٨.

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسم المخطوط، ونسبته إلى مؤلفه.

كتب في صفحة العنوان: «هذا العقد الثمين في بيان وإذ أخذ الله ميثاق النبيين. تأليف العالم العلامة، والبحر الفهامة، شيخنا الشيخ محمد اللبان الشافعي».

وهذا العنوان صرح به المؤلف في مقدمة كتابه هذا، كما سيأتي في سبب تأليفه، كما أنه مدون على غلاف نسخة المخطوط – كما تقدم – في صفحة العنوان.

وذكره – أيضاً – بهذا العنوان عدد ممن ترجم للمؤلف[1] – رحمه الله -.

وأما نسبة الكتاب (المخطوط) إلى المؤلف فلا شك أن هذا المخطوط من تأليف محمد اللبان الشافعي – رحمه الله – لعدة أمور منها:

١ – التصريح باسم المؤلف على صفحة العنوان، بعد ذكر اسم المخطوط مباشرة.

٢ – أن هذا الكتاب نسبه إليه عدد ممن ترجم للمؤلف، وممن كتب في معاجم المؤلفين، وفهارس مصنفات كتب التفسير[2].

---

(١) ينظر: مقدمة باقة الريحان (ص ١)، والأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، لزكي محمد مجاهد ١ /٣٩٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣ /٦٦٨.

(٢) ينظر: فهرس مؤسسة آل البيت (مخطوطات التفسير وعلومه) ٢ /٨١٥، وفهرس مصنفات =

المطلب الثاني: سبب التأليف:

سبب تأليف هذا المخطوط هو ما صرح به المؤلف – رحمه الله – في مقدمة كتابه حيث قال:

« فإني كنت قرأت مرة مولد البشير النذير، للعارف بربه سيدي أحمد الدردير، ثم عاودت قراءته مرة أخرى......، وكان في هذا ...... إشارة إلى آية] k l m n o Z، وكنت أحتاج إلى مراجعة بعض التفاسير لما أنَّه لم يستوف الكلام عليها مَنْ كَتَب عليه من المحشِّين، فأحببتُ أن أجمع مما اطلعت عليه من التفاسير، وما عثرتُ عليه من الكتب والتقارير، عرائسَ مخدَّرة، وحُللاً مُحبَّرة، وسمَّيتها بالعقد الثمين في بيان] k l m n o Z، ومع مُعاناة الأَيْنِ في تحريرها، ومُداناة الحَيْن في تحبيرها، لم أخْلُ من بغيض جاهل، أو حسودٍ مُتجاهل، يقول إذا عثرَ على أنيقِ ما جمعته، وبديعِ ما اخترعتُه: قد جمع فما أجاد، وقال فما أفاد، فأنْشِدُهُ بيتاً بَرَّد الغليل، وشفى العليل:

وكَمْ عائبٍ لَيْلَى ولم يَرَ وجْهَهَا

فقال له الحِرْمَانُ حَسْبُكَ يا فتى

والله المسؤول، أن يُتمِّم لنا المأمول، إنه سميع بصير، وبعباده لطيف خبير »(١).

= تفسير القرآن الكريم (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف) ٢/ ٩٨٢.

(١) ينظر: المخطوط (ق [٢أ، ٢ب]، كما سيأتي بيانه – إن شاءالله – في قسم التحقيق.

المطلب الثالث: وصف المخطوط، ومكان وجوده.

بعد البحث والنظر لم أجد إلا نسخة واحدة فريدة لهذا المخطوط، وقد كتبت بخط نسخي واضح ومعتاد، وقد نص الناسخ في آخر المخطوط على أنه تم نسخها في ستة عشر ربيع الأول سنة (١٢٧٩)هـ على يد كاتبها الفقير محمد أحمد أبو حجر.

وهذه النسخة تقع في (١٠) ورقات، وكل ورقة تشتمل على وجهين، وعدد الأسطر (٢١) سطراً، والمقاس ٢٥ × ١٧سم، وبعض العناوين مكتوب بالحمرة.

وتوجد هذه النسخة في المكتبة المركزية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم المخطوطات، تحت الرقم الآتي:

١٥٣/٢ [٦٣٠] – ١٠ و – ١٢٧٩هـ.

المطلب الرابع: موضوع المخطوط، وقيمته العلمية.

موضوع البحث في هذا المخطوط عن بيان قوله تعالى:] k l m n o Z [سورة آل عمران: ٨١، ٨٢].

وهي أول رسالة للمؤلف محمد اللبان – حسب الاطلاع – تخرج في التفسير، فأحببت أن يُعرف المؤلف، ويعرف – أيضاً – منهجه في التفسير ولو من خلال هذه الرسالة التفسيرية.

وقد أكثر اللبان النقل عن عدد من المصادر في التفسير وعلوم القرآن

الكريم، واللغة العربية، والبلاغة، فكانت معيناً في البحث على تحصيل الفائدة العلمية بالرجوع إلى تلك المصادر القيمة.

ومن ذلك على سبيل المثال: تفسير ابن جرير الطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومغني اللبيب لابن هشام، وجملة من حواشي اللغة العربية، مثل: حاشية الصبان، وحاشية الأشموني، وحاشية الأمير، بالإضافة إلى عدد من كتب اللغة والبلاغة والبيان وغير ذلك.

وقد تعرض في هذا المخطوط – أيضاً – إلى أقوال المفسرين، وذكر المكي والمدني، وترتيب السور والآيات، والقراءات القرآنية، وذلك من خلال تفسيره لهذه الآيات القرآنية، وبيان النكات المتعلقة بأساليب القرآن الكريم المنيفة، كما نص على ذلك المؤلف في مقدمة المخطوط.

وسيتضح ذلك جلياً من خلال النظر في النص المحقق – إن شاءالله – والله المستعان.

القسم الثاني

النـــــص المحقـــــق

/ [٢أ] بسم الله الرّحمن الرّحيم

وبه نستعين .

أحمدك يا من كشف لأوليائه وجوهَ التّحقيق، فما احتاجوا بَعْدُ إلى كَشَّاف، وأَرْشَفَهُمْ من بحر فُيُوضه اللَّدُنِّيَّة فاستغنوا عن النَّهْر غِبَّ ذلك الارْتِشَاف[١]، وأصلّي وأسلّم على من تُلِيَتْ عليه الآياتُ والذِّكْرُ الحكيم، سيّدِنا محمّدٍ المخصوصِ بجوامع الكَلِمِ ذي النَّبَإ العظيم، وعلى آله وأصحابه ما فُسِّرَ كتاب، وأُمِيطَ عن عَرُوسِ معنىً جِلْبَاب.

وبعد :

فإنّي كنت قرأتُ مرّةً مولد البشير النّذير، للعارف بربِّه سيّدي أحمد الدَّرْدِير[٢]، ثمّ عاودتُ قراءتَه مرّةً أخرى بإشارة شَقِيقِ النُّعْمان، وعَضُدِ سُرَّتَيْ جُرْجَان[٣]

(١) في قوله: «أحمدك يا من كشف لأوليائه وجوه التحقيق، فما احتاجوا بعدُ إلى كشاف، وأرشفهم من بحر فيوضه اللدنية فاستغنوا عن النهر غبّ ذلك الارتشاف...».
في هاتين العبارتين لا يستقيم الكلام بهذا الإطلاق؛ لأن فيه إشارة إلى مذهب المتصوفة الغلاة، ففيه دعوى الكشف الذي يزعمون فيه الاستغناء عما جاء عن طريق النبوة والرسالة، وادعاء العلم اللدنّي. أي: استمداد العلم من الله مباشرة دون الحاجة إلى الأخذ عن النبي ^ ، وما جاء عن طريق الوحي.

(٢) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي، الأزهري، الشهير بالدردير، أبو البركات، فقيه، مشارك في بعض العلوم، من صعيد مصر، من تصانيفه: الشرح الكبير على مختصر خليل، رسالة في متشابهات القرآن، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (١٢٠١)هـ. ينظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ١/٢٤٢، وعجائب الآثار للجبرتي ٢/١٤٧.

(٣) جُرجَان: بالضم وآخره نون، مدينة مشهورة عظيمة، بين طبرستان وخراسان، وقيل: إن أول =

وتَفْتَازَان[١]، قُطْب مدار التّحقيق، ومَطْلَع شمس التّدقيق، أستاذ الأستاذين، شيخنا الشّيخ مصطفى عابدين[٢]، وكان في هذا المولد إشارةٌ إلى آية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّين﴾[٣]، وكنت أحتاج إلى مراجعة بعض التّفاسير لما أنّه لم يستوف الكلام عليها مَنْ كَتَبَ عليه من المُحَشِّين، فأحببتُ أن أجمع ممّا اطّلعتُ عليه من التّفاسير، وما عثرتُ عليه من الكتب والتَّقارير، عَرَائِسَ مُخَدَّرَة، وحُلَلاً مُحَبَّرَة، وسمّيتها بالعِقْد الثّمين في بيان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّين﴾، ومع مُعاناة الأَيْنِ[٤] في تَحْريرها، ومُداناة الحَينِ[٥] في تَحْبيرها، لم أَخْلُ من بغيض جاهل، أو حَسُودٍ مُتَجاهل، يقول إذا عَثَرَ على أَنِيقِ ما جمعتُه، وبديعِ ما اخترعتُه: قد جمع فما أجاد، وقال فما أفاد، فأُنْشِدُهُ بَيْتًا[٦] بَرَّدَ الغَلِيل، وشَفَى العَلِيل :

= من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق كثير من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٣/ ٤٢.

(١) تَفْتَازان: بعد الفاء الساكنة تاء أخرى، وألف وزاي، قرية كبيرة جهة خراسان، وقد خرج منها خلق كثير من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/ ٤٤٧.

(٢) بحثت عن ترجمته فلم أقف عليها في مظانها؛ ولعل ذلك بسبب عدم ذكر مشايخ المؤلف عند من ترجم له.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٤) الأَيْن: الإعياء والتعب، آن يئين أيْناً، ينظر: تهذيب اللغة، مادة (أين) ١٥/ ٥٥٠، والصحاح ٥/ ٢٠٧٦، ولسان العرب ١٣/ ٤٤.

(٥) قال في القاموس: الحِين بالكسر: الدهر...، والحَيْنُ: الهلاك. ينظر: القاموس المحيط (ص١١٩٢).

(٦) بحثت عن البيت فلم أقف على قائله، وقد ذكره ابن عجيبة الحسيني في كتابه: الفتوحات الإلهية (ص ١٨)، والعبارة فيه: فقال له الحرمان حسبك ما فاتا.

وكَمْ عَائِبٍ لَيْلَى ولم يَرَ وَجْهَـهَا

/ [٢ب] فقال له الحِرْمَانُ حَسْبُكَ يا فَتَى

والله المسؤُول، أن يُتَمِّمَ لنا المأمُول، إنّه سميع بصير، وبعباده لطيف خبير.

قــال الله ـ وهــو أصــدق القــائلين ـ: ﴿وَإِذْ أَخَــذَ اللهُ﴾ إلى قولــه: ﴿الفَاسِقُونَ﴾[(١)] :

الكلام على القرآن من حَيْثُ تفسيرُه وبيانُ النّكاتِ المتعلّقةِ بأساليبه المنيفة، وتراكيبه الشّريفة، على الوجه الأكمل ممّا ليس في طَوْقِ البشر، وربّما أَوْجَبَ التَّعَرُّضُ لذلك طُولاً لا مزيدَ عليه؛ فقد قال عليّ رضي الله عنه: « لو شئتُ أن أُوقِرَ سبعين بعيرًا من تفسير سورة الفاتحة لفعلتُ »[(٢)].

وأُوقِرَ : بضمّ الهمزة وسكون الواو بعدها وكسر القاف، معناه أَحْمِل[(٣)]، ولكن ما لا يُدْرَكُ كلُّه لا يُتْرَكُ كلُّه؛ فَلنَتَعَرَّضْ لبعض ذلك بحسب ما يفتح الله به ويرشد إليه فنقول :

---

(١) [k l m n o p q r s t u v w x y z { | } قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ ´ µ ¶ ¸ ٱلۡفَٰسِقُونَ Z سورة آل عمران، الآيتان: ٨١، ٨٢.

(٢) ينظر: مقدمة البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ /١٠١، والعبارة فيه: «لو أردت أن أُملي وِقْر بعير على الفاتحة لفعلت».

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، مادة (وقر) ٩ /٢٧٩، ومقاييس اللغة ٦ /١٣٢، ولسان العرب ٥ /٢٨٩.

هذه الآية بل جميع السُّورة التي هي آلُ عِمْرَانَ مَدَنِيَّةٌ[١].

قال في الإتقان: «وللنّاس في المكِّيِّ والمَدَنِيِّ اصطلاحاتٌ ثلاثةٌ:

أشهرها: أنّ المكِّيَّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعدها، سواء نـزل بالمدينة أو بمكّة، عام الفتح أو حجّة الوداع، أو في سفر من الأَسْفار.

ثانيها: أنّ المكِّيَّ ما نزل بمكّة ولو بعد الهجرة، والمدنيّ ما نزل بالمدينة.

وعلى هذا تَثْبُتُ الواسطة[٢]؛ فما نـزل في الأَسْـفار لا يقـال لـه مكّـيٌّ ولا مدنيٌّ.

ثالثها: أنّ المكّيّ ما وقع خطابا لأهل مكّة، والمدنيّ ما وقع خطابـا لأهـل المدينة»[٣] اهـ.

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العزيز (تفسير عبدالرزاق) ١/ ١٢٣، والوسيط للواحدي ١/ ٤١١، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٩٦، وقال: «هذه السورة مدنية بإجماع فيما علمت»، ونقل الإجماع -أيضاً- القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٥، والبقاعي في مصاعد النظر ٢/ ٦٤. وينظر للزيادة: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٨٠، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٥١.

(٢) لعل المراد، أي: يوجد قسم ثالث لا يوصف بأنه مكي أو مدني. (مكي ما نزل بمكة، مدني ما نزل بالمدينة، ليس بمكي ولا مدني ما نزل بالأسفار). ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ١٩٦.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٤٥، ٤٦، وقد أورده -أيضاً- الزركشي في البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧٣، ٢٧٤.

وخلاصة القول في هذه المسألة (اصطلاح المكي والمدني):

أن للعلماء في تعيين المكي والمدني ثلاثة اصطلاحات بني كل واحد منها على اعتبار خاص:

الأول: اعتبار مكان النزول، فالمكي ما نزل بمكة وما جاورها كمنى، وعرفات، والحديبية، ولو كان ذلك بعد الهجرة.

=

= والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأحد، وقباء، وسلع.
وقد اعترض على هذا الاصطلاح بأنه غير حاصر، ولا مطرد، فهناك من القرآن الكريم ما نـزل في غير مكة والمدينة كالذي نزل عليه في أسفاره وغزواته ^ .
الثاني: اعتبار المخاطب، فالمكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة. فما كان في القرآن الكريم:] l m Z فهو مكي، وما كان في القرآن الكريم:] 3 4 5 Z فهو مدني.
وقد اعترض عليه بأنه غير ضابط ولا حاصر، وأنـه غـير مطـرد، فهنـاك آيـات كثـيرة في القـرآن الكريم لم تفتتح بأحد الخطابين؛ وأن هذا الضابط لا يطرد، فسورة البقرة مدنية، وفيها:] l m n o p q r s t u v Z [سورة البقـرة: ٢١]، وقولـه تعـالى:] **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ** Z [سورة البقرة: ١٦٨]، وسورة النساء مدنية وأولهـا:] ! " # $ Z [سـورة النساء: ١].
وسـورة الحـج مكيـة، وفيهـا:] e f g h i j k Z [سورة الحج: ٧٧]، والقرآن الكريم هو خطاب الله تعالى للخلق أجمعين.
الثالث: اعتبار زمن النزول، فالمكي ما نزل قبل الهجرة، وإن كان بغير مكة، والمدني ما نزل بعـد الهجرة، وإن كان بغير المدينة.
وهذا الاصطلاح الثالث في التفريق بين المكي والمدني المبني على اعتبـار الزمـان هـو الاصـطلاح الأشـهر، والـذي عليـه جمهـور العلـماء، وهـو أولى مـن الاعتبـارين السـابقين؛ وذلـك لحصره، وضبطه، واطراده، فلا يخرج عنه شيء من آيات وسور القرآن الكـريم، بخـلاف الاصـطلاحين والاعتبارين السابقين، والله تعالى أعلم.
ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/ ٢٧٣، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٤٦، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١/ ١٩٥، والمدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص ٢٢١)، ومباحث في علوم القـرآن للقطـان (ص ٤٥)، والمكـي والمـدني في القـرآن الكـريم للأسـتاذ الـدكتور: محمـد بـن عبـدالرحمن الشـايع (ص ٧)، والمكـي والمـدني في القـرآن الكـريم لعبدالرزاق حسين أحمد ١/ ٤٢.

والصّحيح أنّ ترتيب السُّوَرِ والآياتِ على هذا الوجه المعروف والنّظام المألوف تَوْقِيفيٌّ.

وأمّا ما كان في بعض مصاحف الصّحابة كابن مسعودٍ / [٣أ] من تقديم بعض السُّوَر على بعض ونحوه فإنّما هو لعدم علمه بنسخ ترتيب مصحفه بهذا التّرتيب[١].

(١) تعددت أقوال أهل العلم في حكم ترتيب سور القرآن الكريم:

قال بعضهم: إن ترتيب السور القرآنية توقيفي من النبي ^ ، وممن قال به النحاس، وابن الأنباري، والكرماني وغيرهم.

وقال بعضهم: إنه اجتهادي من الصحابة – رضي الله عنهم – وقد نسب هذا القول إلى جمهور أهل العلم.

وقال بعضهم: إن ترتيب بعض سور القرآن الكريم توقيفي، والبعض الآخر اجتهادي من الصحابة – رضي الله عنهم -.

وقال آخرون: إن الخلاف بين أهل العلم في ذلك لفظي، وليس خلافاً جوهرياً. كما ورد ذلك عن ابن الزبير الغرناطي، والزركشي في النوع الرابع عشر (معرفة تقسيمه بحسب سوره، وترتيب السور والآيات).

والصواب – والعلم عند الله تعالى – القول بتوقيف ترتيب سور القرآن الكريم عن النبي ^ ، فقد دلت النصوص على ترتيب سور القرآن الكريم، وأجمع الصحابة – رضي الله عنهم – على ترتيب مصحف عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ولم يخالف في ذلك أحد منهم – رضي الله عنهم – وما ذكر من اختلاف مصاحف بعض الصحابة قد يكون قبل علمهم بالتوقيف؛ فلما بلغهم ذلك رجعوا عن ترتيب مصاحفهم، ووافقوا ترتيب مصحف عثمان – رضي الله عنه -.

ينظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ٢ / ٤٠٠، البرهان في ترتيب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي (ص ١٨٢)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٥٤، والإتقان في علوم القرآن ٢ /٣٧٧، ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ١ / ٣٥٤، ومقدمتان في علوم القرآن (ص ٦٢)، والمدخل لدارسة القرآن الكريم لأبي شهبة (ص ٢٨٥)، ومدخل إلى علوم القرآن والتفسير، للدكتور فاروق حمادة (ص ١١٥).

والمناسبة بين هذه الآية والتي قبلها[1]:

لزومُ مضمون الأولى وهو عدم الأمر باتّخاذ الملائكة والنّبيّين أربابا لمضمون الثّانية الذي هو أَخْذُ الله الميثاقَ على النّبيّين بالإيمان بالرّسول الذي يجيئهم مصدّقا لما معهم من الكتاب والحكمة.

ووجه اللّزوم:

أنّ الله تعالى لم ينزل كتابا ولم يرسل رسولا إلاّ بالتّوحيد، ويلزم من أخذ الميثاق بما ذكر الأمر به أي بالتّوحيد، وهو يقتضي عدم الأمر بخلافه بل النّهي عنه.

فإن قلتَ: حينئذ كان الواجبُ تقديم الثّانية على الأولى؛ لأنّ الملزوم مُقَدَّمٌ طَبْعًا فيقدّم وَضْعًا.

قلتُ:

نعم، لكن لمّا كانت هذه كالدّليل لتلك فكأنّه قيل: انتفى الأمر باتّخاذ إلخ[2] بدليل أخذ الميثاق المذكور، حَسُنَ تأخيرُها عنها[3].

﴿وَإِذْ﴾ :

---

(1) وهي قوله تعالى: [\ ] ^ _ ` a b d e f g h i Z [سورة آل عمران: ٨٠].

(2) لعل مقصوده ما ورد في العبارة أعلاه (باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً) والله أعلم.

(3) ينظر للزيادة في المناسبة بين هذه الآية والتي قبلها:
التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للرازي (٨/٢٧٣، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٢/١١٩، وتناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص٧١).

قال البيضاوي(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٢) ما نصّه:

« **وإذ** : ظَرْفٌ وُضِعَ لزمان نسبةٍ ماضيةٍ وقع فيه أخرى، كما وضع (إذا) لزمان نسبةٍ مستقبلة يقع فيه أخرى؛ ولذلك يجب إضافتهما إلى الجمل كحيث في المكان، وبنيتْ تشبيها بالموصولات، واستعملت للتّعليل والمجازاة » (٣).

وقوله: « لزمان نسبة » المراد بها ما تضمّنته الجملة المضاف إليها.

وقوله: « أخرى » أي نسبة أخرى.

والمراد بها ما تضمّنه العاملُ في « إذ ».

والمراد النّسبة ولو باعتبار التّأويل ليصدق بهما إذا كان العاملُ / [٣ب] مُفْرَدًا مُؤَوَّلاً بالجملة كما سيأتي.

وقوله: « والمجازاة »(٤) لعلّ المراد به ما ذكره في « المغني » (٥) مقابلا

---

(١) هو أبو الخير قاضي القضاة، عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، كان إماماً علامة، عارفاً بالفقه والتفسير، ولي قضاء القضاة بشيراز، وله مصنفات عديدة منها: التفسير، والمنهاج، والطوالع، توفي سنة (٦٨٥)هـ. ينظر: طبقات الشافعية ٨/١٥٧، وطبقات المفسرين للداودي ١/٢٤٢، وشذرات الذهب لابن العماد ٧/٦٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٩٧، والعبارة فيه: « وبُنيتَا »، « تشبيهاً لهما »، « واسْتُعْملتا ».

(٤) (المجازاة) في المخطوطة (المجاز)، ونسخ تفسير البيضاوي متفقة على أنها (والمجازاة).

(٥) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١٣).

والعبارة فيه: « أن تكون اسماً للزمن المستقبل، نحو:] G H I Z [سورة الزلزلة: ٤] والجمهور لا يثبتون هذا القسم، ويجعلون الآية من باب] ; < = Z [سورة الكهف: =

للمعنيين السّابقين من أنّها تستعمل في المستقبل كقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ على حَدِّ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وهذا على رأي الجمهور وغيرهم بجعلها حقيقة.

ثمّ ذكر أعني البيضاوي[١] أنّ محلّهما النَّصْبُ على الظّرفيّة لزوما مُعَلِّلاً ذلك بأنّهما من الظّروف الغير المتصرّفة.

قال: « وأمّا قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾[٢] ونحوه فعلى تأويل: اذْكُر الحادثَ إذ كان كذا، فحُذف الحادثُ وأقيم الظَّرْفُ مقامَه »[٣].

وفي « المغني »: « أن ظرفيّة (إذ) غالبة لا لازمة وأنّها تقع مفعولا به »[٤].

قال: « والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التّنزيل أن تكون

= ٩٩]، أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع، وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى: [c d e f g h i Z سورة غافر: ٧٠، ٧١]، فإن [d Z مستقبل لفظاً ومعنى؛ لدخول حرف التنفيس عليه، وقد أعمل في (إذْ)؛ فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا)».

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٩٧.

والعبارة فيه: «ومحلها النصب أبداً بالظرفية»، فإنها من الظروف الغير المتصرفة...».

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٩٧.

(٤) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١١).

والعبارة فيه: «أن تكون ظرفاً، وهو الغالب، نحو: [w x y z { | } Z [سورة التوبة: ٤٠]، وأن تكون مفعولاً به نحو: [{ | } ~ فَكَثَّرَكُمْ Z [سورة الأعراف: ٨٦]».

مفعولا به بتقدير اذْكُر » اهـ[١].

وسرد آياتٍ أمثلةً لذلك[٢].

وفيه - أيضا - أنّ إذ في نحو: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ ممّا وقع فيه المفعولُ قبل (إذ) بدلا من المفعول به[٣].

ثمّ قال بعد ذلك بيسير: « وزعم الجمهور أنّ إذ لا تقع إلاّ ظَرْفًا أو مضافا إليها »[٤] اهـ.

ولم يَنْقُلْ عن أحدٍ قَوْلاً بعدم تصرّفها ولا بلزومها النَّصْبَ على الظّرفيّة، نعم جعلها مفعولا به بـ: اذكُرْ محذوفا يقتضي أنّ المأمور به ذِكْرُ الوقت كما صرّح

---

(١) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١١).

(٢) وهي قوله تعالى:] ! " # $ Z [سورة البقرة: ٣٠]، وقوله تعالى:] v w x Z [سورة البقرة: ٣٤]، وقوله تعالى:] 5 6 7 8 Z [سورة البقرة: ٥٠]، ونحوها من الآيات القرآنية.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١١، ١١٢).

والعبارة فيه « أن تكون بدلاً من المفعول، نحو] C D E F G H Z [سورة مريم: ١٦]، (فإذْ): بدل اشتمال من مريم، على حد البدل في] > ? @ A B C Z [سورة البقرة: ٢١٧].

(٤) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١٢).

والعبارة فيه: « وزعم الجمهور أن « إذْ » لا تقع إلا ظرفاً أو مضافاً إليها، وأنها في نحو] { | } ~ Z [سورة الأعراف: ٨٦]، ظرف لمفعول محذوف، أي: واذكروا نعمة الله عليكم إذْ كنتم قليلاً، وفي نحو:] G H Z [سورة مريم: ١٦]، ظرف إلى مفعول محذوف، أي: واذكر قصة مريم، ويؤيد هذا القول التصريح بالمفعول في] H I J K L M N Z [سورة آل عمران: ١٠٣].

به بعد ذلك، ولا معنى له بل المأمور بذِكْرِهِ إنّما هو الواقـع فيـه، إلاّ أن يرتكـب مجازا بالحذف، أي: اذكُرْ مظروفا أو مرسلا علاقته المجـاورة أو الحاليّـة / [٤أ] والمحليّة المعنويّين.

فتحصّل أنّ « إذ » هنا في محلّ نَصْبٍ على الظّرفيّة أو على المفعوليّة:

الأوّل: بتقدير : اذكُر الحادث في وقت إذ أخذ الله.

والثّاني: على تقدير : اذكُر الوقت الذي أخذ الله فيه على المجاز السّابق.

ونقل البيضاوي عن بعضهم جواز زيادتها في مثل هذا الموضع، ولا يجوز جَعْلُها ظَرْفًا لـ: « اذكر » [١].

قال في « المغني » : « وبعض المُعْربين يقول في ذلك: إنّه ظَرْفٌ لـ: " اذكر " محذوفا، وهذا وهم فاحش؛ لاقتضائه حينئذٍ الأَمْرَ بالذِّكْر في ذلك الوقت، مع أنّ الأمر للاستقبال، وذلك الوقت قد مضى قبل تعلّق الخطاب بـالمكلَّفين منّـا » اهـ[٢].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/ ٩٧، حكاه عن معمر بن المثنى (أبـو عبيـدة). وتبعـه في ذلك ابن قتيبة، قال ابن هشام: « وليس هذا القـول بشيء». ينظـر: مغنـي اللبيـب (ص ١١٦)، وقال المرادي: « مذهبهما في ذلك ضعيف. وكانا يضعَّفان في علم النحو». ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني (ص ١٩٢).

(٢) ينظر: مغني اللبيب (ص ١١١)، وتتمة الكلام: «وإنما المراد ذكر الوقت نفسـه لا الـذكر فيـه».

وخلاصة أقوال أهل العلم في استعمالات (أوجه) «إذْ» على النحو الآتي ذكره:

إذْ، لفظ مشترك؛ يكون اسماً، وحرفاً. وجملة أقسامه ستة:

القسم الأول: أن تكون اسماً للزمن الماضي، ولها أربعة استعمالات:

أحدها: أن تكون ظرفاً، وهو الغالب، نحو:] w x y z { | } Z [سورة التوبة: ٤٠].

=

= الثاني: أن تكون مفعولاً به، نحو:] { | } ~ فَكَثَّرَكُمْ Z [سورة الأعراف: ٨٦].

الثالث: أن تكون بدلاً من المفعول، نحو:] C D E F G H Z [سورة مريم: ١٦]، فإذ: بدل اشتمال من مريم.

الرابع: أن تكون مضافاً إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه، نحو «يومئذٍ، وحينئذٍ»، أو غير صالح له، نحو قوله تعالى:] بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا Z [سورة آل عمران: ٨].

واعلم أن «إذْ» تضاف إلى الجملتين: الاسمية، والفعلية. ولا تضاف إلى جملة شرطية، إلا في الضرورة. ويقبح أن يليها اسم، بعده فعل ماض، نحو: كان ذلك إذ زيد قام؛ لما فيه من الفصل بين المتناسبين، ولذلك حسن: إذ زيدٌ يقوم.

القسم الثاني: أن تكون اسماً للزمن المستقبل، نحو:] G H I Z [سورة الزلزلة: ٤].

القسم الثالث: أن تكون للتعليل نحو:] V W X Y Z [\ ] ^ Z [سورة الزخرف: ٣٩]، أي: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب؛ لأجل ظلمكم في الدنيا.

القسم الرابع: أن تكون للمفاجأة، نص على ذلك سيبويه، وهي الواقعة بعد «بينا» أو «بينما».

القسم الخامس: أن تكون شرطية، فيجزم بها ولا تكون كذلك إلا مقرونة بـ «ما»؛ لأنها إذا تجردت لزمتها الإضافة إلى ما يليها.

القسم السادس: أن تكون زائدة. ذهب إلى ذلك أبو عبيدة، وابن قتيبة، وجعلا من ذلك قوله تعالى:] ! " # $ Z [سورة البقرة: ٣٠]، وهذا مذهب ضعيف –كما تقدم -.

القسم السابع: أن تكون بمعنى «قد». وجعل «إذ» في قوله تعالى:] ! " # Z بمعنى «قد»، وليس هذا القول بشيء، قاله المرادي في الجنى الداني في حروف المعاني (ص١٩٢).

قال ابن هشام في مغني اللبيب (ص ١١٥، ١١٦) بعد أن ذكر الأوجه الأربعة الأولى – المتقدمة -: «وذكر لـ «إذ» معنيان آخران:

أحدهما: التوكيد، وذلك بأن تحمل على الزيادة، قاله أبو عبيد، وتبعه ابن قتيبة، وحملا عليه آيات منها:] ! " # $ Z [سورة البقرة: ٣٠].

=

ثمّ الخطاب في « اذكر » للنّبيّ ﷺ ، أي: اذكر يا محمّد فيما نقصّه « إذ أخذ ».

وقدّره الطّبري[1]: « اذكروا » خطابا لأهل الكتاب أي: اذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ، أي تذكّروه أو ليذكره بعضكم لبعضٍ[2].

والميثاق : العهد .

والمراد بأخذه : قبوله أو الاستيثاق به.

وقال الإمام فخر الدّين الرّازي[3]: « يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما قرّر في عقولهم من الدّلائل الدّالّة على أنّ الانقياد لله واجبٌ، فإذا جاء رسولٌ

= والثاني: التحقيق كـ « قد » وحملت عليه لآية، وليس القولان بشيء ».

ينظر للزيادة في أوجه (إذْ): رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (ص ١٤٩)، الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ص ١٨٥)، ومغني اللبيب لابن هشام (ص ١١١)، والبرهان في علوم القرآن ٤ / ١٨٤، في الكلام على المفردات من الأدوات، والإتقان في علوم القرآن ٣/١٠١٦، في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر.

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام الحافظ، أحد أئمة العلماء، وأحد المجتهدين، له اختيارات فقهية، وتفرد في مسائل حفظت عنه، وله مصنفات تدل على سعة علمه، وغزارة فضله، منها: تاريخ الأمم والملوك، وجامع البيان، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة (٣١٠)هـ. ينظر: تاريخ بغداد ٢ /١٦٢، ووفيات الأعيان ٤ /١٩١، وتذكرة الحفاظ ٢ /٧١٠، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٨٢).

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٥ /٥٣٥.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الرازي الشافعي الفقيه المتكلم، يلقب بفخر الدين، اشتهر بعلم الكلام، وقد ندم في آخر عمره على الدخول فيه، من مؤلفاته: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، والمحصول، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة (٦٠٦)هـ.
ينظر: وفيات الأعيان ٤ /٢٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢١ /٥٠٠، وطبقات المفسرين للداودي ١ /٢١٥.

وظهرت المعجزات الدّالّة على صدقه، فإذا أخبرهم بعد ذلك أنّ الله أمر الخلق بالإيمان به عرفوا عند ذلك وجوب تقرير هذا الدّليل في عقولهم، فهذا هو المراد بالميثاق » اهـ[١].

وانظر ما المراد بأخذ الله له على هذا.

ويمكن أن يكون مجازا مُرْسَلاً عن الإعطاء، علاقتُه الضِّدِّيَّة.

/ [٤ب] فإن قلتَ : ينافي تفسير الميثاق بالعهد قوله تعالى: ﴿الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾، فإنّه يقتضي تغايرهما ضرورة مغايرة الشّيء لما بعده؟

قلتُ :

لا منافاة فقد قال الزّمخشري[٢] في تفسير هذه الآية ما نصُّه :

« والضّمير في ميثاقه للعهد وهو ما وَثَّقُوا به عَهْدَ الله من قبوله وإلزامه أنفسهم، ويجوز أن يكون بمعنى تَوْثِقَتِهِ، كما أنّ الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة، ويجوز أن يرجع الضّمير إلى الله أي من بعد تَوْثِقَتِهِ عليهم، أو من بعد ما وَثَّقَ به عَهْدَهُ من آياته وكتبه وإنذار رسله » اهـ[٣].

ثمّ إنّ قوله: ﴿**مِيثَاقَ النَّبِيِّين**﴾ :

---

(١) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ٨/ ٢٧٨.

(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، جاور مكة المكرمة مدة طويلة فلقب بجارالله، من كبار المعتزلة، بارع في اللغة العربية، والأدب والبلاغة، له مؤلفات كثيرة منها: الكشاف، والمفصل، وأساس البلاغة، توفي سنة (٥٣٨)هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١٥١، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ١٠٤، ١٠٥).

(٣) ينظر: الكشاف ١/ ١٢٠.

قيل : هو على ظاهره من الإضافة إلى المُوثَقِ عليه، والمعنى أنّ الأنبياء مأخوذٌ عليهم الميثاق بما سيأتي.

واتّفق القائلون بهذا على أخذ الميثاق على أممهم أيضا.

واختلفوا في دخوله في الآية :

فقال بعضهم : إنّه غير داخل في الآية بل معلومٌ بالأولى، وإلى هذا أشار البيضاوي بقوله: « وإذا كان هذا حكم الأنبياء كان الأمم به أولى » اهـ[(١)].

وقال بعضهم : إنّه داخل فيها، غاية الأمر أنّها من باب: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾[(٢)]، وإلى هذا أشار البيضاوي بقوله: « وقيل: إنّه تعالى أخذ الميثاق من النّبيّين وأممهم، واستغنى بذِكْرِهِمْ عن ذِكْرِ الأمم » اهـ[(٣)].

وقيل : إضافة الميثاق إلى النّبيّين من الإضافة إلى الموثِق لا إلى الموثَق عليه، والمعنى: وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الأنبياء / [٥أ] على أممهم. اهـ كشّاف[(٤)]، وهو في البيضاوي[(٥)] أيضا.

أي فالأمم هم المأخوذُ عليهم دون الأنبياء.

وقيل : المراد ميثاق أولاد النّبيّين وهم بنو إسرائيل، على حذف مضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، فالمأخوذ عليهم على هذا بنو إسرائيل خاصّةً.

وقيل : المراد بالنّبيّين أهل الكتاب، وسمّاهم نبيّين تهكّما بهم لأنّهم كانوا

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ /٥٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٨١.

(٣) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ /٥٢٩.

(٤) ينظر: الكشاف ١ /٣٧٩.

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١ /٥٢٩.

يقولون: نحن أولى بالنّبوّة من محمّد؛ لأنّا أهلُ الكتاب ومنّا كان النّبيّون[(١)].

ويدلّ عليه قراءة أبيٍّ وابن مسعود[(٢)]: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الـذِينَ أُوتُـوا الكِتَابَ**﴾، وأخذ الميثاق على هذا كان على أهل الكتاب الذين منهم بنو إسرائيل.

فإن قلتَ:

لم أسند الفعل إلى لفظ الجلالة وهو من قبيل الغائب ولم يسند إلى ضمير المتكلّم مع أنّ المقام له؟

قلتُ:

إنّما أسند إليه تعظيما للآخذ لدلالة هذا اللّفظ على الذّات الموصوفة بجميع الكمالات، وإدخالا للرّوع في ضمير السّامعين بأنّه الله القاهر المنتقم ممّن خالفه بنقض عهده[(٣)].

---

(١) قال السمين الحلبي بعد ذكره لهذا القول عن الزمخشري: «وهذا الذي قاله بعيد جداً، كيف يسميهم أنبياء تهكماً بهم، ولم يكن ثمَّ قرينة تبين ذلك؟». ينظر: الدر المصون ٣/ ٢٨٤. وسيأتي المزيد من البيان في ذكر أقوال أهل العلم في المراد بهذه الآية الكريمة – إن شاءالله تعالى -.

(٢) ينظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٥٣٨، ٥٣٩، وتفسير القرآن لابن المنذر (ص ٢٧٢)، والكشاف للزمخشري ١/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٤، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٤١٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ١٨٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥٠٨، وقال: «وقرأ أبيّ وعبدالله «ميثاق الذين أوتوا الكتاب» بدل «النبيين»، وكذا هو في مصحفيهما، وروي عن مجاهد أنه قال هكذا هو القرآن، وإثبات النبيين خطأ من الكاتب، وهذا لا يصح عنه؛ لأن الرواة الثقاة نقلوا عنه أنه قرأ النبيين كعبدالله بن كثير وغيره، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان».

وينظر للزيادة: الدر المنثور للسيوطي ٣/ ٦٤٦، وروح المعاني للألوسي ٣/ ٢٠٩، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٢٩٩.

(٣) خلاصة أقوال العلم في المراد بقوله تعالى:] k l m n o Z [سورة آل عمران:
=

= ٨١] أي: واذكروا يا أهل الكتاب إذ أخذ الله ميثاق النبيين. يعني: حين أخذ الله ميثاق النبيين. وميثاقهم: ما وثَّقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم.

وأصل الميثاق المفعال، من الوثيقة، إما بيمين وإما بعهد، أو غير ذلك من الوثائق.

واختلف المفسرون في مَنْ أُخِذَ ميثاقُه بالإيمان بمن جاءه من رسل الله مصدقاً لما معه، على أقوال:

قال بعضهم: إنما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم.

واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله:] } | { Z فأمروا بالإيمان برسل الله، ونصرتها على من خالفها. وقد روي القول عن مجاهد والربيع بن أنس وغيرهما.

وقال آخرون: بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الأنبياء دون أممها. وهو مروي عن ابن عباس، وعلي، وطاوس، وقتادة، والسدي، وغيرهم.

يعني: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى قومهم، وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد ^ ويصدقوه وينصروه.

وقال بعضهم: معنى ذلك أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم، فاجتزأ بذكر الأنبياء عن ذكر أممها؛ فالأمم تباع الأنبياء. وممن قال به ابن عباس – رضي الله عنهما – يعني: على أهل الكتاب، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديق محمد ^ إذا جاءهم، وإقرارهم به على أنفسهم. وهذا قريب من القول الذي قبله – والله تعالى أعلم -.

قال الطبري في تفسيره عند هذه الآية:

« وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه، بتصديق بعضهم بعضاً، وأخذ الأنبياء على أممها وتبَّاعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنباء الله ورسوله بما جاءتها به؛ لأن الأنبياء عليهم السلام بذلك أرسلت إلى أممها... ».

ينظر: جامع البيان ٥/ ٤٥٢. وينظر للزيادة في تفسير هذه الآية، وأقوال أهل العلم في المراد، والعلم عند الله تعالى، تفسير عبدالرزاق ١/ ١٣٠، والكشاف للزمخشري ١/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٤، والوسيط للواحدي ١/ ٤٥٨، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٦٢، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٤١٥، ومفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٢٧٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ١٨٨، وكتاب التسهيل لابن جزي (ص١١١)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير =

] p q Z: قرأ أكثر القرّاء[1] بفتح الـلاّم والتّخفيـف، وعليـه يجوز أن تكون اللاّم للابتداء، وما موصلة مبتدأ، ولتؤمننّ جواب قسم محذوف، أي والله لتؤمننّ به، وجملة القسم وجوابه خبر المبتدأ بنـاءً عـلى جـواز وقـوعهما خبرا.

وقد أشبع في « المغني » الكلام على ذلك مفصَّلا فراجعه[2].

وفيه أنّه إن أُرجع الضّمير في ﴿بِهِ﴾ إلى ﴿رَسُولٌ﴾ خلت الجملة الخبريّة / [٥ب] من ضمير يربطها بالمبتدأ، وإن أُرجع إلى المبتدأ كان المعنـى أنّ الله تعـالى أخذ الميثاق عليهم بالإيمان بالكتاب والحكمة، وليس مـرادا، إلاّ أن يختـار هـذا بتقدير مضاف أي: بمصدّقه أو ذاك، والـرّابطُ موجـودٌ لأنّ الضّـمير في ﴿بِـهِ﴾ عائدٌ إلى ﴿رَسُولٌ﴾ باعتبار صفته أعني ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُـمْ﴾، فكـان الضّـميرُ عائداً على « ما » بهذا الاعتبار.

= ٣/ ١٠٠، ١٠١، والدر المنثور للسيوطي ٣/ ٦٤٦، وروح المعاني للألوسي ٣/ ٢٠٩، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٢٩٩، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ١١٠).

(١) قرأ حمزة (لِما) مكسورة اللام. وقرأ الباقون (لَمَا) مفتوحة اللام.

فمن كسر اللام فهي لام الإضافة دخلت على (ما)، ومعناه الذي يريد للذي آتيتكم، أي: أخذ ميثاق النبيين لأجل الذي آتاهم من الكتاب والحكمة، يعني أنهم أصحاب الشرائع.

ومن فتح اللام فمعناه: للذي آتيتكم، بمعنى الخبر، وقيل: بمعنى الجزاء، أي: لئن آتيتكم، ومهما آتيتكم، وجواب الجزاء قوله: (لتؤمنن).

ينظر: كتاب السبعة لابن مجاهد (ص ٢١٣)، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص١١١)، والحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي ٣/ ٦٢، والتبصرة لمكي بن أبي طالب (ص ٤٦٢)، والتيسير لأبي عمرو الداني (ص ٨٩)، والنشر لابن الجزري ٢/ ١٨١.

(٢) ينظر: مغني اللبيب (ص ٢٧٦، ٣١١، ٤٢٨، ٥٣٢).

هذا وإنّما لم نجعل ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ جوابا للقسم الذي في أخذ الميثاق؛ لأنّه يلزم عليه توسّطُ المبتدأ بين أجزاء الخبر، وأن تكون مُوَطِّئَة ؛ لأنّ أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف، واللاّم في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ لام جواب القسم، و« ما » يحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط، و﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ سادٌّ مَسَدَّ جواب القسم والشّرط جميعا، و« ما » على هذا مفعول لـ: ﴿آتَيْتُكُمْ﴾، وأن تكون موصولةً بمعنى: للذي آتيتكموه لتؤمننّ به.

فـ: « ما » على هذا مبتدأٌ خبرُه محذوفٌ.

« كشّاف »[1]و « مغني » [2] بزيادة[3] من حواشيه للعلاّمة الأمير[4].

ثمّ قال ـ أي صاحب « المغني » ـ في موضع آخر ما نصُّه :

« والرّابع : من أقسام اللاّم الغير العاملة اللاّم الدّاخلة على أداة شرط للإيذان بأنّ الجواب بعدها مبنيٌّ على قسم قبلها، لا على الشّرط، ومن ثمّ تسمّى اللاّم المؤذنة، وتسمّى المُوَطِّئَة أيضا؛ لأنّها وَطَّأَتْ الجواب للقَسَم أي مهّدته نحو: **﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ**

---

(١) ينظر: الكشاف ١/ ٣٧٩.

(٢) ينظر: مغني اللبيب (ص ٣١٠، ٣١١، ٥٣٢).

(٣) ينظر: حاشية الأمير (ص ١٧٦).

(٤) هو الشيخ العلامة عالم العربية، وفقيه المالكية، محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر السنباوي الأزهري، المعروف بالأمير، ولد في ناحية سنبو بمصر سنة (١١٥٤)هـ، وتعلم بالأزهر، واشتهر بالأمير؛ لأن جده أحمد كانت له إمرة الصعيد، وأصله من المغرب، توفي سنة (١٢٤٥)هـ تقريباً. أكثر كتبه حواشي وشروح، من أشهرها: حاشية على مغني اللبيب، الإكليل شرح مختصر خليل، المجموع في الفقه وشرحه...، ينظر: الأعلام للزركلي ٧/ ٧١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٦٧٠، وعجائب الآثار الجبرتي ٤/ ٣٨٤.

الأَدْبَارَ﴾[١]، وأكثر ما تدخل على إن، وقد تدخل على غيرها كقوله[٢] :

/ [٦أ] لَمَتَى صلَحْتَ لَيُقْضَيَنْ لَكَ صَالِحٌ
وَلَتُجْزَيَنَّ إذَا جُزِيْتَ جَمِيــلا

وعلى هذا فالأحسن في قوله تعالى: ﴿**لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَـةٍ**﴾ ألاّ تكون مُوَطِّئَةً، و(ما): شرطيّة، بل للابتداء، و(ما): موصولة؛ لأنّه حمل على الأكثر » اهـ[٣].

فاقتضى كلامُه أنّها لا تدخل على غير أداة شرط، وصرّح بأنّ الأحسن أن لا تدخل على غير « إن » [٤].

وقرأ نافع[٥] : ﴿**لَمَا آتَيْنَاكُمْ**﴾ بالفتح والتّخفيف أيضا[١].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٢.

(٢) بعد البحث والنظر لم أقف على قائل البيت، وقد أورده ابن هشام في مغني اللبيب (ص ٣١٠) ولم يعرف قائله، والشاهد فيه: جواز دخول اللام المؤذنة أو الموطئة على غير إن –كما تقدم-.

(٣) ينظر: مغني اللبيب (ص ٣١٠، ٣١١).

(٤) ينظر للزيادة: معاني القرآن للفراء ١/ ٢٢٥، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٢٢٥، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١/ ٤٣٦، ٤٣٧، وإعراب القرآن للنحاس ١/ ٣٩١، ٣٩٢، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ١/ ١٦٥، ١٦٦، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري ١/ ٢٠٩، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري ١/ ٢٧٥، والفريد في إعراب القرآن المجيد للمنتجب الهمداني ١/ ٥٩٣، والدر المصون للسمين الحلبي ٣/ ٢٨٣ – ٢٩٣.

(٥) هو نافع بن عبدالرحمن بن أبي نُعيم، إمام المدينة في القراءة، أخذ عن جماعة منهم: أبو جعفر القارئ، واشتهر عنه راويان هما: قالون، وورش، توفي سنة (١٦٩)هـ. ينظر: التيسير (ص ٥)، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٠٧، وغاية النهاية ٢/ ٢٣٠.

وفيها ما في التي قبلها من الإعراب.

ومِنْ: على جميع ما تقدّم بيانيّةٌ.

وقرأ حمزة[2]: ﴿لِمَا﴾ بكسر اللاّم والتّخفيف[3]، ومعناه: لأجل إيتائي إيّاكم بعضَ الكتاب والحكمة، ثمّ لمجيء رسولٍ مصدّقٍ لما معكم لتؤمننّ به، على أنّ « ما » مصدريّة؛ فالفعلان معها ـ أعني: آتيتكم وجاءكم ـ في معنى المصدرين، واللاّمُ داخلةٌ للتّعليل على معنى: أخذ الله ميثاقكم لتؤمننّ بالرّسول ولتنصرنّه لأجل أنّي آتيتكم الكتابَ والحكمةَ، وأنّ الرّسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته موافقٌ لكم غيرُ مخالفٍ.

ويجوز أن تكون « ما » موصولةً.

فإن قلتَ:

كيف يجوز ذلك والعطفُ على ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ وهو قوله: ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ﴾ لا

---

(1) تقدم تخريج القراءة، وبالنسبة لقوله تعالى: (آتيناكم) قرأ نافع وحده (آتيناكم) بالنون، وقرأ الباقون (آتيتكم) بالتاء.
قال ابن خالويه: (آتيتكم) يقرأ بالنون والألف، وبالتاء من غير ألف.
فالحجة لمن قرأ بالنون: أن الله تعالى أخبر عن نفسه بنون الملكوت...، والحجة لمن قرأ بالتاء: أنه أتى بالكلام على ما يوجبه الإخبار عن المتكلم إذا أخبر بفعله عن نفسه...».
ينظر: كتاب السبعة لابن مجاهد (ص ٢١٤)، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه (ص١١٢)، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/ ٦٩، والتبصرة لمكي بن أبي طالب (ص ٤٦٢)، والكشف لمكي بن أبي طالب ١/ ٣٥٢، والتيسير لأبي عمرو الداني (ص ٨٩)، والنشر لابن الجزري ٢/ ١٨١.

(2) هو حمزة بن حبيب بن عُمارة الزيَّات، إمام حجة، أخذ القراءة عن الأعمش وآخرين، وعنه جماعة أضبطهم سُلَيْم بن عيسى، واشتهر عنه راويان هما: خلف، وخلاد، توفي سنة (١٥٦)هـ. ينظر: التيسير (ص ٦)، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١١١، وغاية النهاية ١/ ٢٦١.

(3) تقدم – قريباً – تخريج وتوجيه القراءة.

يجوز أن يدخل تحت حكم الصّلة؛ لأنّك لا تقول: للّذي جاءكم رسول مصدّق لما معكم؟

قلتُ :

بلى لأنّ « ما معكم » في معنى « ما آتيتكم »، فكأنّه قيل: للّذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدّق له اهـ « كشّاف » [1].

وحاصل كلامه :

أنّه على هذه القراءة يجوز في « ما » وجهان :

أحدهما : أن تكون مصدريّةً و« من » تبعيضيّة / [٦ب] فلا يحتاج حينئذ لرابطٍ يربط جملةَ ﴿**ثُمَّ جَاءَكُمْ**﴾ بها.

ثانيهما : أن تكون موصولةً فيحتاج لذلك وهو ﴿**مَا مَعَكُمْ**﴾، فيكون من قبيل الرّبط بالظّاهر الذي هو عَيْنُ الموصول على حدّ قوله[2]:

فيا رَبِّ ليلى أَنْتَ في كلّ موطنٍ
وأنتَ الذي في رحمةِ الله أَطْمَعُ

قال في « المغني » [3] :

« وقد يضعف هذا لقلّته، وقد يرجّح بأنّ الثّواني يغتفر فيها كثيرا، واللاّم

---

(١) ينظر: الكشاف ١ /٣٧٩، وللزيادة في هذا المعنى، ينظر: الحاشية المتقدمة قريباً.

(٢) البيت ينسب لمجنون بني عامر (مجنون ليلى)، ولم أقف عليه في ديوانه، وهو في مغني اللبيب (ص ٢٧٧)، والدر المصون ٣ /٢٨٥، والشاهد فيه: إقامة الاسم الظاهر مقام الضمير، وكان حقه أن يقول: «في رحمتك».

(٣) ينظر: مغني اللبيب (ص ٢٧٦، ٢٧٧).

عليهما للتّعليل متعلّقة بـ: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ﴾ ».

قال في « المغني » [(١)]:

« على الاتّساع في الظَّرْف » اهـ.

قال محشّيه الأمير :

« قوله: على سبيل الاتّساع أي وإن كانت لام الجواب لها الصَّدَرُ، وكذا لا النّافية، لكن سبق للمصنِّف في الفصل الثّاني لاذا ، أنّ مثل هذا خاصٌّ بالشِّعْر [(٢)] » فالأحسنُ [(٣)] ما مشى عليه الخطيب [(٤)] أنّها متعلِّقةٌ بأخذ.

وقرأ سعيد بن جبير [(٥)] : ﴿لَـمَّـا﴾ بالتّشديد [(٦)] بمعنى: حين آتيتكم بعضَ

---

(١) ينظر: مغني اللبيب (ص ٢٧٦)، وهذا الكلام على قراءة حمزة بكسر اللام (لِما).

(٢) ينظر: حاشية الأمير ١ /١٧٦.

(٣) قوله: (فالأحسن ما مشى عليه الخطيب... بأخذ) موجود على هامش النسخة الخطية وبعدها كلمة صح؛ للدلالة على أنها من أصل الكتاب (المخطوط).

(٤) لعل المراد الخطيب الرازي في مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) ٨ /٢٧٤.

(٥) هو أبو عبدالله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، روي عن جماعة من الصحابة – رضي الله عنهم – من تلاميذ ابن عباس – رضي الله عنهما – ومن أشهر المفسرين للقرآن الكريم من التابعين، قتله الحجاج سنة (٩٥)هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء ٤ /٣٢١، وتهذيب الكمال ٣ /١٤١.

(٦) ينظر: المحتسب لابن جني ١ /١٦٤، وذكر عند هذه القراءة ما نصه:

« ومن ذلك قراءة الأعرج فيما يروى عنه: (لَـمَّا آتيناكم) بفتح اللام، وتشديد الميم، آتيناكم بألف قبل الكاف.

قال أبو الفتح: في هذه القراءة إغراب، وليست (لَـمَّا) هاهنا بمعروفة في اللغة، وذلك أنها على أوجه: تكون حرفاً جازماً كقوله تعالى:] - . / 0 1 2 Z [سورة آل عمران: ١٤٢]، وتكون ظرفاً في نحو قوله:] ! " # $ Z [سورة القصص: ٢٢]، =

الكتاب والحكمة ثمّ جاءكم رسول مصدّق لما معكم وجب عليكم الإيمانُ به ونصرتُه.

وقيل: أصله « لمن ما » فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنّون المنقلبة ميما بإدغامها في الميم، فحذفوا إحداها فصارت « لما »، ومعناه: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمننّ به.

وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى اهـ « كشّاف » (١).

فـ: « من » الأُولَى على هذا الأخير تعليليّة.

وفي « ما » الوجهان السّابقان في قراءة حمزة على ما أشار إليه.

والظّاهر أنّ اللاّم هنا صلةٌ.

= وتكون بمعنى (إلا) في نحو قولهم: أقسمت عليك لَمَّا فعلت، أي: إلا فعلت. ولا وجه لواحدة منهن في هذه الآية.

وأقرب ما فيه أن يكون أراد: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لِمَنْ ما آتيناكم، وهو يريد القراءة العامة: (لَمَا آتيناكم)، فزاد على مذهب أبي الحسن في الواجب، فصارت (لِمَّا)، فلما التقت ثلاث ميمات فثقلن – حُذفت الأولى منهن، فبقي (لَمَّا) مشدداً كما ترى. ولو فكّت لصارت (لَنْما)، غير أن النون أدغمت في الميم كما يجب في ذلك فصار (لَمَّا). هذا أوجه ما فيها إن صحت الرواية بها».

وهذه القراءة رويت عن سعيد بن جبير، والحسن، ونسبها ابن جني للأعرج في المحتسب – كما تقدم – وينظر: قراءة سعيد بن جبير – رحمه الله – في البحر المحيط لأبي حيان ٢/٥٠٩، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/٤٦٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٩١، والدر المصون للسمين الحلبي ٣/٢٨٤ وغيرهم من المفسرين.

(١) ينظر: الكشاف ١/٢٧٩، ٢٨٠، وخلاصة كلام الزمخشري هنا في قراءة التشديد: أن المعنى: حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة، ثم جاءكم رسول مصدق له، وجب عليكم الإيمان به ونصرته. وأن أصل (لما) لمن فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات، وهي الميمان، والنون المنقلبة ميماً بإدغامها في الميم، فحذوفوا إحداها فصارت (لما)، والمعنى: لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به، وهذا قريب من قراءة حمزة في المعنى.

ومحصَّل الأوّل أنّ « من » تبعيضيّة في ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾، و﴿لَـمَّـا﴾ حِيْنِيَّـة، وجوابها محذوفٌ أشار إلى تقديره / [٧أ] بقوله: « وجب عليكم ... » الخ.

ومن المعلوم أنّ « لمّا » الحيْنِيَّـة تقـتضي وقـوعَ الجـواب في زمـن الشّـرط، فيكون وجوبُ الإيمانِ بالرّسول والنّصرةِ له في وقت إيتائه إيّاهم بعضَ الكتابِ والحكمةِ، وليس إلاّ في زمن المجيء، إلاّ أن تكون جوابيّةً باعتبار المعطوف فقط، أو على أنّ المعنى: طُلِبَ منكم في وقت الإيتاء إيقاعُ الإيمان والنّصرةُ في المستقبل، ويحتمل لو لم يقل حيْنِيّة أن تكون « لمّا » حرفا أُتِيَ به للرّبط عـلى مـا ذهـب إليـه بعضهم، وعليه فلا كلام.

هذا ومن المقرّر عندهم أنّه يشترط في صحّة عطف الفعل على الفعل اتّحادُ زمانيهما.

قال الأشموني[(١)] ـ عقب قول الخلاصة : وَعَطْفُكَ الفِعْلَ عَلَى الفِعْلِ يَصِحّ ما نصُّه ـ : « بشرط اتّحاد زمانيهما » [(٢)] اهـ.

قال العلاّمة الصَّبّان[(٣)] : « أي مُضِيًّا أو حالاً أو استقبالاً » اهـ[(٤)].

---

(١) هو علي بن محمد الأشموني المصري، ولد بالقاهرة سنة (٨٣٨)هـ، نحوي من فقهاء الشافعية، ولي القضاء بدمياط، توفي سنة (٩٠٠)هـ، له منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، والينبوع في شرح المجموع في فروع الفقه، وغيرها. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٥/٦، والأعلام للزركلي ٥/١٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٧/١٨٤.

(٢) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/١١٩.

(٣) هو أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري الشافعي الحنفي، أخذ علوماً كثيرة، منها: اللغة والنحو والأدب وغيرها، توفي بالقاهرة سنة (١٢٠٦)هـ، من مصنفاته: حاشية على شرح الألفية للأشموني، إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وأهل بيته الطاهرين وغيرها. ينظر: عجائب الآثار للجبرتي ٢/٢٢٧ – ٢٣٣، هدية العارفين لإسماعيل باشا ٢/٣٤٩، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/٥١٦.

(٤) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣/١١٩، وينظر للزيادة في أقسام ومواضع (لَمَّا) =

وزمن المجيء مستقبلٌ بالنّسبة لزمن الإيتاء، ويمكن أن تقدّر « ثمّ »، صلةً كما هي في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[1]، وتجعل جملة ﴿جَاءَكُمْ﴾ بدل اشتمال من ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ باعتبار مُتَعَلَّقِها وهو ﴿مَا مَعَكُمْ﴾ فإنّه يشتمل على الإيتاء، والمعنى: لمّا جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لما معكم وجب عليكم ذلك.

= رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي (ص ٣٥١)، والجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ص ٥٩٢)، ومغني اللبيب لابن هشام (ص ٣٦٧)، والمفردات للراغب الأصفهاني (ص ٧٤٦)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (المفردات من الأدوات) ٤ /٣٢٦. وخلاصة الكلام في (لـمَّا):

حرف له ثلاثة أقسام:

الأول: « لَـمَّا » التي تجزم الفعل المضارع. وهي حرف نفي تدخل على المضارع فتجزمه، وتصرف معناه إلى المضي.

الثاني: « لَـمَّا » التي بمعنى: « إلاَّ »، ولها موضعان:

أحدهما بعد القسم، نحو: نشدتك بالله لَـمَّا فعلت.

ثانيهما: بعد النفي، ومنه قراءة عاصم وحمزة:] R S T U V W Z [سورة يس: ٣٢]، أي: ما كلّ إلاَّ جميعٌ.

الثالث: «لَـمَّا» التعليقية. وهي حرف وجوب لوجوب. وبعضهم يقول: حرف وجود لوجود، بالدال. والمعنى قريب. وفيها مذهبان:

أحدهما: أنها حرف. وهو مذهب سيبويه.

الثاني: ظرف بمعنى « حين». وهو مذهب أبي علي الفارسي. وجمع ابن مالك في « التسهيل» بين المذهبين، فقال: إذا ولي « لَـمَّا » فعل ماض لفظاً ومعنى فهي ظرف بمعنى « إذ»، فيه معنى الشرط، أو حرف يقتضي، فيما مضى، وجوباً لوجوب.

والفرق بين أقسام «لَـمَّا» الثلاثة من جهة اللفظ، أن الجازمة لا يليها إلا مضارع، ماضي المعنى. والتي بمعنى « إلاّ» لا يليها إلا ماضي اللفظ، مستقبل المعنى. والتي هي حرف وجوب لوجوب لا يليها إلا ماضي اللفظ والمعنى، أو مضارع منفي بـ « لم».

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٨.

وبَعْدُ :

فلابدّ من التزام ما مرّ من أنّه يغتفر في الثواني ما لا يغتفر في الأوائل، أو الاكتفاء بالمضيّ اللّفظيّ؛ لأنّ ما في حيز ﴿لَمَا﴾ لا يكون إلاّ ماضيا، والتّابعُ هنا مستقبلٌ معنًى، ولا يخفى ما في هذا من التّكلّف.

والأوجه المصير إلى أنّ ﴿ثُمَّ﴾ من الحكاية لا من المَحْكِيّ.

ويؤيّده / [٧ب] ما يأتي من الالتفات في الخِطاب في ﴿آتَيْتُكُمْ﴾.

هذا ما سَنَحَ في هذا المقام، واقتضاه النّظر الكَهَام[١]، فليتأمّل وليراجع.

ثمّ في قوله تعالى: ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ التفاتان :

أحدهما : من الغَيْبَة إلى التّكلّم.

ثانيهما : منها إلى الخطاب.

ونكتتهما أنّ التّكلّم والخطاب أشرفُ من الغَيْبَة[٢].

---

(١) الكَهَام هو البطيءُ عن الغاية، ويقال: أكْهَمَ بصره إذا كَلَّ ورَقَّ.

ينظر: تهذيب اللغة ٦/ ٣٠، ولسان العرب ١٢/ ٥٢٨، مادة (كَهَمَ).

(٢) وفي قوله: ﴿آتَيْتُكُمْ﴾ أو (آتيناكم) على القراءتين التفاتان:

أحدهما: الخروج من الغيبة إلى التكلم في قوله آتينا أو آتيت؛ لأن قبله ذكر الجلالة المعظمة في قوله:] Zm l k [.

والثاني: الخروج من الغيبة إلى الخطاب في قوله: (آتيناكم)؛ لأنه قد تقدمه اسم ظاهر وهو «النبيين»، إذ لو جرى على مقتضى تقدم الجلالة والنبيين لكان التركيب: وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتاهم من كتاب كذا، قال بعضهم: «وفيه نظر لأن مثل هذا لا يسمى التفاتاً في اصطلاحهم، وإنما يسمى حكاية الحال، ونظيره قولك: حلف زيد ليفعلنَّ ولأفعلن، فالغيبة مراعاة لتقدم الاسم الظاهر، والتكلم حكاية لكلام الحالف، والآية الكريمة من هذا». ينظر: الدر المصون للسمين الحلبي ٣/ ٢٩٣، وينظر للزيادة: التفسير الكبير للرازي ٨/ ٢٧٧، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥١٣، وروح المعاني للألوسي ٣/ ٢١٠.

فإن قيل :

التّكلّم هنا هو مقتضى الظّاهر كما قدّمت والالتفات من خلاف ذلك؟

قلتُ :

مرادنا بمقتضى الظّاهر فيما مرّ مقتضى ظاهر المقام كما أشرنا إليه، ومرادهم بكون الالتفات من خلاف مقتضى ظاهر الكلام كما نصّ عليه العلاّمة الصّبّان في « حواشي المختصر » ناقلا له عن ياسين[1].

] r s Z.

تقدّم أنّ « مِنْ » غير شرطيّة، [و]، « مَا » ومَوْصُولِيَّتَها تبعيضيّة، وعليهما بيانيّة، وعلى كلّ فالمراد: سائر الكتب السّماويّة حتّى الصّحف ما عدا القرآن.

أمّا على الثّاني :

فلأنّ « مَا » بمعنييها دالّةٌ على العموم، وقد بُيِّنَتْ بـ: « كِتَاب ».

وأمّا على الأوّل :

فلأنّ النّكرة قد يراد منها العموم في الإثبات مجازا كما في قوله تعالى:

---

(١) هناك كتابه اسمه (المختصر) شَرَحَ فيه مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢)هـ كتاب تلخيص المفتاح في البلاغة، وهذا الشرح مختصرٌ من كتابه (المطوّل) ولذلك سماه (المختصر)، وعلى هذا (المختصر) حاشية لياسين العليمي (ت١٠٦١)هـ. وكذلك لأحمد التفتازاني (ت٩٠٦)هـ حفيد مسعود التفتازاني السابق، وتسمى هذه الحاشية (حاشية الحفيد على المختصر لجده)، ثم على حاشية الحفيد حاشية لياسين العليمي (ت١٠٦١)هـ، وهناك حاشية على مختصر السعد التفتازاني ومؤلفها هو أبو العرفان محمد الصبّان (ت١٢٠٦)هـ، فلعل الصبان نقل في حاشيته عن حاشية ياسين على المختصر أو حاشية ياسين على حاشية الحفيد، والله تعالى أعلم بالمراد.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾[١]، وقول الحريري [٢]:

يَا أَهْلَ ذَا المَغْنَى وُقِيتُمْ شَرّا
وَلاَ لَقِيتُمْ مَا بَقِيتُمْ ضُــرّا

نصّ عليه المولى سعد الدّين التّفتازاني[٣] في « مُطَوَّلِهِ » [٤].

والمَغْنَى : المَنْزِلُ من غَنِيَ بالمكان أقام به.

فإن قلتَ :

ما الدّليل على استثناء القرآن ؟

---

(١) سورة التكوير، الآية: ١٤، وفي سورة الانفطار، الآية: ٥.

(٢) هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، البصري، الشافعي (أبو محمد)، أديب، لغوي، نحوي، ناظم، ناثر، من آثاره: المقامات، منظومة ملحة الإعراب في النحو وشرحها، وغير ذلك من المؤلفات، توفي سنة (٥١٦)هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/٤٦٠، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/٦٤٥، والبيت في مقامات الحريري بشرح الشريشي ١/١٩٥، والمغْنى: المنزل والمقام. ينظر: تهذيب اللغة ٨/٢٠٢، مادة (غنى).

(٣) هو مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني (سعد الدين، عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني والبيان والفقه وغير ذلك، ولد بتفتازان، من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، حاشية على الكشاف للزمخشري في التفسير، توفي سنة (٧٩٢)هـ. ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٤/٣٥٠، والبدر الطالع للشوكاني (ص ٨٢١)، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/٨٤٩.

(٤) ينظر: المطوَّل على تلخيص المعاني، لسعد الدين التفتازاني (ص ٨٣، ٨٤).
والعبارة فيه: « والنكرة في الإيجاب ظاهرة في عدم الاستغراق، وقد يستعمل فيه مجازاً كثيراً في المبتدأ نحو: تمرة خير من جرادة. وقليلاً في غيره، نحو:] 1 2 3 4 Z وفي المقامات: يا أهل ذا المغنى وقيتم شراً... ».

قلتُ :

ما صرّحوا به / [٨أ] ـ وسيأتي ـ من أنّ النّبـيّ ﷺ لم يُؤخـذ عليـه ميثـاقٌ بالإيمان بأحد من الأنبياء، فلم يكن داخلا في مفعول ﴿آتَيْـتُكُمْ﴾، فلـم يـدخل القرآنُ الذي هو كتابةٌ في كتابٍ.

وسمّيت سماويّةً لأنّها نزلتْ من السّماء.

قيل : في ألواح .

وقيل : على لسان مَلَكٍ.

ثمّ قد اشتهر أنّها مائةٌ وأربعةُ صحف :

صحف شِيث ستّون، وصحف إبراهيم ثلاثون، وصـحف موسـى قبـل التّوراة عشرة، والكتب الأربعـة: التّـوراة لموسـى، والزّبـور لـداود، والإنجيـل لعيسى، والفرقان لسيّدنا محمّد ﷺ.

كذا نقل بعضُ شرّاح « الأربعين » عن الخطيب[1] .

وقيل : صحف شِـيث خمسـون، وصـحف إدريـس ثلاثـون، وصـحف

---

(١) قوله: شراح الأربعين عـن الخطيـب، الخطيـب المـراد بـه الفخرالـرازي محمـد بـن عمـر الـرازي الشـافعي، الفقيـه المتكلم، يلقـب بفخـر الـدين، مـن كتبـه: التفسـير الكبـير (مفـاتيح الغيـب)، والمحصول، والأربعين، ونهاية العقول، وغيرها، توفي سنة (٦٠٦)هـ. وقـد تقـدمت ترجمتـه في أول البحث، بما يغني عن إعادته هنا.

والأربعين المراد بها: الأربعين في أصول الدين للرازي.

وكلام الرازي الذي نقله المؤلف هنا مذكور في التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) في تفسير سـورة الأعلى، عند قوله تعالى:] 0 1 2 Z [سورة الأعلى: ١٩]. ينظر: التفسـير الكبـير للرازي ١١/ ١٣٧.

إبراهيم وموسى عشرون بالسّويّة، والكتب الأربعة.

وقيل : إنّها مائة وأربعة عشر : صحف شيث خمسون، وصحف إدريس ثلاثون، وصحف إبراهيم عشرون، واختلف في عشرة: فقيل : لآدم، وقيل : لموسى، والكتب الأربعة.

وهذا القول ما نصّ عليه التّتائي[1] في « شرح الرّسالة »[2] حيث قال:

« فائدة : الكتب المنزّلة من السّماء مائة وأربعة عشر ـ إلى آخر ما تقدّم ـ. هذا والتّحقيق الإمساك عن حصرها في عدد فيجب اعتقادُ أنّ الله أنزل كتبا من السّماء على الإجمال، نعم الكتب الأربعة يجب معرفتها تفصيلا ».

اهـ « باجُوري على الصّغرى » بحروفه[3].

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن خليل التتائي المصري، فقيه من علماء المالكية. نسبته إلى « تتا » من قرى المنوفية بمصر، نعته الغزي بقاضي القضاة بالديار المصرية. من كتبه: فتح الجليل شرح به مختصر خليل في الفقه شرحاً مطولاً، وجواهر الدرر وغيرها من التصانيف، توفي سنة (٩٤٢)هـ تقريباً. ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٢٦، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٦٢٨، والأعلام للزركلي ٥/ ٣٠٢.

(٢) المراد بها: تنوير المقالة في شرح الرسالة. وهي من مصنفات محمد التتائي – المتقدم – وهي في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني. ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ٢٦، والأعلام للزركلي ٥/ ٣٠٢.

(٣) المراد بها: حاشية الباجوري على السنوسية الصغرى. ينظر: حاشية الباجوري على السنوسية الصغرى (مخطوط) (ق ٤٥).

والباجوري: هو إبراهيم بن محمد الباجوري الأزهري، شيخ الجامع الأزهر، ولد في الباجور، إحدى قرى مديرية المنوفية بمصر، من مؤلفاته: حاشية على مختصر السنوسي، وحاشية على شمائل الترمذي، وغيرها من الحواشي الأخرى، توفي سنة (١٢٧٧)هـ.

ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/ ٥٧، والأعلام للزركلي ١/ ٧١.

﴿وَحِكْمَةٍ﴾ :

اختلف في تفسيرها :

فقيل : هي تحقيق العلم وإتقان العمل.

وبهذا فسّر البيضاوي[(١)] قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[(٢)].

/ [٨ب] وقيل : هي علم الشّرائع وكلّ كلام وافق الحقّ.

وقيل : هي العلم النّافع من جميع أنواع العلوم[(٣)].

وقال النّووي[(٤)] : « والذي صفا لنا منها أنّها العلم المشتمل على معرفة الله

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ٤٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٣) ومن أقوال أهل العلم في المراد بالحكمة:

فقيل: هي القرآن والفقه به. قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد وغيرهم.

وقال بعضهم: معنى الحكمة الإصابة في القول والفعل. وهو مروي عن مجاهد وغيره.

وقال آخرون: هي العلم بالدين. قاله ابن زيد.

وقيل: هي الفهم، قاله النخعي، وقيل: هي الخشية، قاله أبو العالية، والربيع، وقيل: هي النبوة، قاله السدي.

والمتأمل في هذه الأقوال يجدها تدخل في معنى الإصابة في القول والفعل؛ لأن الإصابة في الأمور إنما تكون عن فهم وعلم ومعرفة.

ينظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٨)، والوسيط للواحدي ١/ ٣٨٣، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٣٣٤)، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٣٦٤، وزاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٢٤، ومفاتيح الغيب للرازي ٧/ ٥٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٤٧١، ومحاسن التأويل للقاسمي ١/ ٦١٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ٩٦)، وغيرهم من المفسرين.

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مُرّي النووي الشافعي، الإمام الحافظ، كان على قدر في الورع والعبادة والتقلل من الدنيا، من تصانيفه: شرحه لصحيح مسلم، ورياض الصالحين، والمجموع =

تعالى، مع نفاذ البصيرة، وتهذيب النّفس، وتحقيق الحقّ للعمل به، والكفّ عن ضدّه، والحكيمُ من حاز ذلك »[1] اهـ.

فائدة :

قال بعضهم: أنزل الله الحكمة على ثلاثة أعضاء: رؤوس اليونان، وأيدي أهل الصّين، وألسنة العرب[2].

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾:

قيل : المراد من الرّسول الأعمُّ من نبيّنا ﷺ.

وعلى هذا فيكون المراد من الآية أنّ الله تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره إن أدركه، وإلا أمر أمته بذلك إن أدركوه فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بعيسى، ومن عيسى أن يؤمن بمحمّد ﷺ.

فالتّنوين في ﴿رَسُولٌ﴾ للتّعميم.

وقيل : المراد بالرّسول خصوص نبيّنا محمّد ﷺ فيكون المراد أنّ الله أخذ

= وغيرها، توفي سنة (٦٧٤)هـ.

ينظر: ذيل مرآة الزمان لليونيني ٣/٢٨٣، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٤٧٠، وطبقات الشافعية للسبكي ٨/٣٩٥.

(١) ينظر: المنهاج (صحيح مسلم بشرح النووي) ٢/٢٢٠، عند حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ^ قال: « أتاكم أهل اليمن – وفي رواية – جاء أهل اليمن... الفقه يمانٍ، والحكمة يمانية ».

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٣/٦١، وفيه: « نزلت الحكمة على ألسنة العرب، وعقول اليونان، وأيدي الصينيين ».

الميثاق على الأنبياء أو غيرهم على ما مرّ أنّهم إن جاءهم محمّد ﷺ يؤمنوا به وينصروه.

وإلى هذا ذهب السّبكي[(١)]، وأخذ من الآية أنّه ﷺ نبيّ الأنبياء، وأنّ رسالته عامّةٌ لكلّ النّاس من آدم إلى يوم القيامة لا من زمنه فقط، ويكون قوله: « بعثتُ إلى النّاس كافّةً » [(٢)] لا يختصّ به النّاس من زمنه إلى يوم القيامة / [٩أ]، بل يتناول مَنْ قبلهم أيضا.

ويؤيّده قول عليّ بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه[(٣)] ـ: « ما بعث الله نبيّا آدمَ

---

(١) هو علي بن عبدالكافي السبكي الشافعي، تقي الدين أبو الحسن، عالم مشارك في الفقه والتفسير والنحو، وغيرها من العلوم، ولد بسبك العبيد من أعمال المنوفية بمصر، تفقه على والده، ومن تصانيفه: الابتهاج في شرح المنهاج للنووي، والمواهب الصمدية في المواريث، وغيرها. توفي سنة (٧٥٦)هـ.

ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر ٣/٦٣.

والعبارة عند السبكي هي: « قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبياً إلا ذكر محمداً وبَعْثَهُ، وأخذ عليه ميثاقَهُ إن أدركه ليؤمنن به، وأن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم... ». ينظر: السيف المسلول على من سب الرسول ^ (ص ٤٤٤). وينظر للزيادة: فتاوى السبكي ١/٤٠ –٤٣، والتفسير الكبير للرازي ٨/٢٧٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/١٩١، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٠٠.

(٢) الحديث متفق عليه، من حديث جابر بن عبدالله – رضي الله عنه – أخرجه البخاري في كتاب التيمم، وفي المساجد، باب قول النبي ^ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً »، وفي الجهاد، باب قول النبي ^ : « أحلت لكم الغنائم ».

وأخرجه مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١) بألفاظ متقاربة.

(٣) هذه العبارة (كرم الله وجهه) في الغالب من عمل النساخ، وإن كانت من المؤلف فيقال بدلاً منها: (رضي الله عنه)، لأن علياً – رضي الله عنه – لا يُخص بهذه العبارة، بل يترضى الله عليه كسائر الصحابة – رضوان الله عليهم – قال تعالى:] ! " # $ =

فمن بعده إلاّ أخذ عليه العهد في أمر محمّد ﷺ، وأخذ هو العهد على قومه ليؤمننّ به، ولئن بعث وهم أحياء لَيَنْصُرُنَّهُ » اهـ[(١)].

وما نقله البغوي[(٢)] أنّ الله تعالى قال للأنبياء حين استخرج الذّرّيّة من صلب آدم والأنبياء فيهم كالمصابيح، وأخذ عليهم الميثاق في أمر محمّد ﷺ: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ﴾ الآية اهـ[(٣)].

وما نقله في « شرح المواهب » [(٤)] أنّه تعالى لمّا خلق نور نبيّنا ﷺ أخرج منه

2 1 0 / . - , + *) (' & % =
3 4 5 6 8 9 : Z [سورة التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى:] _
` a b c d e f g h i j k l m n o
p q Z [سورة الفتح: ١٨].

(١) الأثر – المذكور – عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أورده الطبري في جامع البيان ٥/٥٤٠، والبغوي في معالم التنزيل ٢/٦٢، والسيوطي في الدر المنثور ٣/٦٤٧.

(٢) هو أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، إمام في اللغة والتفسير والحديث، له مؤلفات عديدة، وقد بورك له في تصانيفه، وزرق فيها القبول، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، توفي سنة (٥١٦)هـ.
ينظر: سير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص ٣٨).

(٣) ينظر: معالم التنزيل ٢/٦٢، وجامع البيان للطبري ٥/٥٣٥، والدر المنثور للسيوطي ٣/٦٤٧.

(٤) شرح المواهب اللدنية، الشرح للعلامة محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني المالكي، (أبو عبدالله) محدث، فقيه، أصولي، ولد وتوفي بالقاهرة، من تصانيفه: شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، ومختصر المقاصد الحسنة، توفي سنة (١١٢٢)هـ. ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/٣٨٣، وعجائب الآثار للجبرتي ١/٦٩، والأعلام للزركلي ٧/٥٥.

والمواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، محدث، مؤرخ، فقيه، من تصانيفه: إرشاد الساري على صحيح البخاري، وفتح الداني في شرح حرز الأماني، وغيرها، توفي سنة (٩٢٣)هـ. ينظر: الضوء اللامع للسخاوي ٢/١٠٣، شذرات =

أنوار الأنبياء، وكمّلهم بإفاضة الكمالات والنّبوّة، وأمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء، فغشيهم من نوره ما أنطقهم به، وقالوا: يا ربّنا مَنْ غَشِيَنا نورُه؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمّد بن عبد الله، إن آمنتم بـه جعلتكم أنبياء. قالوا: آمنّا بـه وبنبوّته. فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم، فذاك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ﴾ الآية اهـ[1].

وعلى هذا فالتّنوين للتّعظيم.

وعلى كلٍّ فأخذ الميثاق عليهم تشريفٌ له ﷺ.

أمّا على الأوّل فلأنّه ﷺ لم يؤخذ عليه ميثاق لأحد لأنّه خاتم الأنبياء.

وأمّا على الثّاني فظاهر.

فإن قلتَ:

= الذهب لابن العماد ٨/ ١٢١، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١/ ٢٥٤.

تنبيه: للنبي ^ نور هو نور الرسالة والهداية التي هدى الله بها بصائر من شاء من عباده، ولا شك أن نور الرسالة والهداية من الله، قال تعالى:] وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ â ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H J K L M N Z [سورة الشورى: ٥١ – ٥٣].

فنور النبي ^ نور هدى ورشاد، كما قال تعالى:] + , - . / 0 1 Z [سورة الأحزاب: ٤٥]. ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١/ ٣٠٧، ٣٠٩، فتوى رقم (١٨٩) (٥٧٨٢) (٦٥٣٤) (٦٧٩٣)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/ ٣٦٦.

(١) ينظر: شرح المواهب اللدنية ٥/ ٢٤٣.

لم عبّر بالرّسالة هنا وبالنّبوّة فيما مرّ؟

قلتُ:

لأنّه لو عبّر بالرّسالة فيما مرّ لتُوُهِّمَ أنّ المأخوذَ عليهم / [٩ب] الميثاقُ للرّسل خاصّةً دون بقيّة الأنبياء، والتّعبيرُ بالرّسالة هنا يلائم المجيء إذ هو هنا بمعنى البعثة.

وحيث ذكر في هذه الآية النّبيّ والرّسول حَسُنَ التّعرّض لشيء ممّا يتعلّق بذلك فنقول:

تعريف النّبيّ والرّسول واشتقاقهما مشهوران[1]، وكذا الخلاف في اقتران

---

(١) ذكر أهل العلم فروقاً بين النبي والرسول، وأحسنها، أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلِّغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر العكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.
ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/١٥٥، وفي كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٢٨١) ما نصه: «النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي وليس برسول، قال تعالى:] X
Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j
k l m n o ¦ q r s Z [سورة الحج: ٥٢]، وقوله:] \
^ _ Z فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول، فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث، وإدريس عليهما السلام – وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً...».

النّبوّة والرّسالة ومبدئهما.

والمشهور أنّهما مقترنان.

والصّحيح أنّ مبدأهما كمالُ أربعين سنةً غالبا.

وأمّا منتهاهما :

فقال العلاّمة الأمير[١] في « حواشي عبد السّلام[٢] » ما نصّه :

« والنّظر الظّاهر أنّهما باعتبار الإيحاء الشّرعي بالفعل ينقطعان بالموت، وباعتبار المزايا المترتّبة عليهما باقيان » اهـ[٣].

ثمّ إنّ الرّوايات قد اختلفت في عدد كلٍّ من الرّسل والأنبياء[٤]:

فروي أنّ الرّسل ثلاثمائة وثلاثة عشر.

---

(١) هو الشيخ العلامة عالم العربية، وفقيه المالكية، محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر السنباوي الأزهري، المعروف بالأمير، تقدمت ترجمته في أول البحث بما يغني عن إعادته.

(٢) هو الشيخ عبدالسلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المصري، المالكي، الفقيه، شيخ المالكية في وقته بالقاهرة، من مؤلفاته: إتحاف المريد بشرح جوهرة التوحيد لوالده إبراهيم اللقاني، حاشية على تذكرة القرطبي، توفي سنة (١٠٧٨)هـ.
ينظر: الأعلام للزركلي ٣/ ٣٥٥، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٢/ ١٤٥.

(٣) ينظر: حاشية ابن الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد (ص ٢٥).

(٤) يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره: وقد اختلف في عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور في ذلك حديث أبي ذر – رضي الله عنه – الطويل، وذلك فيما رواه ابن مردويه – رحمه الله – في تفسيره حيث قال: حدثنا إبراهيم بن محمد... عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال: قلت يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً » قلت يا رسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: « ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير »... الحديث.
وذكر روايات أخرى – وفيها ضعف من جهة الإسناد، وقد تكلم فيها غير واحد من أئمة الجرح والتعديل، والله تعالى أعلم. ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٧٣.

وفي رواية : وأربعة عشر.

وفي رواية : وخمسة عشر.

وروي أنّ الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا.

وفي رواية : وخمسة وعشرون ألفا.

وروي أنّهم ألف ألف ومائتا ألف.

وفي رواية : وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا.

والصّحيح فيهما الإمساك عن حصرهم في عدد؛ لأنّه ربّما أدّى إلى إثبات الرّسالة أو النّبوّة لمن ليس كذلك في الواقع، أو إلى نفي ذلك عمّن هو كذلك في الواقع.

وقد قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

فيجب التّصديقُ بأنّ لله رسلا وأنبياء على الإجمال، إلاّ خمسةً وعشرين / [١٠أ] فيجب معرفتهم على التّفصيل كما أشار لذلك بعضهم بقوله :

حَـتْمٌ عَـلَى كُـلِّ ذِي التَّكْلِيـفِ مَعْرِفَـةٌ ... بِأَنْبِيَـاءَ عَـلَى التَّفْصِـيلِ قَـدْ عُلِمُـوا

فِي تِلْـكَ حُجَّتُنَـا مِـنْهُمْ ثَمَانِيَـةٌ ... مِـنْ بَعْـدِ عَشْرٍ وَيَبْقَـى سَـبْعَةٌ وَهُـمُ

إِدْرِيـسُ هُـودٌ شُـعَيْبٌ صَـالِحٌ وَكَـذَا ... ذُو الكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَـارِ قَـدْ خُتِمُـوا

اهـ « باجُوري على الصّغرى » [(١)].

(١) ينظر: حاشية الباجوري على السنوسية الصغرى (مخطوط) (ق ٤٤).

=

ومعنى كونه مصدِّقا لما معهم أنّه موافقٌ لهم في التّوحيد الذي اشتمل عليه ما أوتوه، فلا يَرِدُ أنّ شريعته مخالفةٌ لشريعتهم في بعض الفروع، كجواز التّيمّم

= وفي قوله: في تلك حجتنا منهم ثمانية... المراد بها في قوله تعالى:] - . / 0
1 2 4 5 6 7 9 : ; < = > ? @ A C
D F G H I K L M N O P Q R
T U V W X Y Z [ ] ^ _ ` a
b c d f g h i j k l m n p
q r s t Z [سورة الأنعام: ٨٣ – ٨٧].

فقد ذكر في هذه الآيات ثمانية عشر نبياً، وهم: (إبراهيم، إسحاق، يعقوب، نوح، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، عيسى، إلياس، إسماعيل، اليسع، يونس، لوط) عليهم الصلاة والسلام.

ويقول الحافظ ابن كثير – أيضاً – عند قوله تعالى:] " # $ % & ' ( )
* + - . / 0 1 2 3 4 5 6
7 8 : ; < = > ? @ A B C D E
F G Z [سورة النساء: ١٦٣ – ١٦٤].

«وهذه تسمية الأنبياء الذين نص الله على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ^ .

وقوله:] D E F G Z أي: خلقاً آخرين لم يذكروا في القرآن...».

ينظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٧١، وقال – أيضاً – عند قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . Z [سورة غافر: ٧٨]، قوله:] * + , - . Z وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف». ينظر: تفسير القرآن العظيم ١٢/ ٢١١.

والصّلاة في أيّ موضع من الأرض، وكزوال النّجاسة بالغسل.

ومعنى إيمانهم به تصديقُهم برسالته.

ومعنى نصرته تأييده على معارضيه.

ولمّا كان لا يلزم من الإيمان النّصرةُ جمع بينهما، وأخّر النّصرةَ عن الإيمان؛ لأنّها ثمرتُه ومترتّبة عليه.

تنبيه:

قال الزّمخشري في تفسير سورة البقرة:

« عَهِدَ الله إلى خَلْقِهِ ثلاثةَ عهودٍ:

العهد الأوّل: الذي أخذه على جميع ذرّيّة آدم عليه الصّلاة والسّلام: الإقرار بربوبيّته وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ الآية[1].

وعهد خَصَّ به النّبيّين عليهم السّلام: أن يبلّغوا الرّسالة، ويقيموا الدّين، ولا يتفرّقوا فيه، وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ**﴾[2].

وعهد خَصَّ به العلماء: وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[3] » اهـ[4].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.

(٤) ينظر: الكشاف ١/ ١٢٠، عند قوله تعالى:] v w x y z { | Z [سورة البقرة: ٢٧].

وعليه فما ذكر في الآية راجعٌ لها.

﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ﴾ : الضّمير في ﴿قَالَ﴾ عائدٌ إلى الله، والهمزة للتّقرير، والإقرار الاعتراف.

والخطاب في ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾ لمن أخذ عليهم الميثاق.

والمعنى: قال الله للمأخوذ عليهم الميثاق الأنبياء أو غيرهم ـ على الخلاف السّابق ـ: قَرُّوا باعترافكم بما أخذ عليكم الميثاق به من الإيمان والنّصرة.

﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ : أي قبلتم معطوفٌ على ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾ /[١٠ب]، فيكون مُقَرّرًا به.

﴿عَلَى ذَالِكُمْ﴾ : الإيمان والنّصر.

وأفرد اسم الإشارة باعتبار المذكور.

﴿إِصْرِي﴾ : أي عهدي[١].

وقرىء: ﴿أُصْرِي﴾ بالضّمّ[٢].

وسمّي إصرا لأنّه ممّا يُؤْصَرُ أي يشدّ ويعقد، ومنه الإصار الذي يعقد به.

ويجوز أن يكون المضمومُ لغةً في أصر كعُبْر وعِبْر » اهـ « كشّاف »[١].

---

(١) ينظر: تفسير عبدالرزاق ١/ ١٢١، جامع البيان للطبري ٥/ ١٥٨، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٦ وقال: « والإصر: العهد، لا تفسير له في هذا الموضع إلا لذلك... »، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٠٠، وعزاه إلى ابن عباس، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والسدي.

(٢) قرأ العامة (إِصْري) بكسر الهمزة وهي الفصحى، وقرأ أبو بكر عن عاصم في رواية (أُصْري) بضمها. قال أبو علي: يشبه أن يكون الضم في (الأُصْرِ)، لغة في (الإِصر) المكسور. ينظر: السبعة لابن مجاهد (ص ٢١٤)، والحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٣/ ٧٠، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/ ٥١٣، والدر المصون للحلبي ٣/ ٢٩٤.

قال في « المختار »[2]:

« عَبَرَ النَّهْرَ بوزن عَذَرَ، وعِبْر بوزن تِبْر شَطُّهُ وجانبُهُ » اهـ[3].

وفي إسناد ﴿قَالَ﴾ إلى ضمير الغائب التفاتٌ نكتته التّنبيه على كمال علمه تعالى حتّى لا يَصْدُرَ عليه ما هو على صورة الاستفهام.

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ : أي قالوا مقرّين بما طُلِبَ منهم الإقرارُ به: أقررنا وأخذنا، فحذف من الثّاني لدلالة الأوّل.

﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[4] :

قيل : الخطاب المأخوذ عليهم وعليه.

فقيل : المعنى ليشهدْ بعضكم على بعضٍ وَأَنَا مَعَكُمْ على إقراركم وتشاهدكم من الشّاهدين.

وقيل : المعنى دوموا على علمكم بذلك واعترافكم به.

فالمراد بالشّهادة هنا الدّوام على العلم والاعتراف.

---

(1) ينظر: الكشاف ١/ ٣٨٠.

(٢) يعني مختار الصحاح، للرازي زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي الحنفي، لغوي، فقيه، مفسر، من تصانيفه: مختار الصحاح، روضة الفصاحة، وغيرها. توفي سنة (٦٠٦)هـ تقريباً. ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٣/ ١٦٨، وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٩٢، والأعلام للزركلي ٦/ ٥٥.

(٣) ينظر: مختار الصحاح (ص ٥٤٣)، مادة (ع ب ر). والعبارة فيه: «عُبْرُ النَّهر، بوزن عُذْر، وعِبْرُه بوزن تِبْرٍ شَطُّه وجَانبه».

(٤) قوله: «﴿قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾: قيل الخطاب المأخوذ عليهم..... اعتناء بالمشهود له لا خوفاً من إنكارهم». موجود على هامش النسخة الخطية وبعدها كلمة صح صح صح، للدلالة على أنه من أصل الكتاب (المخطوط).

وقيل: الخطاب للملائكة أي اشهدوا يا ملائكتي عليهم وأنا معكم من الشّاهدين عليهم بذلك.

والقصد من هذا كلّه زيادة التّوثقة والتّوكيد؛ اعتناءً بالمشهود له لا خوفا من إنكارهم(١).

﴿فَمَنْ﴾ : أي فبسبب ما تقدّم.

﴿تَوَلَّى﴾ : أي أعرض عن الإيمان بالرّسول ونصرته .

﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ : الإقرار والميثاق والتّوكيد.

﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ : أي الخارجون عن الإيمان والطّاعة، أو المتمرّدون من الكفّار.

و﴿مَنْ﴾: يحتمل أن تكون شَرْطِيَّةً، فـ: ﴿تَوَلَّى﴾: فعل الشّرط، وجزاؤه: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

وأن تكون موصولةً و﴿تَوَلَّى﴾ صلتُه، وهو مبتدأ خبرُه: ﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

وقرن بالفاء لمشابهة المبتدأ الشّرطَ في العموم.

وروعي في الأوّل جانبُ اللّفظ فأعيد عليه الضّمير مفردًا، وفي الثّاني

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٥/ ٥٤٦، والكشاف للزمخشري ١/ ٣٨٠، والمحرر الوجيز لابن عطية ١/ ٤٦٦، ومعالم التنزيل للبغوي ٢/ ٦٢، ومفاتيح الغيب للرازي ٨/ ٢٧٨، والبحر المحيط لأبي حبان ٢/ ٥١٤، والدر المصون للحلبي ٣/ ٢٩٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/ ١٩٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٠٠، وروح المعاني للألوسي ٣/ ٢١٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/ ٢٩٩، ٣٠٠.

جانبُ المعنى فأتي بما هو للجمع.

و﴿هُمْ﴾ : يحتمل أن تكون مبتدأً ثانيا، وأن تكون ضمير فَصْلٍ[1].

وإلى هنا نَفْصِلُ الكلامَ على هذه الآية المباركة، والله تعالى أعلم بالصّواب، وإليه المرجع والمآب.

تمّ نسخها في (١٦) سنة (١٢٧٩).

ستّة عشر يوما مضتْ من شهر ربيع الأولى.

سنة تسع وسبعين ومائتين وألف.

على يد كاتبها الفقير محمّد أحمد أبو حجر غفر له بمنّه.

(١) ينظر: جامع البيان للطبري ٥/٥٤٦، وإعراب القرآن للنحاس ١/٣٩٢، والكشاف للزمخشري ١/٣٨٠، ومفاتيح الغيب للرازي ٨/٢٧٩، والبحر المحيط لأبي حيان ٢/٥١٤، والدر المصون للحلبي ٣/٢٩٥، وروح المعاني للألوسي ٣/٢١٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٣/٣٠٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه تقضى الحاجات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها في خاتمة هذا البحث:

١ – أن موضوع البحث في هذا المخطوط عن بيان قوله تعالى:] k l m n o Z [سورة آل عمران: ٨١، ٨٢].

٢ – أن المؤلف أكثر النقل من مصادر التفسير ، وعلوم القرآن الكريم، واللغة العربية، والبلاغة، فكانت معيناً في البحث على تحصيل الفائدة العلمية بالرجوع إلى تلك المصادر القيمة.

٣- من مصادر المؤلف تفسير ابن جرير الطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، والكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للرازي، وأنوار التنزيل للبيضاوي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ومغني اللبيب لابن هشام، وجملة من حواشي اللغة العربية، مثل: حاشية الصبان، وحاشية الأشموني، وحاشية الأمير، بالإضافة إلى عدد من كتب اللغة والبلاغة والبيان وغير ذلك.

٤ – عناية المؤلف بالنكات المتعلقة بأساليب القرآن الكريم المنيفة، كما نص على ذلك في مقدمة المخطوط.

وفي الختام أتوجه إلى الله – عز وجل – بالحمد والثناء على الوجه الذي يرضيه، وأسأله سبحانه أن يكتب التوفيق والقبول في الدارين، وأن يعفو عن الخطأ والزلل، وأن يجزي عني خيراً كل من أسهم في هذا البحث بجهد من قريب أو بعيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر

- الإتقان في علوم القرآن، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تقديم وتعليق الدكتور: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ.
- إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية، تأليف: زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- البحر المحيط، لأبي عبدالله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبدالله العمري، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- البرهان في ترتيب سور القرآن، لابن الزبير الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف، المغرب، ١٤١٠هـ.
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، تحقيق: يوسف بن عبدالرحمن المرعشلي، والشيخ جمال حمدي الذهبي،

والشيخ إبراهيم عبدالله الكردي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٠هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة الدينوري، شرح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية.
- التبصرة في القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، الدار السلفية، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
- تذكرة الحفاظ، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
- تفسير القرآن العزيز، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق الدكتور: عبدالمعطي قلعجي، دار المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- تفسير القرآن، لابن المنذر النيسابوري، تحقيق: سعد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
- التفسير الكبير (تفسير الرازي) لفخر الدين محمد بن عمر البكري

الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون ومجموعة من الباحثين.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر، (صحيح البخاري) للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي، عناية: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

- حاشية ابن الأمير على إتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
- حاشية الأمير على مغني اللبيب، لابن هشام، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- حاشية الباجوري على السنوسية، لإبراهيم بن محمد الباجوري (مخطوط)، جامعة الملك سعود بالرياض.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، تحقيق: عبدالعال مكرم، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤١٧هـ.
- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تأليف الإمام: شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ذيل مرآة الزمان، لقطب الدين موسى اليونيني، دار الكتاب

الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد المالقي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- روح المعاني، للألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
- سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المشهور (بابن العماد) تحقيق: عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تأليف العلامة صدر الدين علي بن علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.
- شرح المواهب اللدنية، لمحمد بن عبدالباقي الزرقاني، المطبعة الأزهرية، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
- شرح مقامات الحريري، لأبي العباس أحمد الشريشي، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

- الصحاح، تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، تأليف: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- طبقات الحفاظ، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق الدكتور: علي بن محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ١٤١٧هـ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي، تحقيق الدكتور: محمود الطناحي، والدكتور: عبدالفتاح محمد الحلو، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
- طبقات المفسرين، للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبدالرحمن الجبرتي، المطبعة الأزهرية، ١٣٠١هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.
- فتاوى السبكي، عناية: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: الشيخ أحمد بن عبدالرزاق الدويش، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- الفتوحات الإلهية، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، تحقيق: عبدالرحمن الحمود، طبعة عالم الفكر.
- الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب حسين الهمداني، تحقيق: محمد حسن النمر، دار الثقافة، الدوحة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- الفهرس الشامل للتراث العربي الشامل المخطوط (الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله) مخطوطات التفسير وعلومه، الناشر: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل البيت، عمان ١٩٨٩م
- فهرس مصنفات تفسير القرآن الكريم، إعداد: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ.
- كتاب السبعة، لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- كتاب النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالرحمن

عوض، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، ترتيب: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ.
- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
- مباحث في علوم القرآن، تأليف: مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ.
- محاسن التأويل (تفسير القاسمي) لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، توزيع مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- المحتسب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وغيره، دار سزكين للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.

- المحرر الوجيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام محمد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- مختار الصحاح، تأليف زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ.
- مدخل إلى علوم القرآن والتفسير، تأليف الدكتور: فاروق حمادة، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، للدكتور: محمد محمد أبو شهبة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- المسند الصحيح المختصر من السنن (صحيح مسلم) للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.
- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تأليف الحافظ المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي، تحقيق وتعليق وتخريج الدكتور: عبدالسميع محمد أحمد حسنين، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- المطول على التلخيص، لسعد الدين التفتازاني، مطبعة سنده، ١٣٠٨هـ.
- معالم التنزيل (تفسير البغوي) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: مجموعة من المؤلفين، دار طيبة للنشر والتوزيع،

الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: عبدالجليل شلبي، دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- معاني القرآن، لأبي الحسن الأخفش الأوسط، تحقيق: هدى قراعة، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى الفراء، تحقيق: محمد النجار، دار السرور.
- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت.
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للإمام شمس الدين أبي عبدالله بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق الدكتور: طيار آلتي قولاج، منشورات مركز البحوث الإسلامية، تركيا، الطبعة الأولى.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك وغيره، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق:

صفوان عدنان داودي، توزيع دار البشير، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
- مقدمتان في علوم القرآن، نشر آرثر جفري، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.
- المكي والمدني في القرآن الكريم، لعبدالرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المكي والمدني في القرآن الكريم، للدكتور: محمد بن عبدالرحمن الشايع، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الناسخ والمنسوخ، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: سليمان اللاحم، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تخريج: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق مجموعة من المؤلفين، دار الكتب العلمية، بيروت،

الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

الماء النازل من السماء
في ضوء القرآن الكريم

د. سلمى بنت داود بن إبراهيم بن داود

د. سلمى بنت داود بن إبراهيم بن داود

- الأستاذ المساعد بقسم القراءات بجامعة أم القرى.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة أم القرى بأطروحتها (تحقيق كتاب اللباس من التوضيح شرح الجامع الصحيح لابن بطال / ١٤١٩هـ).
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بأطروحتها (ترجيحات أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط / من أول سورة السجدة إلى آخر سورة الزمر / ١٤٢٩هـ)

المقدمة

الحمـد لله القائـل : ﴿uqèdr “%©!$# ãA̍i\ãƒ y]øtóø9$# .`ÏB ω÷èt/ $tB (#qäÜuZs% ãà³⊥tƒur ¼çmtGuH÷qu' 4 uqèdur '<Í<uqø9$# ߉ŠÏJptø:$#﴾[الشورى:٢٨]، والصلاة والسلام على القائل: "**مطرنا بفضل الله ورحمته**"(١)، وعلى آله ، ومن تبعه على الهدى المستقيم.

ثم أما بعد :

فإن من أجل نعم الله تعالى على عباده أن خلق الماء، وأنزله لهم وأودع فيه حياة كل كائن، قال جل جلاله :﴿$uZù=yèy_ur z`ÏB Ïä!$yJø9$# ¨@ä. >äóÓx« @cÓyr﴾[الأنبياء:٣٠]، فعرش الرحمن على الماء، والإنسان جسده من الماء، والأرض عبارة عن كرة من الماء واليابس فيها الربع.

وموضوع البحث : الماء النازل من السماء، ودلالاته في القرآن الكريم، ينبئ عن مضمونه، فهو دراسة تفسيرية موضوعية جُمعت فيها الآيات التي ورد فيها ذكر الماء النازل من السماء.

وتأتي أهمية الموضوع في لفت الأنظار إلى دلائل التوحيد والألوهية، والربوبية، وعظمة الله تعالى في مخلوقاته، حيث انصرف كثير من المسلمين للتعلق بالأسباب المادية المتعلقة بالمطر، دون ربطها بالجانب الإيماني المذكور في القرآن والسنة، فالتدبر في هذا الآية الكونية (نزول المطر) له أهمية في زيادة إيمان المؤمنين، وفي إيمان غيرهم، لأن التقدم العلمي يكشف لنا عن تفاصيل تكوين هذا الماء، وكيفيته، وهو لا يعدو من لفت الأنظار إلى

(١) سيأتي تخريجه ص ٤٧.

الماديات فحسب، بينما هذه الآيات القرآنية هي العلم الشرعي، والحقائق الربانية المعتنية بالجسد والروح معاً، وبالجانب الحسي والمعنوي، فبه تحيا القلوب وتنار البصائر، وهو الطريق إلى الفلاح، وكل ما في الوجود شاهد على وجود الله، ومن ذلك هذا الماء النازل من السماء بأمر الله تعالى، حيث تهتز له الأرض وتحيا بعد موتها، ويستبشر به الإنسان، والحيوان، فيحي به الله تعالى القلوب، كما يحي به الأرض الميتة،. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في آيات كثيرة.

وإن من أهم أسباب اختيار هذا الموضوع ما يأتي :

١- قلة من كتب فيه، فأردت جمع ما تيسر لي من الآيات التي تدور حوله.
٢- بيان عظمة الله تعالى في خلقه، وعظمته في كلامه سبحانه عن هذا الخلق العظيم (الماء).
٣- بيان ما تضمنته الآيات من حكم.

وحتى ينهض البحث بالمهمة التي أنيطت به، ويحقق الهدف الذي يصبو إليه، فقد قسمته البحث إلى مقدمة، وسبعة مباحث، وخاتمة:

أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأما

المبحث الأول : فحول **أسماء الماء النازل من السماء**، ذكرتها حسب ترتيب السور ويتضمن :

١- ذكر الاسم وموضع وروده في القرآن.
٢- معنى الاسم، والمعنى الإجمالي للآية، أو الآيات.
٣- ذكر ما يستفاد من الآيات .

٤ - الحكمة من تعدد هذه الأسماء.

والمبحث الثاني : أوصاف الماء النازل من السماء،ويتضمن ذكر الصفة والآيات التي وردت فيها، وهي عشر صفات- ذكرت الصفة المفردة أولاً، ثم قرنت بين الصفات المتشابهة ثانياً- : (مبارك)، و(أُكل + رزق) فالأكل فيه معنى الرزق، و(الغدق + الطهور) فالغدق فيه معنى الطهور، و(المنهمر + الثجاج+ المدرار) لأن المنهمر فيه معنى الثجاج، والمدرار، و(الفرات + غير الأجاج) لأن الفرات غير أجاج.

المبحث الثالث: أغراض نزول هذا الماء .

ويتضمن الآتي :

١ - **ضرب المثل به**، وذلك في مواضع:

أ- يضرب الله تعالى به المثل في المتصدق المنان، والمتصدق المبتغي رضى ربه.

ب- يضرب الله تعالى به المثل في زوال الحياة الدنيا.

ج- يضرب الله تعالى به المثل للحق والباطل.

٢ - **للنقم والعذاب**، ومن ذلك :

أ- إنزال المطر محنة وعذاباً وبلاء على قوم نوح على رسولنا ، وعليه الصلاة والسلام.

ب- إنزاله محنة وعذاباً وبلاء على قوم سبأ.

٣ - **للنعم والامتنان** ، ومن ذلك :

أ- إحياء الأرض بعد موتها.

ب- إخراج الزرع والرزق للعباد.

ج- سقيا وشراب للخلق.

د- التطهير والتثبيت.

المبحث الرابع : أماكن وجود هذا الماء ، ويتضمن :

١ - أماكن تواجد هذا الماء بعد نزوله.

٢ - الأماكن التي تنتفع من نزول الماء عليها واحتباسه فيها .

المبحث الخامس :أحوال العباد وقت نزول المطر، ووقت انحباسه، ويتضمن:

١ - بين القنوط والاستبشار.

٢ - بيان الآثار المترتبة من تكوين المطر ونزوله.

المبحث السادس: بيان مُنْزِل هذا الماء.

المبحث السابع : الأسباب الموجبة لنزول المطر:

الخاتمة : وقد جمعت فيها أهم نتائج البحث المستخلصة .

هذا وإنني أشكر الله تعالى أن أتم هذا البحث بفضله، فما هي إلا إلمامة ممن ترجو من مولاها التوفيق والسداد، وتسأله الهداية والرشاد، وتستغفره عن الخطأ والتقصير.

إنه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول: أسماء الماء النازل من السماء :

للماء النازل من السماء في القرآن الكريم عدة مسميات، كل منها تدل على معنى متغاير حسب السياق، وهي :

السماء، والصيب، والطل، والغيث،والمطر،والوابل، والودق، وسأذكرها حسب ترتيب سور القرآن .

أولاً : الصيب:

وقد ورد ذكره مرة واحدة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿r&

`Ë NÍÎ#Œ#ä þÎ ÷àèÎ» ¹ & bqè#ø× ×ö/r Ýã 'r Ö»KèŠ ïÌši ä$J¡ 9$`Ë 5=ÍÁ .

Ñè•» Á ä# Ü ä9#$3ƒ Ç:È ûïÌ»ÿ3$# Ÿ šiê ª! $ Ñ öJ$' ‹ n È ã ºq Á 9$

Ñgèð ¡ Î = d%! ª! $ä$© ö9r ãqã$% ÑÎ Žæ N= & ‡Œ)r ïši ö±B N9 ä$ Ê & $J-ä

Ñ Ü Ì» Á r ﴾ Ô%% Ô« ä 4ã ©$ž c Ï Ñ Ì» Á r [البقرة :١٩].

معنى الصيب : المطر، والصيب الفَيْعِل من قولك: صَاب المطر يَصوب صَوبًا فهو صيب، إذا انحدَر وَنزَل، كما قال الشاعر(١):

فَلَسْتُ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لمَلأَكٍ... تَنَزَّلَ مِن جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ.

والقول بأن الصيب هو المطر مروي عن ابن مسعود، وابن عباس، وناس

---

(١) البيت غير منسوب في المفردات في غريب القرآن(١/ ١٤٥)، وذكر في لسان العرب (٤٤٩/٧) الاختلاف في نسبته، وفي الصحاح(٢/ ٣٩٩) هو لرجلٍ من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك.

من الصحابة، وأبي العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء رضي الله عنهم[١] .

ومعنى الآية: ضرب الله تعالى في هذه الآية مثلاً لضرب آخر من المنافقين غير المذكور في الآية التي قبلها، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة، ويشكّون فيه تارة أخرى، فقلوبهم في حال شكهم وكفرهم وترددهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾،فحالهم كحالَ جماعة يمشون في العراء، فينصب عليهم مطر شديد، تصاحبه ظلمات بعضها فوق بعض، مع قصف الرعد، ولمعان البرق،والصواعق المحرقة، التي تجعلهم من شدة الهول يضعون أصابعهم في آذانهم؛ خوفًا من الهلاك. والله تعالى محيط بالكافرين لا يفوتونه ولا يعجزونه[٢].

ثانياً : الوابل:

وقد ورد ذكره ثلاث مرات في آيتين من سورة البقرة حيث ضرب الله تعالى به المثل للمنفق الذي يكون مناناً ومؤذياً ﴿7'»ƒgĝ$$©‰ïû ä#Bžq) ÿw7èÜèq)

Qöׯ۳ ‹I $Î ßBsãŸwr Ä $Z9$ä$•í ¼ã$B ßŸyãƒ "É9$ 3‘ ŒF$ ÇJ¯Î NäG»%‰| ¹

žw ٤ #$Yt| ¹ ¼çŸ2 žlù @Î#r ¼ç/$| ¹ 'ùÈ #•ê[٣] ïøã) A#qý| ¹ @VJ. ¼éé/Jù •ÅF$

---

(١)تفسير الطبري (١ / ٣٣٣)،وتفسير ابن كثير(١ / ١٨٩).

(٢) التفسير الميسر (١/ ٣٣).

(٣) ﴿ صَفْوَانٍ ﴾ اسم جنس جمعي واحد صفوانه كشجر وشجرة وهو الحجر الكبير الأملس ، مأخوذ من الصفاء وهو خلوص الشيء مما يشوبه . يقال : يوم صفوان أي صافي الشمس . الوسيط لسيد طنطاوي (١/ ٤٩٠).

(٤) الصلد : هو الشيء الأجرد النقي من التراب الذي كان عليه . ومنه رأس أصلد إذا كان لا ينبت =

@ÿBr ÇÈÏÍÈ ûïíÿ»3%$Pq)%$ " ‰gƒ ẅ ª! $# (qç¡ Ÿ2 $£Ï ãó« 4?ã šc rã‰)ƒ

ÿ_ @VJ. ÑgÅ ãR& ôÏ $G•Î[ør «! $ÅV $|Ê öB ä$óÏG/$$Ng9ºqB& šc qà)ÿ ãûïÏ%©$

ª! $# @Ùù @Î#r $köÅ ãÑ©bÎù Éú ÿèÅÊ $g=à2 éM?$«ù @Î#r $g/$|¹ & oqö•Î

$JÎ?èJè bq=è/ Å•Î ﴾ [البقرة:٢٦٤-٢٦٥].

معنى الوابل:

- الوَبْلُ والوابِلُ المطر الشديد الضَّخْم العظيم القطْرِ. يقال: وبلت السماء تبل وبلا ووبولا اشتد مطرها[1]،فهو مطر عظيم القطر.

وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، والسدي، والضحاك.

والمعنى: يا أيها المؤمنون لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فيكون مثلكم كمثل المنافق الذي ينفق ماله من أجل الرياء لا من أجل رضا الله ، وإن مثل هذا المنافق في انكشاف أمره وعدم انتفاعه بما ينفقه رياء وحباً للظهور مثل حجر أملس لا ينبت شيئاً ولكن عليه قليل من التراب الموهم للناظر إليه أنه منتج فنزل المطر الشديد فأزال ما عليه من تراب فانكشفت حقيقته وتبين للناظر إليه أنه حجر أملس صلد لا يصلح لإنبات أي شيء عليه، فالتشبيه في الآية الكريمة بين الذي ينفق ماله رياء وبين الحجر الكبير الأملس الذي عليه شيء من التراب ستر حاله، ثم ينزل المطر فيزيل التراب

= شعراً ، والأصلد الأجرد الذي لا ينبت شيئاً مأخوذ من صلد يصلد صلدا فهو صلد .المرجع السابق.

(١) لسان العرب (١١/ ٧١٨).

وتنكشف حقيقته ويراه الرائي عارياً من أي شيء يستره، وكذلك المنافق المرائي في إنفاقه يتظاهر بمظهر السخاء أمام الناس ثم لا يلبث أن ينكشف أمره لأن ثوب الرياء يشف دائماً عما تحته، وإن لم يكشفه فإن الله كاشفه[١].

ثالثاً: الطل:

وقد ورد ذكره مرة واحدة في ضرب المثل لعمل المؤمن الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، فليس لخيره خُلْف، كما ليس لخير هذه الجنة خُلْف على أيّ حال ينزل فيها المطر، إمَّا وابلٌ، وإمّا طلّ. قال الله تعالى: ﴿ ûïÏ%©!$ ã@sWtBr

ßqè=ôJ ¥_ è@VJ. ßgÅ¡àÿR& ôÏiB $\G•Î6ø[s?r «!$ ÅV $|ÊötB äî!\$óÏGö/$# ãNßgs9ºuqøBr& šcqà)ÏÿYã

$JÎ ª!$ur @@Üù @Î#r $köÅ ãNs9 bÎù Éú ÷üxÿèÅ $ygn=à2 éNt?$«ù @Î#r $ygn/$| ¹ &

?ŠÏèt/ bqè=yJ÷ès? ﴾[البقرة:٢٦٥].

معنى الطل:

الطَّلُّ المَطَرُ الصِّغارُ القَطر الدائمُ وهو أَرْسخُ المطر نَدًى، قال ابن سيده: الطَّلُّ أَخَفُّ المطر وأَضعفه ثم الرَّذاذُ ثم البَغْش وقيل هو النَّدى وقيل فوق النَّدى ودون المطر وجمعه طِلالٌ[٢]. قال ابن عباس وغيره: هو المطر الضعيف المستدق من القطر الخفيف، وهو مشهور اللغة[٣]،وهو الرَّذَاذ اللين من المطر، وهو مروي عن الضحاك[٤].

---

(١) تفسير النسفي (١ / ١٣٤).

(٢) لسان العرب (١١ / ٤٠٥).

(٣) تفسير القرطبي (٣ /٣١٧).

(٤) تفسير ابن كثير (١ / ٦٩٥).

والمعنى : أن هذه الجنة لطيبها وكرم منبتها تزكو وتثمر كثر المطر النازل عليها أو قل فكذلك نفقة المؤمنين المخلصين تزكو عند الله وتطيب كثرت أو قلت، لأن إخلاصهم فيها جعلها عند الله تعالى مضاعفة نامية، ثم ختم سبحانه الآية بقوله : ﴿**والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ أي أنه سبحانه عليم بأحوال عباده لا تخفى عليه خافية وسيجازي المخلصين بما يرضيهم كما سيجازي المنانين والمرائين بما يستحقون، ففي الآية الكريمة ترغيب وترهيب ووعيد[1] .

ما يستفاد من الآيات :

١ - تدبر كيف أن القرآن الكريم قد ساق - في هذه الآية وسابقتها - حالتين متقابلتين : حالة الذي يبطل صدقته بالمن والأذى والرياء، ومآله وعاقبته. وحالة الذي ينفق ماله طلباً لرضا الله وتعويداً لنفسه على فعل الطيبات ومآله ومصيره عند العليم الخبير. ولقد صور القرآن هاتين الحالتين تصويراً مؤثراً بديعاً، من شأنه أن يهدي العقلاء إلى فعل الخيرات ، وإخلاص النيات ، واجتناب السيئات[2] .

٢ - بيان بركة آثار المطر؛ لقول الله تعالى: ﴿ ù«$?M éé $g=à2 Ê ÿè ü ú É ﴾؛ ولهذا وصف الله المطر بأنه مبارك في قوله تعالى: ﴿ rR ø Z$ B Ë`$9 ¡¡ J $ä B$ã B6»Z% ù'R;G Z$ Îi ¾ _ Z» M mr =$ø t Å Š‰ ﴾ [ق: ٩] .

---

(١) تفسير القرطبي (٣ / ٣١٧)، تفسير الرازي (٣ /٤٩٧).

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٤٩٤).

٣ - بيان ما للنية من تأثير في قبول الأعمال؛ لقوله تعالى: ﴿ÅV $Ê ÷B ä$óÏÏ$Î$ $ I» ﴾ وأن عمل المؤمن لا يبور أبدًا، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه[١].

رابعاً : المطر :

وقد ورد ذكره في موضعين في القرآن الكريم :

١ - في سورة النساء إذ جعل نزوله سببا ورخصة لوضع السلاح في صلاة الخوف، قال الله تعالى: ﴿ r÷Î)ä #Œ|MZä |ÍŽÏù ÷ÎIÏ'ù ï%Mð |MG9 9$$¨Á¢=4 o4ùFÇÉ Nàå

`B ÷ÎÿçøÎ}yä Ú#r 7 èB N¼ç6ï $ÿ8Ïs®B #ŒÎû ™Ú %Ïr(rqŠ$a%ŧqŠ$(Ö$þÍ !$#yf

(r¬äÇ ÷Îÿr 7 èB (q•Á ãù (q•Á ã9 ÷ô 2" •-z¬p ÿÍ$Û ÏN Ù Ì5 Nà6 Í#'r

Nä Ï ÿ¼sÎð& ôã šc q=ÿ ø ? ö9 (r&ÿ . ` ƒïÏ$šr Nä ÿsÎð&r Nd ‘õh

b%. bÎ) Nà6 øã y$Ÿã_ Ÿwr 2‰ h°r \#ø ß Nà6 øæ bqè Ü Šù ÿ6èÏG&r

Nä'õh (rä¨ r Nä G sÎð&(bã Ò? b& #ø Ì ÷B N Ç ä r& Ü B ` B " È& Nä Î)

©!$# (rãà2 ÷ Šù o4ùFÇÉ 9$$#ŒÏ ÷%™ #Œ ÷ù $¥Kûg ÷ B $Y#‹ã ûïÌ ÿ»3ù %ã& ©!$# bÎ)

bÎ) o4ùFÇÉ 9$$(q3ŠÎ 'ù ŒÇ YR Ù ÷ô $# Œ ÷ù Nà6 Î qã Ÿã_ 4?ãr #Ÿqè&r $V»ŠÏ

9$$ o4ùFÇÉ . M R% ?'ã $ ûÏÍ ÿ ÈŒ šú ÏFÌ $ Y ÷¨ B $ Y qè ﴾ [النساء:١٠٢].

المعنى الإجمالي :

إنه إن تعذر حمل السلاح إما لأنه يصيبه بلل المطر فيسود وتفسد حدته، أو لأن من الأسلحة ما يكون مبطناً فيثقل على لابسه إذا ابتل بالماء،

---

(١) تفسير القرآن لابن عثيمين (٥ / ٢٦٠).

أو لأجل أن الرجل كان مريضاً فيشق عليه حمل السلاح، فهاهنا له أن يضع السلاح، مع التَّيَقُّظ والحذر؛ لِئَلاَّ يَهْجُم العدو عليهم[1] .

ما يستفاد من الآيات :

- إنّ الأمور بمقاصدها وما يحصل عنها من المصالح والمفاسد، حيث جعل ما هو أكمل في أداء الصلاة رخصة في الخوف،فرخص في وضع الأسلحة عند المشقة ولذا قيّدت الرخصة مع أخذ الحذر[2]، فحمل السلاح في هذه الحالة يشق ، ولا يفيد . ويكفي أخذ الحذر؛ وتوقع عون الله ونصره[3] .

٢ - في سورة الأحقاف، وذلك أن قوم عاد لما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضًا في السماء متجهًا إلى أودیتهم قالوا: هذا سحاب ممطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع، قال الله تعالى: ﴿ù=Ḝ$ ‘&r¢ æ‰ í Ê$ B óG)ô@ Ÿ&rŠÉÏN

%$(q è»d #<æ‰ í Ü ÖŒÉÜø÷ãR$ /@ èdq B$$™ÖGè fù ûÏm î/Ûf Ó ü Žk ã <# è& Oï9L﴾ [الأحقاف :٢٤].

المعنى الإجمالي :

قال المفسرون كان المطر قد حبس عن عاد فساق الله إليهم سحابة

(١) تفسير الرازي (٥ / ٣٦٤).

(٢) التحرير والتنوير (٤ / ٢٤).

(٣) في ظلال القرآن (٢ / ٢٢٩).

سوداء فلما رأوها فرحوا و قالوا هذا عارض ممطرنا، فقد كانوا في حاجة إلى المطر فقال لهم هود -عليه الصلاة والسلام- بل هو ما استعجلتم به ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب أليم فنشأت الريح من تلك السحابة تدمر كل شيء أي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والأموال قال عمرو بن ميمون لقد كانت الريح تحتمل الظعينة فترفعها حتى ترى كأنها جرادة فأصبحوا - يعني : عادا - لا يرى إلا مساكنهم[١] .

ومما يستفاد من هذه الآية أنه :

ينبغي توقي الحذر عند رؤية الغيم،أو الريح، والمسارعة إلى التوبة والاستغفار، وطلب الرحمة من الله تعالى،وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت :" **ما رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم ضاحكا حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم قالت : وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه قالت : يا رسول الله الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية ؟ فقال : يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا**"[٢].

خامساً : الغيث:

وقد ورد ذكره في أربعة مواضع في القرآن الكريم :

---

(١) زاد المسير (٧ / ٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة حم (٤٥٥١)(٤/ ١٨٢٧)، وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم (٨٩٩)(٢/ ٦١٦).

١ - تارة يأتي للبشارة به بعد الجدب وإدخال المسرة والأمل بعد الكلام المؤيس ، وهو من لازم انتهاء مدة الشدة، ومن سنن الله تعالى في حصول اليسر بعد العسر قال الله تعالى:﴿ NŠÜ R¾æ 7 9ºŒ ‰è/ .` B ’ÎÛ Sê ﴿ ãóS$ $Z9$ß r ãã NŠÜr èf Ç ğbr﴾[يوسف:٤٩].

٢ - وتارة يبين سبحانه أنه ينزل الغيث في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ولا يعلم ذلك غيره سبحانه، فهي من مفاتيح الغيب الخمس(١) قال الله تعالى :﴿ ’Î $B Ð=èƒr] øó9$ Ú^ Î\ãr þã$¡¡ 9$Šãüè ¼çç‰Yã ©!$b Ï ﴾ ¤$ ÖRn Q% ?$Br “ Í ?%ö 6 ò Å ÿ ?#Œ$B S ÿ R “ Í ?$Br Ï 6 S ÿ R ’ Ï 'À ö Ê ? Ú q B Ï ©!$b Î æŠÐ z ô Î ž ﴾[لقمان :٣٤].

٣ - وتارة يمتن على عباده بإنزاله من بعد إياس الناس من نزول المطر، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ﴿r qè$ ‰ “ ã\Îã$ ø] ` B ’ è‰$ B %Z ü q ë r ƒ Y ã ç ‘ ôJ ¼ç ç G q è ‹ÍÙ s ‹ Ü ‹ ﴾[الشورى:٢٨].

٤ - وتارة يضرب الله تعالى بآثاره المثل للحياة الدنيا محقراً، وموهناً لأمرها، يقول الله عز وجلّ:﴿ $ ã=B(pq ‹ s 4 ö ‹ 9$ ‰ R < $ 9 è É r q z r ƒ Z p ? $ ÿ ‹ z ﴾/ ‹ Y ã N 3 ? r Û ’ Î $ ‘] ŠÌ q ‹ É 9$ ‰ » ‰ . J V ã ê Î ø î ß ã f = | $ z 2 2 ä ÿ ‘ $ 7R ¼ç ê S Í ¼‰ / ƒ Í ‹ ù 1 ç ã ã â À ÿ ‹ # ê S / ƒ ¼ã q ã Ü $ ’ Î ‹ Å ã < # ©‰ƒ ÿ B r ÿ ‹ ` B %

﴿ír rãä9$$ß»FB žw) $‹R$!$ä4‹ s 9$$Br k°qè Êír «l $﴾ [الحديد: ٢٠].

معنى الغيث :

في اللغة: المطر، والكَلأُ، وقيل : الأَصل المطر، ثم سُمِّي ما يَنْبُتُ به غَيْثاً، وغاثَ الله البلاد يَغيثُها غَيْثاً وغيثَتِ الأرضُ تُغاثُ غَيْثاً، فهي أرض مَغيثَةٌ ومَغْيوثَةٌ [(١)]. ومعنى **(يغاث)**: قال أبو حيان :"، وقال ابن عباس ومجاهد والجمهور : يغاث من الغيث ، وقيل : من الغوث ، وهو الفرج . ففي الأول بني من ثلاثي ، وفي الثاني من رباعي ، تقول : غاثنا الله من الغيث ، وأغاثنا من الغوث"[(٢)].

الغيث عند المفسرين : المطر[(٣)].

- لماذا سمي المطر غيثا؟

الغيث : المطر، وسمي المطر غيثا لأنه يغيث، فإن في نزول المطر إنقاذاً للعباد والبلاد من الهلاك[(٤)].

- الفرق بين الغيث والمطر :

والغيث ما كان نافعا في وقته، والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته

---

(١) لسان العرب (٢ / ١٧٥)، و الصحاح في اللغة (٢ / ٢٩).

(٢) تفسير البحر المحيط (٧ / ٢٧).

(٣) وهو مروي عن ابن عباس،و قتادة، والضحاك،ومجاهد. تفسير الطبري (١٦/ ١٢٩).

(٤) قال ابن السكيت يقال :" غاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا أنزل فيها الغيث وقد غيثت الأرض تغاث ، وقوله : ﴿ **يُغَاثُ النَّاس** ﴾ معناه يمطرون ، ويجوز أن يكون من قولهم : أغاثه الله إذا أنقذه من كرب أو غم ، ومعناه ينقذ الناس فيه من كرب الجدب". تفسير الرازي (٩ / ٥٣).

وغير وقته[١]، قال ابن عيينة :" ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا، وتعقب بقوله تعالى:﴿@ÜB `Ë “ ]E& Ñãî b‰. bÎ Ñà6 øã y$Ÿã Ẅr﴾، وتسميه العرب الغيث" كما قال الله تعالى : ﴿‰è/ .`Ë] ø%$Aí\ã “ ‰$qèr﴾ ¼çGJôm‘ ŽçãŸ/r (qëZ% $B﴾[٢].

المعنى الإجمالي :

الآية الأولى: ﴿**ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذلك**﴾ ثم بشرهم بعد الجَدْب العام المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك ﴿ **عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ**﴾ أي: يأتيهم الغيث، وهو المَطرُ، وتُغل البلاد، ويَعصرُ الناس ما كانوا يعصرون على عادتهم، من زيت ونحوه، وسكر ونحوه حتى قال بعضهم: يدخل فيه حلب اللبن أيضًا[٣].

ما يستفاد من الآيات :

١ - أن العسر يعقبه يسر.

٢ - الإفادة بأكثر مما سألوا، وهذا الجواب لم تدل عليه الرؤيا وإنما هو مما علّمه الله تعالى يوسف فأفادهم به من غير ما سألوه ذلك إحساناً منه ولحكمة عالية أرادها الله تعالى، وهو الحكيم العليم .

الآية الثانية : يخبر تعالى أنه المنفرد بعلم غيب السماوات والأرض فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن

---

(١) النكت والعيون (٦/٦٩)، تفسير القرطبي (١٦ /٢٩).

(٢) ينظر: مقدمة فتح البارى (١ /٣٦٦)، والتحرير والتنوير (١ / ٦٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٤ / ٣٩٣).

والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له"[١].

الآية الثالثة : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ أي: المطر الغزير الذي به يغيث البلاد والعباد، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ وانقطع عنهم مدة ظنوا أنه لا يأتيهم، وأيسوا وعملوا لذلك الجدب أعمالا فينزل الله الغيث ﴿وَيَنْشُرُ﴾ به ﴿رَحْمَتَهُ﴾ من إخراج الأقوات للآدميين وبهائمهم، فيقع عندهم موقعا عظيما، ويستبشرون بذلك ويفرحون. ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عباده بأنواع التدبير، ويتولى القيام بمصالح دينهم ودنياهم. ﴿الْحَمِيدُ﴾ في ولايته وتدبيره، الحميد على ما له من الكمال، وما أوصله إلى خلقه من أنواع الإفضال"[٢].

ما يستفاد من الآيات :

١- تعديدُ نِعَمِ اللهَّ تعالى الدَّالَّةِ على وَحْدَانِيَّتِهِ ، وأَنَّه المولى الذي يستحقُّ أَنْ يُعْبَدُ دونَ ما سواه من الأنداد.

٢- إن اللفظ القرآني المختار للمطر﴿الغيث﴾ فيه تلبية المضطر في الضيق والكربة.

٣- إن التعبير عن آثار الغيث . . ﴿¼çGJôn' ǩäY/r﴾فيه الفرح، والسرور، التي تنشأ فعلاً عن تفتح النبات في الأرض وارتقاب الثمار . وما من مشهد يريح الحس والأعصاب ، وينـدّي القلب والمشاعر ، كمشهد الغيث بعد الجفاف . وما من مشهد ينفض هموم القلب وتعب النفس

(١) تفسير السعدي (١ / ٦٠٨).

(٢) تفسير السعدي (١ / ٧٥٨).

كمشـهد الأرض تتفـتح بالنبـت بعـد الغيـث وتنـتشي بـالخضرة بعـد الموات.

الآية الرابعة: المعنى: أن الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين إليه لخضرتـه بكثرة الأمطار، ثم لا يلبث أن يصير هشيما كأن لم يكن، وإذا أعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهـما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابـه مفتحـة، إذ أصابها القدر بما أذهبها من يده، وأزال تسلطه عليها، أو ذهب بـه عنهـا، فرحل منها صفر اليدين، لم يتزود منها سوى الكفن، فتبا لمن أضـحت هـي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه(١).

ما يستفاد من الآيات :

هـذا المثـل دالا عـلى زوال الـدنيا وانقضـائها وفراغهـا لا محالـة، وأن الآخرة كائنة لا محالة، ففيه تحَذّير من أمرها وترغّيب فيما فيها من الخير.

سادساً : الودق :

جاء ذكره في القرآن الكريم في موضعين هما:

١- تارة يلفت به الأنظار إلى كيفية نزوله لبيان عظيم قدرة الله تعـالى، وأنـه المعطـي المـانع لـه، قـال الله تعـالى ذكـره: ﴿ Ó9& •? Ó Å"ã©$b& Ó Å"ã©$b Ó Å"ã©$b tž X$t$ Nè

`Ë Ãí\ãr ¾ÏÏ»=Å ôÏ Bß ãø šX ŏq9$ "ŽIù $Ÿ .â¼ãèø Nè¼çZ÷/ ß# Ïsã

ä$K¡¡ 9$ `Ë Å$7Ã `Ë $kŽÏ Ÿ•/ .Ž ŠÅ ãû Ü ¾ÏnÎ `B ã$±„ `B ã ¼çè Ç ƒr ã$±„ `B

(١) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٥٥)، وتفسير السعدي (١/ ٨٤١).

ß¤3ƒ $Z™ ô`Ï%©! ¾ÏmÏ=»n=Åz ô`ÏB ßlã÷‚s† s-ôŠtqø9$# “uŽtIsù ﴾ [النور:٤٣].

٢- وتارة يمتن على العباد بنزوله، ويجعله سببا لنشر رحمته، قال الله جل وعلا: ﴿ ª!$# “Ï%©!$# ã@Åöãƒ yx»tƒÌh9$# çŽÏVçFsù $\/$ptx ¼çmäÜÝ¡ö6uŠsù Îû Ïä!$yJ¡¡9$# y#ø‹x. âä!$t±o„ ¼ã&é#yèøgsur $Zÿ|¡Ï. “uŽtIsù s-ôŠtqø9$# ßlãøƒs† ô`ÏB ¾Ï&Î#»n=Åz ( !#sŒÎ*sù z>$|¹r& ¾ÏmÎ/ `tB âä!$t±o„ ô`ÏB ÿ¾ÍnÏŠ$t6Ïã #sŒÎ) öNèd tbrçŽÅ³ö6tGó¡o„ ﴾ [الروم:٤٨].

وفي الموضعين إشارة إلى عظيم قدرة الله تعالى، وبيان لوحدانيته، ولفت الأنظار إلى تساقط المطر من خلال السحاب إثرَ تراكمِه وتكاثفِه.

معنى الودق:

في اللغة: الودق: مصدر ودق السحاب يدق ودقاً، ومنه استودقت الفرس[1]، ويقال للحرب الشديدة ذاتُ وَدْقَيْنِ تشبيهاً بسحاب ذات مطرتين شديدتين[2]، وقال الراغب الأصفهاني :"الودق:قيل: ما يكون من خلال المطر كأنه غبار، وقد يعبر به عن المطر. قال تعالى: ﴿ “uŽtIsù s-ôŠtqø9$# ßlãøƒs† ô`ÏB ¾Ï&Î#»n=Åz ﴾ [النور/٤٣] ويقال لما يبدو في الهواء عند شدة الحر وديقة، وقيل: ودقت الدابة واستودقت، وأتان وديق وودوق: إذا أظهرت رطوبة

(١) تفسير البحر المحيط (٨ /٣٠١).

(٢) لسان العرب (١٠ / ٣٧٢).

عند إرادة الفحل، والمودق: المكان الذي يحصل فيه الودق"[١].

معنى الودق عند المفسرين :

في " الودق " قولان: أحدهما - أنه البرق،ومنه قول الشاعر[٢]:

أَثَرنَ عَجاجةً وخرجنَ منها ··· خروجَ الوَدْق من خلَلِ السَّحابِ[٣].

الثاني : الودق : المطر كُلُّه شديدُه وهيِّنُه وضعيفه.

قال الشاعر[٤] :

فلا مُزْنةٌ ودَقَتْ ودْقَها ... . وَلاَ أَرْضَ أَبْقَلَ إبْقَالَهَا

وقال امرؤ القيس [٥] :

فدمعُهما وَدْقٌ وسَحٌّ ودِيمَةٌ ... وسَكْبٌ وتَوْكَافٌ وتَنْهمِلانِ

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن (٢ / ٥٠٠)، وقال ابن فارس في مقاييس اللغة (٦ / ٧٢):"(ودق) الواو والدال والقاف: كلمةٌ تدلُّ على إتيانٍ وأَنَسَة. يقال وَدَقْتُ به، إذا أنِسْتَ به وَدْقاً. والمَوْدِق: المأتَى والمكان الذي تقِفُ فيه آنِساً. ومَوْدِق الظَّبي: المكان يقِف فيه إذا تناوَلَ الشَّجرة، ومنه قوله: تُعفّي بذيل المِرْط إذ جئتُ مَوْدِقي

ومنه أَتَانٌ وَدِيقٌ، إذا أرادت الفحل، وبها وِدَاقٌ كأنَّها تأنس إليه وتستأنسه. والوَدْق: المَطَر، لأنَّه يَدِقُّ، أي يجيء من السَّماء".

(٢) نسبه أبو عبيدة في مجاز القرآن (٢/٦٨) لزيد الخيل، وجاء الشطر الأول فيه : ضربن بغمرة فخرجن منها.

(٣) تفسير القرطبي (١٢ / ٢٨٨)، وفيه نسب القول لأبي الأشهب العقيلي.

(٤) هو عامربن جوين الطائي، والمزنة: واحدة المُزْن، وهي السحابة البيضاء، وأبقلَ: أي : نبت بقلُه. وخزانة الأدب (١/٤٥).

(٥) ديوان امرئ القيس (٨٨)، وفيه : سكب، بدل: ودق، ورشٌّ، بدل: وسكب، قال شارح الديوان: معنى قوله: فدمعهما سكب: شبه توالي دموعه بضروب الأمطار، والسحُّ: الصبُّ الشديد، والسَّكْب نحوه، والدِّيمة: مطر دائم في ليل، والتَّوكاف: القليل من المطر.

يقال : ودَقَتِ السحاب فهي : وَادِقَةَ ، وَوَدَقَ المطر يَدِقُ أي : قَطَرَ يَقْطُرُ .
وهو مروي عن ابن زيد، ومجاهد[١]، والضحاك[٢]،والليث[٣]،وهو قول جمهور المفسرين[٤].
قال ابن عاشور:" وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر ، وهو الذي اقتصرت عليه دواوين اللغة ، والمطر يخرج من خلال السحاب"[٥].

المعنى الإجمالي:

- قال السعدي في معنى آية النور : " أي: ألم تشاهد ببصرك، عظيم قدرة الله، وكيف ﴿يُزْجِي﴾ أي: يسوق ﴿سَحَابًا﴾ قطعا متفرقة ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ﴾ بين تلك القطع، فيجعله سحابا متراكما، مثل الجبال﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي: الوابل والمطر، يخرج من خلال السحاب، نقطا متفرقة، ليحصل بها الانتفاع من دون ضرر، فتمتلئ بذلك الغدران، وتتدفق الخلجان، وتسيل الأودية، وتنبت الأرض من كل زوج كريم، وتارة ينزل الله من ذلك السحاب بردا يتلف ما يصيبه﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ بحسب ما اقتضاه حكمه القدري، وحكمته التي يحمد عليها، ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي: يكاد ضوء برق ذلك السحاب، من شدته ﴿يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾

(١) تفسير الطبري (١٩ / ٢٠٢)، بلفظ: القطر، الدر المنثور (٧ / ٣١٢).
(٢) النكت والعيون (٣ / ٣٢٦)،الدر المنثور (٧ / ٣١٢).
(٣) زاد المسير (٤ / ٤٥٢).
(٤) فتح القدير (٥ / ٢٣٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٠ / ٦).

أليس الذي أنشأها وساقها لعباده المفتقرين، وأنزلها على وجه يحصل به النفع وينتفي به الضرر، كامل القدرة، نافذ المشيئة، واسع الرحمة؟"[1].

- وقال الشنقيطي – رحمه الله تعالى - :" فصرح - تعالى ذكره - بأن الودق الذي هو المطر يخرج من خلال السحاب الذي هو المزن ، وهو الوعاء الذي فيه الماء وبين أن السحابة تمتلئ من الماء حتى تكون ثقيلة لكثرة ما فيها من الماء في قوله تعالى :﴿حتى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[الأعراف : ٥٧] الآية فقوله : ثقالاً جمع ثقيلة ، وثقلها إنما هو بالماء الذي فيها وقوله تعالى :﴿وَيُنْشِىءُ السحاب الثقال﴾[الرعد : ١٢] جمع سحابة ثقيلة

وهذه الآيات القرآنية تدل على أن الله يجمع الماء في المزن، ثم يخرجه من خلال السحاب وخلالُ الشيء : ثقوبه وفروجه التي هي غير مسدودة، وبين جل وعلا أنه هو الذي ينزله ويصرفه بين خلقه كيف يشاء ، فيكثر المطر في بلاد قوم سنة، حتى يكثر فيها الخصب وتتزايد فيها النعم ، ليبتلي أهلها في شكر النعمة ، وهل يعتبرون بعظم الآية في إنزال الماء. ويَقِلُّ المطر عليهم في بعض السنين، فتهلك مواشيهم من الجدب ولا تنبت زروعهم، ولا تثمر أشجارهم، ليبتليهم بذلك، هل يتوبون إليه ، ويرجعون إلى ما يرضيه .

وبين أنه مع الإنعام العام على الخلق بإنزال المطر بالقدر المصلح

(١) تفسير السعدي (١ / ٥٧).

وإسكان مائه في الأرض ليشربوا منه هم، وأنعامهم، وينتفعوا به أبى أكثرهم إلا الكفر به"[١].

ومما يستفاد من هذه الآيات:

دعوة لتدبر ما وراء هذا المشهد الرائع من صنع الله .

لا شك أن هذا التصريف للرياح، والذي هو في غاية القوة بحيث تقلع الأشجار وتخرب الديار ، وهذا التسخير للسحاب بحيث يبقى معلقاً بين السماء والأرض مع حمله للمياه العظيمة التي تسيل بها الأودية المتسعة . . . لا شك أن كل ذلك من أعظم الأدلة على أن لهذا الكون مدبراً قادراً حكيماً هو الله رب العالمين .

سابعاً: السماء :

جاء ذكرها في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، وهي :

١- في معرض الوعظ لأهل مكة علهم يخافوا ويرجعوا، قال الله تعالى:﴿ Ó9 $B Ä ß öF{ $' Î N6ß Y3B 5ö ` B Oĝ Îö ` B $Z ö=d& N. {r• ƒ N9&

NÍÉB ` B " Ì øB •»gR{ $$Zè _ r #Y' ' ‘ôB NÍŽã ä$J ¡¡ 9$$Z ™ ö&r ôã© ` B J Ç

ûïÌ z #ä $R ö NdÏ‰è/ . ` B $R ±S&r NÍ5qç ä Î N6ß» Z ö=d'ù ﴾ [الأنعام:٦].

٢- وفي دعوة هود عليه الصلاة والسلام قومه، وترغيبهم في زياد الخيرات، قال تعالى :﴿ ƒr» (ö $ Ÿ ö F ó ™ $ ä ö ö r (' / N3 Î è ô e) p ç q è ?) ø ñ ø î) è @

š ú ü Ì B ø g (ö Q G ? Ÿ w r N3 Ï ? § è 4 < Î) ç § è N à 2 Š ï ƒ r #Y' ' ‘ôB N à 6 ø ‹ æ ä$J ¡¡ 9$ ﴾ [هود:٥٢].

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٥ / ٣٣٠).

٣- وفي استعمال نوح عليه الصلاة والسلام الحكمة في دعوة قومه لما رأى أنهم يحبون الدنيا رغبهم بخير الدنيا العاجل،وثواب الآخرة فقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً﴾[نوح: ١١].

- والمراد بالسماء في هذه الآيات : المطر، لأنه ينزل منها، والمطر يطلق عليه سماء ؛ لأنه يأتي من جهة العلو، وقد جاء في الحديث الشريف أن من أسماء المطر السماء، فقد روى البخاري عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال "**صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية ، على إثر سماء كانت من الليل . . .** "[١] أى : على إثر إمطار نازلة بالليل .

ومنه قول بعض الشعراء [٢]:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غَضَابَا

ويقولون: "ما زِلْنا نطأُ السَّماءَ حتَّى أتيناكم"، يريدون الكلأ والمطر[٣].

ويلاحظ أن لفظ (مدرار) ورد مقرونا مع لفظة (السماء) مما يدلنا على أن المراد في السماء في هذه المواطن الثلاثة المطر والله تعالى أعلم.

المعنى الإجمالي :

الآية الأولى :

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ

---

(١) صحيح البخاري ،كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم (٨٤٦)(٢/ ٢٥٧)، وكتاب الجمعة، باب من تمطر في المطر(٢/ ٣٣).

(٢) هو معاوية بن مالك، وهو في خزانة الأدب (٤/ ١٥٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣ / ٩٨)

وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[الأنعام:٦].ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكنَّاهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مساكنهم؛ استدراجًا وإملاءً لهم، فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنوبهم، وأنشأنا من بعدهم أممًا أخرى خلفوهم في عمارة الأرض؟ [1].

الآية الثانية : يقول هود عليه الصلاة والسلام مخاطباً قومه:**﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾** عما مضى منكم، واطلبوا مغفرة الله بالإيمان **﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾** فيما تستقبلونه، بالتوبة النصوح، والإنابة إلى الله تعالى، فإنكم إذا فعلتم ذلك **﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾** بكثرة الأمطار التي تخصب بها الأرض، ويكثر خيرها،**﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾** ويضاعف قوتكم، فإنهم كانوا من أقوى الناس، ولهذا قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾ ؟، فوعدهم أنهم إن آمنوا، زادهم قوة إلى قوتهم وإنما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وعمارات . وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الأمطار وتضاعف القوة بالتناسل**﴿وَلا تَتَوَلَّوْا﴾** ولا تعرضوا عن ربكم

---

(١) ينظر : التفسير الميسر(٢ /٣٠١).

﴿مُجْرِمِينَ﴾ مستكبرين عن عبادته، متجرئين على محارمه[1].

الآية الثالثة : ﴿**فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً**﴾ أي : قال لهم نوح عليه الصلاة والسلام استغفروا ربكم من الشرك وآمنوا إيمانا يكون استغفارا لذنبكم فإنكم إن فعلتم غفر الله لكم، وعلل ذلك لهم بأن الله موصوف بالغفران صفة ثابتة تعهد الله بها لعباده المستغفرين فأفاد التعليل بحرف (إن) وأفاد ثبوت الصفة لله بذكر فعل(كان) وأفاد كمال غفرانه بصيغة المبالغة بقوله (غفارا)، وهذا وعد بخير الآخرة ورتب عليه وعدا بخير الدنيا بطريق جواب الأمر وهو ﴿**يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً**﴾الآية، وكانوا أهل فلاحة فوعدهم بنزول المطر الذي به السلامة من القحط وبالزيادة في الأموال[2].

ما يستفاد من الآيات :

١- في الآيات دلالة على أن الاستقامة على شرع الله، تأتي بالرزق الرغيد، ولقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في آيات كثيرة منها ما ذكرت في هذا المبحث.

٢- أن الداعي إلى الله عليه أن يذكر المدعوين بما يستثير مشاعرهم ويحقق اطمئنانهم إليه ويرغبهم في إتباع الحق ، ببيان أن إتباعهم لهذا الحق سيؤدى إلى زيادة غناهم وقوتهم وأمنهم وسعادتهم، وأن الانحراف عنه سيؤدى إلى فقرهم وضعفهم وهلاكهم .

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٣/٩٨)، وتفسير السعدي (١ /٣٨٣).

(٢) ينظر : التحرير والتنوير (١ /٤٥٧٣).

الحكمة من تعدد هذه الأسماء :

إن تعدد أسماء المسمى يدل على شرف المسمى به، وما من لفظ إلا وله مدلوله الخاص به لا سيما في القرآن الكريم ولا يمكن لغيره أن يحل مكانه لعرض المعنى المراد، فبوجوده يحصل البيان، والواضع الحكيم لا يسمي الشيء ولا يضعه إلا في موضعه، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن البياني، وكل تسمية للمطر في القرآن فهو باعتبار معنى من معاني هذا الماء النازل

ففي الآية الأولى قال : ﴿ أو كصيب من السماء ٠٠٠﴾، ولم يقل : (كمطر)، أو (كغيث)، أو (كوابل)٠٠٠الخ، لما يومئ إليه لفظ صيب من هطول الأمطار بغزارة مصاحبة بظلمات ورعد وبرق، فهو وصف يصور حال المنافقين ويبين عما في نفوسهم من اضطراب وحيرة وقلق ومخافة والأرجحة التي يعيش فيها أولئك المنافقون . . بين لقائهم للمؤمنين ، وعودتهم للشياطين . بين ما يقولونه لحظة ثم ينكصون عنه فجأة، بين ما يطلبونه من هدى ونور وما يفيئون إليه من ضلال وظلام، ولا يتأتى هذا المعنى بلفظ المطر، أو الغيث، أو الوابل أو ٠٠٠٠الخ .

وفي الآية الثانية (الوابل، والطل) اقتصر ذكرهما في القرآن على الصدقات فقط، حيث ضرب الله بهما مثلا لمشهد كامل مؤلف من منظرين متقابلين شكلاً ووضعاً وثمرة، المنظر الأول : لقلب المنافق المرائي الصلد والذي عليه ستار من الرياء يمثله صفوان صلد عليه غشاء من التراب فنزل عليه المطر الغزير وذهب بالتراب القليل! فانكشف الحجر بجدبه وقساوته،

ولم ينبت زرعه ، ولم يثمر ثمرة . . كذلك القلب الذي أنفق ماله رئاء الناس، فلم يثمر خيراً ولم يعقب مثوبة!

وأما المنظر الثاني المقابل له في المشهد، فقلب عامر بالإيمان، ندي ببشاشته ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله وينفقه عن ثقة ثابتة في الخير يمثله جنة خصبة عميقة التربة تزيد في الإنتاج كلما سقيت بماء غزير، أو هي تنتج على كل حال ، وإن لم يكن الماء إلا جفيفا، وهذه التربة الخصبة في مقابل حفنة التراب على الصفوان، جنة تقوم على ربوة في مقابل الحجر الذي تقوم عليه حفنة التراب، فإذا جاء الوابل لم يذهب بالتربة الخصبة هنا كما ذهب بغشاء التراب هناك، بل أحياها وأخصبها ونماها.

والمطر لم يستعمل في القرآن إلا في العذاب، والغيث ذكر في الخير، والودق هو في عموم ما ينزل من السماء، والسماء مجاز تطلق على السحاب، كما أنها تطلق على المطر.

وهذا من خصوصيات الاستعمال القرآني، فهو يستعمل بعض المصطلحات لخصوصيات معينة يتبين للمتدبر فيها شيء من أسرار التعبير البياني للقرآن الكريم.

المبحث الثاني :أوصاف هذا الماء النازل :

جاء ذكر هذا الماء النازل من السماء مقرونا بعشرة أوصاف في القرآن الكريم هي لمن تدبرها آيات مُشَاهَدة صرفها الله تعالى للعباد ليعرفوه ويشكروه ويذكروه، وبعض هذه الأوصاف متشابهة، وقد ترجع إلى معنى واحد، وسأورد الوصف الذي ليس له متشابه، ثم اتبعه بالأوصاف المتشابهة متتالية كالآتي:

أولاً: **مبارك**، قال الله جل في علاه:﴿ öq9r& b& Ÿ@÷dr& #“ •à)ø9$# (qãZtB#uä (#öqs)¨?$#ur $uZóstGxÿs9 ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال الله تعالى:﴿ $uZø9¨Rr&ur z`ÏB Ïä!$yJ¡¡9$# [ä$B %Z.t»t6•B $uZ÷Fu;/Rr'sù ¾ÏmÎ/ ;M»Z_y_ ¡=ym ÏŠÅÁptø:$# ﴾ [ق:٩] كثير البركة؛ لانتفاع الناس به في غالب أمورهم[1]، وفيه دليل على بركة آثار المطر؛ لقوله تعالى: ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾كما سبق بيانه؛ ولهذا وصف الله المطر بأنه مبارك هنا.

ثانياً : **الأكل** ،قال الله تعالى :﴿ öq9r& Nåk¨Xr& (#qãB$s%r& sp1‘öq-G9$# Ÿ@‹ÅgUM}$#ur !$tBur tAÌ“Ré& NÍköŽs9Î) `ÏiB óOÎgÎn/§‘ (#qè=Ÿ2V{ `ÏB óOÎgÏ%öqsù `ÏBur ÏMøtrB óOÎgÎ=ã_ö‘r& 4 öNåk÷]ÏiB ×p¨Bé& ×oy‰ÅÁtFø)•B (×ŽÏWx.ur öNåk÷]ÏiB uä!$y™ $tB šcqè=yJ÷ètƒ ﴾ [المائدة:٦٤].

ومعنى : ﴿ (#qè=Ÿ2V{ `ÏB óOÎgÏ%öqsù ﴾ أي: لأنزل الله عليهم من السماء

---

(١) فتح القدير (٧ /٢٦).

قَطْرَها، فأنبتت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخرج ثمارَها[1]، ولوسَّع عليهم أرزاقَهم بأن يُفيض عليهم بركاتِ السماء والأرض، فعبَّر عن الماء النازل بثمرته ونتيجته، وهي الأكل مما كان هو سبباً في خروجه من نبات الأرض.

ثالثاً: أنه رزق، قال الله تعالى: ﴿ `B& ÇÚ öÑF{$#r ä$J¡¡9$# `ÏB Nä3è%ã—ötƒ `B ö@è%

ÇÛ$#šÆ ÏM hJy$#ÛÌ÷‚äur ÏMhJy$# `ÏB ¢Ûy$#ÛÌ÷‚ä `Br •»|Á ö/F{$#r ì ô¡¡9$#à7Î=ôƒ

`Br ã%În/y‰ãƒ F{$#`Br öÏù ¡ | ö/qè% 4 !$# bqä9qà)u‹|¡ù @è%ù ?qà)Gs? Ÿxsùr& 4 ﴾ bqà)Gs? [يونس:٣١].

- وقال جل جلاله:] ! " # $ % & ' ( ) * , - . / 0 1 2 3 4 5 Z [النمل:٦٤].

- قال الله تعالى: ﴿ uqèd ü%©$# öNä3ƒÌãƒ ¾ÏmÏG»tƒ#uä ãA Íit\ãƒur Nä3s9 z`ÏiB Ïä!$yJ¡¡9$# $]%ø—Í

4 ÞÉ2x‹tFtƒ $tBur žwÎ) `tB Ü=‹Ï^ãƒ ﴾ [غافر:١٣].

- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ É#»n=ÏG÷z$#ur È@ø‹©9$# Í‘$yg¨Z9$#ur !$tBur tA t“Rr& ª!$# šÆÏB Ïä!$yJ¡¡9$#

`ÏB 5-ø—Íh‘ $uŠômr'sù ÏmÎ/ uÚö‘F{$# y‰÷èt/ $pkÌEöqtB É#ƒÎŽóÇs?ur Ëx»tƒÌh9$# ×M»tƒ#uä 5Qöqs)Ïj9 šcqè=É)÷ètƒ ﴾ [الجاثية:٥][2].

(١) تفسير الطبري (١٠ / ٤٦٣)، وتفسير أبي السعود (٢ / ٢٦٥).

(٢) أمّا قول الله تعالى: ﴿ **وَفِي السمآء رِزْقُكُمْ** ﴾ [الذاريات:٢٢]،فللعلماء في معنى الرزق هنا قولان: أحدهما: أنه المطر،،وعليه قول أكثر المفسرين.
والقول الآخر: أن الرزق الذي في السماء أعم من المطر،فهو رزق ديني ودنيوي، والمعنى: أن في السماء مادة رزقكم، من الأمطار، وصنوف الأقدار مما كتبه الله للعباد في اللوح المحفوظ من المصالح والمنافع الجسدية من أموال وبنين وغير ذلك، فيكون هذا القول أشمل وأعم،ولما كان الأخذ بالأعم أولى من الاقتصار على الأخص، لأن الأعم يدخل فيه الأخص جعلت هذه =

الرزق هنا : المطر، بإجماع أهل التأويل، ولم يشاهد ينزل من السماء على الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم، بل الأسباب أصل في وجود ذلك،وقد يسمى الشئ بما يؤول إليه، وسمى المطر رزقا لأنه عنه يكون الرزق، وذلك مشهور في كلام العرب[١].

ويلاحظ فهي هذه الآيات كيف أنه عُدِلَ عن ذكر المطر إلى الرزق إدماجا للامتنان في الاستدلال فإن الدليل في كونه مطرا يحيي الأرض بعد موتها.

رابعاً: الطهور، قال الله تعالى : ﴿ Nãøæ Aí\ãr ç¥Ë pZB& ¨ $èZ9$Nã Šëtóãöî 4?ã ÝÎž•Ïr ÇÜøæ±9$“ô í öãZã =ÜÏõãr ¾ïnÎ Nä•ÜÜãÏ ä$B ä$J¡¡ 9$`Ë P#%‰ïF $ïnÎ MÎ™ãr Nà6 Îqèè ﴾ [الأنفال:١١]، وقال الله تعالى : ﴿ ü“ Ï%©$qèdr #YqßÛ ä$B ä$J¡¡ 9$`Ë $Zøµr&r ¾ïnÏGJôm‘ ô‘ ‰ƒ šú ü/ #ÎŽ çx »ƒÏ•9$Ÿ™ö& ﴾ [الفرقان:٤٨].

الطهور في اللغة : الطاهر المطهر، والطهور : ما يتطهر به،وقد ذهب الجمهور إلى أن الطهور هو الطاهر المطهر، ويؤيد ذلك كونه بناء مبالغة[٢]،قال الطاهر بن عاشور:"وماء المطر بالغ منتهى الطهارة إذ لم يختلط به شيء يكدره أو يقذره، وهو في علم الكيمياء أنقى المياه، لخلوه عن

= الآية في الحاشية. ينظر : تفسير السعدي (١ /٨٠٩)، و التحرير والتنوير (١ / ٤١٤٧)، و تفسير القرآن لابن عثيمين (٩ / ١٣).

(١) تفسير الطبري (٢١ /٣٦٢)، و تفسير القرطبي (١٣ / ١٥).

(٢) فتح القدير (٥/ ٢٨٣).

جميع الجراثيم، فهو الصافي حقاً .

والمعنى : إن الماء النازل من السماء هو بالغ نهاية الطهارة في جنسه من المياه.

ووصف الماء بالطهور يقتضي أنه مُطهّر لغيره إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة فَعول لزيادة معنى في الوصف، فاقتضاؤه في الآية أنه مطهّر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملاً وصف الطهارة القاصرة والمتعدية فيكون ذكر هذا الوصف إدماجاً لمنة في أثناء المنن المقصودة ويكون كقوله تعالى :﴿ ãAî\ãr Nä3øæ `ÏB 9$# ä!$J¡¡ $B [ä Nä•ÿÜã Ïm¾ ﴾ وصف الطهارة الذاتية وتطهيره، فيكون هذا الوصف إدماجاً ولولا ذلك لكان الأحقّ بمقام الامتنان وصف الماء بالصفاء أو نحو ذلك"[1] .

ولا شك أن وصفه - سبحانه - الماء بالطهور فيه زيادة في الإشعار بالنعمة وإتمام المنة لأن الماء الطهور أنفع مما ليس كذلك، يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتا فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام[2].

خامساً: غدقاً، قال الله سبحانه وتعالى :﴿ r ® $ FÕ) «!$# ã?’ 9$# Ö• ÌÌ ƒ (þ

ÇY) Ö ø» NŽ ä$B Î ‰$!﴾ [الجن :١٦].

(١) التحرير والتنوير (١٠ / ٩٨).

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي (١ /٣١٣٥)، تفسير السعدي (١ /٥٨٤)

الغدق: الماء الطاهر الكثير[١]، والمراد بذلك سَعَة الرزق، قال عمر في هذه الآية: أينما كان الماء كان المال، وأينما كان المال كانت الفتنة، فمعنى ﴿ V'ö)ø¯Y»§N ﴾ لوسعنا عليهم في الدنيا، وضرب الماء الغدق الكثير لذلك مثلا، لأن الخير والرزق كله بالمطر يكون، فأقيم مقامه[٢].

سادساً: غير أجاج، قال الله تعالى: ﴿ u&•ä¨ŖÐ$!%J$ä$G%¿ " @ öŽ¢qb ÈÎÌç ä®ŖĘÑ ﴾
ÈË©ÏŖĘ߀q ß`Ë ÉĚÞ$G% ĖÞ ß?ÖßÞ$G%Þ\ÍÆqb ÈÎÌç 9ÿö §±$â _ èÙtZ»pëé `%]% ùÞöqÞW

@öÊâ râ cš﴾ [الواقعة :٦٨].

الأجاج من الماء: ما اشتدّت ملوحته، يقول: لو نشاء أن نجعل هذا الماء النازل من المزن لشربكم ، ماء جامعا بين الملوحة والمرارة لفعلنا، فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع، ولكنا لم نشأ ذلك رحمة بكم وفضلا منا عليكم، فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذبًا زلالا![٣]،فإنزال الماء من المزنِ بهذه الصفة هو منة من الباري سبحانه على عباده ليختبرهم ويبتليَهم؛ أيشكرون أم يكفرون؟.

سابعاً: فراتاً، قال الله جل جلاله: ﴿ r_èùtZ$ ùŽZk$ ' r°ÅÓ ©»Ŭ , »M r&'ö)øZ»â/

B$¦$ [è•Y$$ ﴾ [المرسلات:٢٧].

أي عذبا[٤]، وهو ماء السماء ناقعا في الأرض وجاريا في الأودية

---

(١) تفسير الطبري (٢٣ / ٦٦٢).

(٢) تفسير القرطبي (١٩ /١٨)، وتفسير ابن كثير (٨ / ٢٤٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٣ / ١٤٣)، تفسير ابن كثير(٧ / ٥٤١).

(٤) وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. تفسير الطبري - (٢٤ / ١٣٥).

والأنهار، يشرب ويسقى منه الزرع[١].

ثامناً : منهمر قال الله تعالى :﴿$Yóƒýù $oYóstFxÿsù z>ºuqö/r& Ïä!$yJ¡¡9$# &ä!$yJÎ/ 9ÏJyg÷YB﴾ [القمر: ١١].

منهمر :أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان والصب عظماً وكثرة ، ولذلك لم يقل : بمطر ، لأنه خارج عن تلك العادة ، واستمر ذلك أربعين يوماً[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما:"ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر من غير سحاب لم يقلع أربعين يوما"[٣] وكانت هذه إجابة سريعة لدعاء نوح عليه الصلاة والسلام، كما يشعر بذلك التعبير بالفاء بعد ذلك :﴿ فَفَتَحْنَآ﴾(٤) .

تاسعاً: ثجاجاً، قال الله جل في علاه :﴿$uZø9tRr&ur z`ÏB ÏN»uŽÅÇ÷èßJø9$# [ä!$tB %[`$¬gwU﴾[النبأ: ١٦].

﴿**مَاءً ثَجَّاجًا**﴾ أي : ماء منصبا يتبع بعضه بعضا كثجّ دماء البدن، وذلك سفكها،وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة، وقال ابن زيد:كثير[٥].

والمعنى : وأنزلنا لكم - يا بنى آدم - بقدرتنا ورحمتنا - من السحائب

---

(١) تفسير الطبري (٢٤ / ١٣٥)، تفسير القرطبي (١٩ / ١٦٢)، تفسير ابن كثير (٨ /٢٩٩).

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٨ / ٢٧١)،تفسير القرطبي (١٧ /١٣٢) فتح القدير (٧ /٨٩).

(٣) الدر المنثور (٧ / ٦٧٥).

(٤) قال ابن كثير في تفسيره (٤ /٣٢٠):"هذه مُواعدة من الله تعالى لنوح، عليه السلام، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتَّان الذي لا يُقْلع ولا يَفتُر، بل هو كما قال تعالى: ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**﴾.

(٥) تفسير الطبري (٢٤ / ١٥٥).

التى أوشكت على الإِمطار ماء كثيرا متدفقا بقوة ، لنخرج بهذا الماء حبا تقتاتون به[١].

عـاشراً: مـدرارا، قـال الله تعـالى :﴿ N9& (r•ƒ N. $Zõ=ø& `B O$gŽî% `B 5ö%

$Zè_r #Y‘ö6B NÍö ä$J¡¡9$ $Zù‘ö&r öa©`B Jçó9 $B Ä ß öR$’Î NßY©B

ûïÌz#ä $Rö% NdÏ‰è/ .`B $Rù±S&r NÍqçäÎ NßZõ=d'ù NÍÉB `B “ ìøB •»gR{$ ﴾ [الأنعـــــام:٦]، وقـال تعـالى :﴿ r»ƒr (Qö$ ÿrãøó¡F™$ (r/q`è? Ns9Î) (þqç6è?$ @ÅöãÎ)

ä$J¡¡9$ æø Nà6 r‘ƒ Ì¡š 2àNè ç$§ Î)<4 è$§ïN ÿr G?q© ö (ê•ìB÷ü úš ﴾ [هود:٥٢]، **وقال جلّ جلاله:**﴿ $@ÅöãB /ä3øæ ä$J¡¡9$ #Y‘ö6B ﴾ [نوح:١١][٢].

-" **مدرارا** " بناء دال على التكثير، كمذكار للمرأة التي كثرت ولادتها للذكور، ومئناث للمرأة التي تلد الإناث، يقال: المدرار : الكثير الدر وأصله من قولهم در اللبن إذا أقبل على الحالب منه شيء كثير(٣).

والمعنى : درَّت عليهم السماء بأمطارها النافعة الغزيرة الكثيرة، في وقت حاجتهم إليها، فتحيا بها البلاد من الجدب، والقحط، وعبر عنه بالسماء لأنه ينزل منها (٤).

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٤٤١٧).

(٢) قال ابن كثير : " تستحب قراءة هذه السورة في صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية" تفسير ابن كثير (٨ / ٢٣).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٤٠١).

(٤) تفسير الطبري (١١ / ٢٦٣)، القرطبي (٦ /٣٩٢).

المبحث الثالث: أغراض نزول المطر:

إن المؤمن المستبصر يتخذ من كل حركة وسكنة في الكون آية تدله على عظمة الله وقوته وفضله وكرمه،وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، وبالنظر إلى الآيات التي ورد ذكر الماء النازل من السماء فيها يمكننا تقسيم أغراض نزوله إلى ثلاثة مقاصد رئيسة ، وهي : ضرب المثل به، ومجيئه للنقم والعذاب، ونزوله لأجل النعم والامتنان.

أولاً: ضرب المثل به :

١ - فتارة يحذر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالله واليوم الآخر ألا يُذْهِبُوا ثواب ما يتصدقون به بالمنِّ والأذى، ففعله هذا شبيه بالذي يخرج ماله ليراه الناس، فيُثنوا عليه، وهو لا يؤمن بالله ولا يوقن باليوم الآخر، فمثله مثل حجر أملس عليه تراب هطل عليه مطر غزير فأزاح عنه التراب، فتركه أملس لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المراؤون تضمحلُّ أعمالهم عند الله، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه والله لا يوفق الكافرين لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها،ثم مثل للذين ينفقون أموالهم طلبًا لرضا الله واعتقادًا راسخًا بصدق وعده، ببستان عظيم بأرض عالية طيبة هطلت عليه أمطار غزيرة، فتضاعفت ثمراته، وإن لم تسقط عليه الأمطار الغزيرة فيكفيه رذاذ المطر ليعطي الثمرة المضاعفة، وكذلك نفقات المخلصين تُقبل عند الله وتُضاعف، قلَّت أم كثُرت، فالله المُطَّلِع على السرائر، البصير بالظواهر والبواطن، يثيب كلا بحسب

إخلاصه[١] قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: ٢٦٤-٢٦٥].

٢ - وتارة يضرب للناس مثل الحياة الدنيا ليتصوروها حق التصور، ويعرفوا ظاهرها وباطنها، فيقيسوا بينها وبين الدار الباقية، ويؤثروا أيهما أولى بالإيثار. وأن مثل هذه الحياة الدنيا، كمثل المطر، ينزل على الأرض، فيختلط بنباتها، تنبت من كل زوج بهيج،تسر الناظرين، وتأخذ بعيون الغافلين، إذ أصبحت هشيما تذروه الرياح، فذهب ذلك المنظر البهي[٢]، وكثيرًا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما في

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (٢ /٤٥٤) :"عطف مثل الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله على مَثَل الذي ينفق ماله رئاء الناس لزيادة بيان ما بين المرتبتين مِن البَوْن وتأكيداً للثناء على المنفقين بإخلاص وتفنّناً في التمثيل، فإنّ الأمثال تبهج السامع كلّما كانت أكثر تركيباً وضمّنت الهيأة المشبّه بها أحوالاً حسنة تكسبها حُسناً ليسري ذلك التحسين إلى المشبَّه ، وهذا من جملة مقاصد التشبيه.

(٢) وقد ضرب الله تعالى هذا النوع من الأمثال في عدة سور من القرآن الكريم حتى لا نغتر بالدنيا ولا نتمسك بها، والعجب أننا مغترون بها ومتمسكون بها مع أن أكدارها وهمومها وغمومها أكثر بكثير من صفوها وراحتها.

سورة يونس قال الله تعـالى :﴿ $JR̄ $ß@WB $ß$uŠ÷R‰9$# Ío4quŠysø9$# ã@sWtB $yJ¯RÎ) ãZ9$# `B çm»oYø9t“Rr& >ä!$yJx. ÏôFg> ÏN$t7tR 4Ìz$# #Ó¨Lym Ü»yè÷RF{$#ur â¨$¨Z9$# ã@ä.ù'tƒ $£JÏB ÇÚö‘F{$# ÝÑ‚t~ ä!$yJ¯R)9$# ÏmÎ/ ×Ý$s#ù=$# ãNßgÏ=÷dr& ÆsÛur $ygs?ÞÚ÷‚É‡r& ÇÚö‘F{$# ÏNx‹s{r& !#sŒÎ) 4¯Ó¨Lym $yg¯Rr& !$ygè=÷dr& x!$yJÏÛ $yg»oYù=yèpgmú #Y‘$yg¯R ÷rr& ¸x ø‹s9 $tRâÐö÷r& 7Ü$yd%s3 ÿÏ¾È Å`6s? Nm9 br'x. #Y‰ŠÅÁym $yg»oYù=yèyfsù ﴾ [٢٤][1] ، وقـال جـل ذكـره في سـورة الكهــف :﴿ $JR̄ $ß@WB ãNßgs9 ÷$ ¨bÎ) `B çm»oYø9t“Rr& >ä!$yJx. $u‹÷R‰9$# Ío4quŠptø:$# ã@sWtB ÞO}$)s9 ÇÚö‘F{$# ÝÑ‚t~ x7ÍtdÏ9 ÇÚö‘F{$# ÏNx‹s{r& !#sŒÎ) ÅãÏ?uŽ÷ ãN#u‰ŒÏZ) ﴾ [٤٥]، وقـال سـبحانه وتعـالى في سـورة الحديـد :﴿ $yJ¯Rr& (#þqßJn=÷æ$# ×pt^ƒÎ—ur ×qøÿs9ur Ò=Ïès9 $u‹÷R‰9$# Ío4quŠysø9$# ãNä3uZ÷t/ 7äz$xÿs?ur ×Yç!$s3$ŽZ9$# öNè3ÉÏÉ÷r& Îû ×X%s3s?ur ÏŠ»s9÷rF{$#ur 4 È@sVyJx. B]øxî |=yfôãr& u‘$¤ÿä3ø9$# ¼çmè?$t6tR ¢OèO ßkÍku‰ çm1uŽtIsù #tÏÿóÁãB ¢OèO ãbqä3tƒ $VJ»sÜãm (Îûur ÍotÅzFy$# Ò>#x‹tã Ó‰ƒÏ‰x© ×otÏÿøótBur z`ÏiB «!$# ×bºuqôÊÍ‘ur 4 $tBur äo4quŠysø9$# !$u‹÷R‰9$# žwÎ) ßì»tFtB Í‘rãäóø9$# ﴾ [٢٠]. والمراد من هـذه الآيـات الكريمـة التحذير من الانهماك فى الحياة الدنيا ومتعها ، حيث شبهها - سبحانه - فى سرعة زوالها وقرب اضمحلالها - بالزرع الذى يبدو مخضرا وناضراً . . . ثم يعقب ذلك الجفاف والذبول والاضمحلال .

---

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١ / ١٩٥٨) :" شبهت حالـة الحيـاة في سرعـة تقضيها وزوال نعيمها بعد البهجة بـه وتزايـد نضـارتها بحـال نبـات الأرض في ذهابـه حطامـا ومصيره حصيدا فقوله (كماء أنزلناه من السماء) شبه به ابتداء أطوار الحياة من وقت الصبا إذ ليس ثمة سوى الأمل في نعيم العيش ونضارته فلذلك الأمل يشبه حال نزول المطر من السماء في كونه ما يؤمل منه من زخرف الأرض ونضارتها".

٣- وتارة يضرب الله تعالى به المثل للحق والباطل، والإيمان به والكفر، فالحق هو الماءُ الباقي الذي أنزله الله من السماء، والزبد الذي لا ينتفع به هو الباطل[١]، وقال القرطبي :" هو مثل ضربه الله للقرآن وما يدخل منه القلوب، فشبه القرآن بالمطر لعموم خيره وبقاء نفعه، وشبه القلوب بالأودية، يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الأودية بحسب سعتها وضيقها قال ابن عباس: " أنزل من السماء ماء " قال: قرآنا،﴿ ù¡ $9M& Šr&ß Î)‰ $dÍ‰ ﴾ قال: الأودية قلوب العباد "[٢].قال الله تعالى :﴿ R&"A B ÆŠ$9 ¡¡J$ä B$ä ù¡ $9M& Šr&ß Î)‰ $dÍ‰ $ûG̃JÖ$9 ¡ø@

%/#§#Î$Š r&B$£qã%Ÿr b ãø¨Î '$9Z$ ÍÔ$ó$ä m×÷p ‰&r BF» 8 –/Ó Æ‰B6ƒ¼

. <%ö7 ,„ØÎ Ú$! ª$& rŸ; 7»Ü@ ù'B$$9"/Ÿ ù¡Š dõ Ü ã$yî $B&r B fZƒß

.[الرعد:١٧] ﴾[٣] A$WBø&F $ª! $Ú Î@„, 7»ö . <ù‹ãd ß Î'$F ö ÇÚ $Z9$

---

(١) تفسير الطبري (١٦ / ٤٠٨).

(٢) تفسير القرطبي (٩ / ٣٠٥).

(٣) هذان مثلان ضربهما الله - تعالى - فى هذه الآية للحق وللباطل يقول : إن الباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال وعلاه ، فإن الله - تعالى - سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله.

كالزبد الذى يعلو الماء فيلقيه الماء ، وكخبث هذه الأجسام ، فإنه وإن علا عليها فإن الكير يقذفه ويدفعه ، فهذا مثل الباطل

وأما الماء الذى ينفع الناس وينبت المراعى فيمكث فى الأرض ، وكذلك الصافى من هذه الأجسام فإنه يبقى خالصا لا شوب فيه ، وهو مثل الحق". الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٢٣٧٦).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يتخذ الأحداث الكونية دليلاً على حقائق شرعية، ويضرب بها الأمثال ليعقل من يعقل فينجو ويسعد، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة.

ثانياً :للنقم والعذاب .

جعل الله سبحانه وتعالى هذا الماءَ النازل مِحنةً وبلاءً وعقوبةً يُرسلها للعاصين من عباده والمعرضين عن هديه وشريعته كما فعل جلّ وعلا بقوم نوح، وقوم سبأ.

١ - قوم نوح -على رسولنا وعليه الصلاة والسلام- كان ذلك في مُواعدة من الله تعالى لنوح - عليه الصلاة والسلام- عندما لجأ إلى ربه يعلن أنه مغلوب ويدعو ربه أن ينتصر، بعد ما دعا قومه ليلا ونهارًا، سرًا وجهارًا، فلم يزدهم دعاؤه إلا فرارًا، إذا جاء أمر الله من الأمطار المتتابعة، والهتان الذي لا يُقْلع ولا يَفتُر، بل هو كما قال تعالى: ﴿‰æ‰ù

$Röf ùr ÇÈ 9É}B ä$ÿ ä$J ¡ 9$> ºqö $Yö Fÿù ÇÈ ŽÂ GR$ Ò qèöB ’ ö Ÿç/‘

ß ºqä N#Œ 4?ã ¤Yù mr ÇÈ ‘‰è% 9ä #?ã äJ ’+G$ $Zqãã Ú öF$

`B @gù #ä $g»Yø? ‰) 9r ÇÈ •ÿä b‰. `J ‡“_ $Zã’Î “ ÌB ÇÈ 93 Br

B‰ 9Ÿ Ç ÈÎ ø3ù # .‰b ã ‹#Î’ rçã í﴾ [القمر:١١]، ثم أمر الله تعالى الأرض أن تبلع ماءها الذي نبع منها واجتمع عليها، وأمر السماء أن تُقلعَ عن المطر،وقد أُغرق أهل الأرض إلا أصحاب السفينة،**قال الله تعالى :**

﴿r‰Š@ ÿ»’ö Ú¨H$ 3ä$B ä$J ¡ »r Ï‰Î ä$J Ù $‰J ä$J r ‰€ÓÖ$ {ã﴾

﴿ $ÔFqÑ ã?’’$éqsŠ Ÿ r%Ÿ@ç è%# ÿ)ö Q$9@âÎ ÜüÛ ﴾[1] [هود:٤٤].

٢ - قوم سبأ،إذ سلبت منهم النعم، وحلت بهم النقم عندما أعرضوا عن دين الله ولم يشكروا نعمه عليهم كما هى سنته في عباده . قال تعالى ﴿ù'ö™ÙZ$ ã÷ŽÍN ™ø@Ÿ$9#è•Pş ﴾ وذلك بأن خرب السد ، وذهبت مياه الأمطار المستفاد منها وماتت الأشجار وأمْحَلَتْ الأرض قال الله تعالى :﴿ù'ã•Êqã# ù'ö™ÙZ$ ã÷ŽÍN ™ø@Ÿ$9#è•Ç P) [2] r/Y»%6ÎgNç Z¿ŽÍN _ZFüÈ ŒrA#ö é 2à@ @9r ŸÛ ¬«r óÒ Ë` Å™6%9 %¹ô@ ﴾ [سبأ:١٦][3].

---

(١) تفسير الطبري (١٥ / ٣٣٤)، تفسير ابن كثير (٤ / ٣٢٣) .

(٢) والعرم : اسم للوادى الذى كان يأتى منه السيل قاله مجاهد، وقيل: هو المطر الشديد الذى لا يطاق .

فيكون من إضافة الموصوف إلى الصفة أى:أرسلنا عليهم السيل الشديد الجارف المدمر .

ويرى بعضهم أن المراد بالعرم : السدود التى كانت مبنية لحجز الماء من خلفها. التفسير الميسر (٧ / ٣٩٣).

(٣) ذكر المفسرون أن سبأ كانت قبيلة معروفة في أداني اليمن، ومسكنهم بلدة يقال لها "مأرب" ومن نعم اللهّ ولطفه بالناس عموما، وبالعرب خصوصا، أنه قص في القرآن أخبار المهلكين والمعاقبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدعى إلى التصديق، وأقرب للموعظة فقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ أي: محلهم الذي يسكنون فيه ﴿آيَةٌ﴾ والآية هنا : ما أدرَّ اللهّ عليهم من النعم، وصرف عنهم من النقم، الذي يقتضي ذلك منهم، أن يعبدوا اللهّ ويشكروه. ثم فسر الآية بقوله ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ وكان لهم واد عظيم، تأتيه سيول كثيرة، وكانوا بنوا سدا محكما، يكون مجمعا للماء، فكانت السيول تأتيه، فيجتمع هناك ماء عظيم، فيفرقونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله. وتُغِلُّ لهم تلك الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم، ويحصل لهم به الغبطة والسرور، فأمرهم اللهّ بشكر نعمه التي أدرَّها عليهم ووعدهم - إن شكروه - أن يغفر لهم وَيرحمهم، ولهذا قال: =

ثالثاً : للنعم ، والامتنان.

من فضل الله سبحانه وتعالى ومنته على الخلق منفعة هذا الماء النازل من إحياء الأرض الميتة، ومن ثم إخراج النبات، وجعله سببا في مصدر رزق العباد والمخلوقات،وشربهم. والبركة كل البركة في نزول المطر الذي تَنبُت به الأرض وتحيى به الموات، فسبحانَ القادرِ على كلّ شيء، سبحانَ من إذا قال للشّيء كن فيكون، بينما النّاس يرَون جدبَ الأرض وقلّة المياه أو غورَها في بعض الأماكن إذا هم بهذا الغيثِ المبارك، يملأ أوديتَهم، ويشاهدونه وقد اهتزّت الأرض وربَت من هذا الخيرِ العظيم، وقد بيّن ذلك في آيات كثيرة من كتابه الكريم، منها :

١ - ذكر الآيات الدالة على إحياء الأرض بعد موتها :

قال الله تعالى: ﴿ bÎ ’Î zùÈ$9 ¡¡J»q⁰N $ öŘ ÇÚ $ z-Ğ=» É$Š@È $9Yg$í

= ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾، فأعرضوا عن المنعم، وعن عبادته، وبطروا النعمة، وملوها﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾فعاقبهم الله تعالى بهذه النعمة، التي أطغتهم، فأبادها عليهم، فأرسل عليها سيل العرم،أي: السيل المتوعر، الذي خرب سدهم، وأتلف جناتهم، فتبدلت تلك الجنات قال الله تعالى: ﴿ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ﴾ أي: شيء قليل من الأكل الذي لا يقع منهم موقعا ﴿خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وهذا كله شجر معروف، وهذا من جنس عملهم، فكما بدلوا الشكر الحسن، بالكفر القبيح، بدلوا تلك النعمة بما ذكر، ولهذا قال: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلا الْكَفُورَ﴾، فلما أصابهم ما أصابهم، تفرقوا وتمزقوا، بعدما كانوا مجتمعين، وجعلهم الله أحاديث يتحدث بهم، وأسمارا للناس، وكان يضرب بهم المثل فيقال: "تفرقوا أيدي سبأ" فكل أحد يتحدث بما جرى لهم، ولكن لا ينتفع بالعبرة فيهم إلا من قال الله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. ينظر السعدي (١ / ٦٧٧).

[illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾ [البقرة: ١٦٤].

– ﴿ [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾ [الأعراف: ٥٧].

– قال الله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾(١) [النحل: ٦٥].

– قال الله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ [الحج: ٥].

– قال الله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] ﴾ [الحج: ٦٣].

– قال الله تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴾ [الفرقان: ٤٨-٤٩].

– قال الله تعالى: ﴿ [illegible]

(١) قال الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٠ / ٩٨):"ولماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض لأنه لخلّوه من الجراثيم ومن بعض الأجزاء المعدنية والترابية التي تشتمل عليها مياه العيون ومياه الأنهار والأودية كان صالحاً بكل أرض وبكل نبات على اختلاف طباع الأرضين والمنابت" .

Ŵ Ôèdǯÿò2 &@/ ⊣ ‰ô s ØŠ@è ª! $£ãqà‹9 $gÏöB ‰è/ .`Ï B Ú öF$
bqè=É)÷èƒ﴾ [العنكبوت:٦٣].

- قال الله تعالى: ﴿ô Br ¾ÏmÏG»ƒ#ä f Ìã‹Ø9$ à6 Š%s` Žz - ÿöq J$uZ r ÅY$\Ïí Æ`ÏB
$gÏöB ‰è/ š ß öF$ ÏmÏ ¾Çós ãù Ï$B ä$J¡¡ 9$ î Ž c ’Î Œ°Ï š• M»ƒy
ÏQöq)Ïj9 š c qè=É)÷èƒ﴾ [الروم:٢٤].

- قال الله تعالى: ﴿&r Ø9 N ƒf •r ÷r $R& ß$ ÿqÝ äq‹ ØJä ‹’ $ öF Û É Ø$ ãÎ ùã ÷ Ìß
¾ÏmÎ ö Ÿ ù ¨2 à @ ßZ$ ã ¨&R »è ß$ 3 ß ã &R r ß$ ã Ÿ ù ä Çã Ãb r ŠÇ ﴾ [السجدة:٢٧].

- ﴿ô Br ¾ÏmÏG»ƒ#ä y ¾ 7 ?•“ ö Ú ö F$ z »Ï±$ z ù ¹$ ŠÉ & $ Z ø Ÿ k $ äJ Ød ”N
r‘/M ôb Î) $ ‰ ÷ d ôÇ & Ù ‹d % Á & R çq ’ & $ Z $ b Î) 4 «@ à2 ä ‰% ƒ﴿
[فصلت:٣٩].

- ﴿$!$ “ ‰ R A Ï B Æ $ ä$J¡¡ 9$ ‰ 9 ù ‘ R ‘ Ž—³ $ ¾ÏmÎ /$ ‰ @ $ ×G ø‹ Ì B . ‹ 7 Ï°
šc q ã `Ž ƒ﴾ [الزخرف:١١].

- ﴿r Ø9 $ ` Ï B ä$J¡¡ 9$ Ï$B %Z•»6 ã Ž'R ù ¾ÏmÎ / M»Z _ ‹r mr = ‡ t Ø$ Å Š‰ ‰ Ç ÈÈ
@ø‚ ‹ 9 $ ‹ / $ »)M» Ï $ I ° Ô Ù Ò Ê ‹ ô ‰ Ç ÈÈ $) Ø$ ö r ä Ë— ¾Ïm Î/ $ R ö ‹ ‹ r& $ ’ Ï/
$ ‰ ø‹ Ì B . ‹ 7 Ï° ß r ã ‚ $ ﴾ [ق:٩-١١].

٢- ذكر الآيات الدالة على إخراج الزرع، والرزق

الآيات السابقة بينت لنا كيف أن الله يحي الأرض بعد موتها، ثـم هنـا يبين لنا كيف أنه جلت قدرته يخرج الزرع من هـذا المـاء بأنواعـه، وألوانـه، وأشكاله، قال الله تعالى:

١- ﴿‰ “ è _ ¨ 9 $ ä ‹ Ú ö F$ ` Ï B Ÿ•° $ ä$J¡¡ 9$ Ï$B Á$ ä$J¡¡ 9$ Ï $ B A “ R & r Ï $ B

[illegible]

[illegible] ﴾[البقرة:٢٢].

٢- وقال جل في علاه: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام:٩٩].

٣ - قـــال الله تعـــالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف:٥٧].

٤ - وقال سبحانه: ﴿[illegible]﴾ [إبراهيم:٢٢].

٥ - قـال الله تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [طه:٥٣].

٦ - قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [السجدة:٢٧].

٧ - قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [فاطر:٢٧].

٨ - قال الله تعـالى: ﴿[illegible]

$J»Üã bĵ 'Î ŒŸ •š !½ø• 3' {Ťŕ '$ ŦØ7» ≡É ﴾ [الزمر:٢١].

٩ - قال سبحانه: ﴿ r&R'Ø Z$ B` Ø$Bè ÇŽºN Ï B$ B R$g [½ ÈÍÇ ãŸ÷ Ì l Îñ¾m{$

r7R%$ ÈÎÇ r_Z»M Ø#ÿ$ŷ$ ﴾ [النبأ:١٤].

- يلاحـظ في الآيـات السـابقة اقـتران فعـل الإخـراج بحـرف الفـاء ﴿ ù' z• l Îñ¾ ﴾ ﴿ ù' z• Ôy$ Îñ¾ ﴾ ﴿ ù ã÷ Ìß Îñ¾ ﴾ الدالـة عـلى سـعة الإخراج، ففور التقاء الماء بالحب في الأرض يتم سرعة التلقيح، وإن تـأخر ظهـور الـزرع لنـا عـلى وجـه الأرض، وهـذا الاقـتران لم يكـن في الآيتـين الأخيرتـين مـن الآيـات المـذكورة ،وهـي في سـورتي الزمـر، والنبأ،﴿ 6Ô ã Ìß Îñ¾ ﴾ ﴿ ãŸ÷ Ì l Îñ¾ ﴾ للدلالة على أن الإخراج لم يتم بعد نزول الماء مباشرة، وإنما على التراخي، فالماء في هاتين الآيتين لم ينزل للري مباشرة، وإنما تم تخزينه في الأرض والأنهار ليستعمل بعد ذلك .

- **آيات أخرى فيها تفصيلات عن الإنبات، وما شابهه دون الإخراج**

١ - قال الله تعالى: ﴿ ùqè$Ÿ% üĨ &R'A Ÿ B ÆŠ$9 ¡¡J$ä B$[©a/ B¢ç ©•# Ò r B¢ç

© fÖ šÎnè@ Åš3 q c š ÈÇ ãZ6 M9 a/ Îñ¾ 9$" öí 9$#¢ç q c š Z9$#, Ï‹@

﴿ $Fã»Z=| rB` 2à@ è$9$#V J• ºN bĵ 'Î ŒŸ 9 •š My/)ŝ q ß ƒ Gÿ ÿ 6¤ã r c š ﴾ [النحل:١٠-١١].

٢ - قال الله تعالى: ﴾ r?• " $ ŦŒö ß š d$B ‰ôZ ùîŒ# &R'Ø Z$ $gøŠ Ÿ$J9$ä $Ie"Nä

r'/ M rR6F M B` à2 @è ß—/ gŠk& ﴾ [الحج:٥].

٣ - قال الله تعالى: ﴾ 9&Ò ?• & c ž$© R'A "Ÿ B ÆŠ$9 ¡¡J$ä B$[ùĘ Á6Î Å$# öŦ ŀÙ

ê Ò Ÿš ç ĵ c ž$© 9Ü‹ #Ÿ z Î•ž ﴾ [الحج:٦٣].

٤ - قال الله تعالى: ﴿ $R]r ÇÙ öF$'Î p»Y3ó'ù 9‰)Î ä$B ä$J¡¡ 9$`B $Z@"R&r

5» Zã&r @Š]Ü `B M»Z_ ¾ÏmÎ /ä9 $RÙ±S'ù ÇÑÈ brâÏ‰»)9 ¾ÏmÎ ¤U $dŒ 4?ã

©ô$9 $kŽÏù qù°Ï.çµ ÿ•žø $k]ÏB r?ã.èqb﴾ [المؤمنون:١٨].

٥ - قـــال الله تعـــالى: ﴿ &BôÎ {=,$9 ¡¡J»q°N Ï $F ö Ú r&R"A 9 6àN B Æš

$9 ¡¡J$ä ä$B ä$B ¾ÏmÎ $ZF;R'ù n‰$!Î, Œ# Vš /ÿg f 7ƒ B$ 2Ÿ% c š9äô ô&b^ê.ô¶qçt

©f •d$ B»9%# & B ì$! <« /@ Ÿdè ¬R%Ïè‰ãbq﴾ [النمل:٦٠].

٦ - قال الله تعالى: ﴿ z=,$9 ¡¡J»q°N Îöóî Î å‰H% ?•ÏX $k r@ø+4 Î'$ öF Ùz 'r°ÅÓ

&b ?Ü<‰ Î2ä/r f] $kŽÏù `B ä@ Š!#/r $Z@"R&r $`B 9$¡¡J$ä ä$B $Y6;R'ù $kŽÏù `B

2à@ –r— 8 .Ÿ/A°﴾ [لقمان:١٠].

٧ - قـال الله تعـالى: ﴿ r$Z@"R $`B 9$¡¡J$ä ä$B B6»•Z% $Z6;R'ù ¾ÏmÎ _Z»M)r mr=

$t@ƒŠÅ‰ ÇÒÈ 9$Z÷x"/ M»)]; $!Û ÓÙ¯ÓÒ© ÇÈÈ $]hrè$6Ïj9 Š$#r ômÏ•Z$ ¾ÏmÎ

/#t$@$ B62 .<°ÿ7 $œôã?r ß﴾ [ق:٩-١١].

٨ - قـال سـبحانه: ﴿ $R&¹ |Ù7t$Z$!J9# ä$¹ |{ ÇËÎÈ ©§(¹Z$$# Ùö ÇÌÎÈ $y©

'$R7M $kŽÏù m{$ ÇËÐÈ $6Z%r %ÒY$ ÇËÑÈ –—tçqZ$ r‰W/r ÇËÒÈ n‰$!Î, $Ò6ã

ÇÌÉÈ ùr»Ågº Zr&/$ ÇÌÊÈ BG»è$©Ç% r{R3ä/r ö/ÏJ»è"U﴾ [عبس:٢٥-٣٢].

في الآيات السابقة بيان لما يحدثه الماء بالأرض، ومدى الحركة التي تدل على الحيـاة بعـد المـوت﴿ $dI"N à r‘/M Ï6R&r F M `B 2à@ –r— 8 Ågg/ ﴾ وكيـف يتحول لونها

﴿ ùÛA Ïó ÎS$ Fö Ù Ð ê ÿ ÒŠ ç﴾ وكيف ينبت الله منها بهذا الماء الذي لا لون ولا طعـــم ولا رائحـــة لـــه﴿ n‰$!Î, Œ# Vš /ÿg f ﴾و﴿ _Z»M)r mr=

$tøÅŠ‰Ï﴾ ثم كيف ينبت بهذا الماء الشجر الضخم من بذرة لا تكاد ترى من صغرها، فتحول بهذا الماء إلى هذا الحجم، وفيها من الألوان المبهجة، والثمار الطيبة ، والروائح الزكية.

دلالات الآيات :

١- أن الماء ينزل من السماء بقدرة الله تعالى على الأرض . فينبت الثمر الحلو والثمر المرّ ، والأزهار المختلفة الأشكال والألوان.

٢- إن إنزال الماء من السماء يكون بحسب الحاجة ، لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار فيحصل الجدب والمحل . ولا في غير أوانه فيذهب بدداً بلا فائدة . بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب و الانتفاع به، وهذه من نعم الله على عباده.

٣- أن هذا التفاوت في الزرع، والنبات، والخلق دليل عقلي على مشيئة اللهّ تعالى، التي خصصت ما خصصت منه، بلونه، ووصفه، وقدرة اللهّ تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف، وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم بعضا، ما هو معلوم.

٤- وذلك أيضا، دليل على سعة علم اللهّ تعالى، وأنه يبعث من في القبور، ولكن الغافل ينظر في هذه الأشياء وغيرها نظر غفلة لا تحدث له التذكر، وإنما ينتفع بها من يخشى اللهّ تعالى، ويعلم بفكره الصائب

وجه الحكمة فيها(١).

٥- في الآيات السابقة بيان لمصدر هذا الماء أنه نازل من السماء، وأكثر المفسرين على أن المراد بها هنا السحاب، أو مطلق العلو، حيث فُسر بقول الله تعالى :﴿ NçF&R& qßJçFø9t"Rr& `ÏB Èb÷ß9ø9$# ôQr& ß`óstR tbqä9Ì\ßJø9$# ﴾[الواقعة: ٦٨]،ولعل الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو، ليعم بسقيه منخفضها ومرتفعها، ولو كان ربها يسقيها من ناحية من نواحيها لما أتى على الناحية المرتفعة إلا إذا اجتمع في السفلى وكثر. وفي ذلك فساد ، فاقتضت حكمته أن سقاها من فوقها.

- يقول ابن القيم رحمه الله تعالى وهو يتحدث عن نزول المطر من السحاب على الأرض: "فيرشُ السحاب على الأرض رشاً، ويرسله قطرات منفصلة، لا تختلط قطرة منها بأخرى، ولا يتقدم متأخرها، ولا يتأخر متقدمها، ولا تدرك القطرة صاحبتها فتمتزج بها، بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لا تعدل عنه حتى تصيب الأرض قطرة قطرة، قد عينت كل قطرة منها لجزء من الأرض لا تتعداه إلى غيره، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن يخلقوا قطرة واحدة أو يحصوا عدد القطر في لحظة واحدة لعجزوا عنه.

ثم قال رحمه الله: فتأمل كيف يسوقه سبحانه رزقاً للعباد والدواب والطير والذر والنمل، يسوقه رزقاً للحيوان الفلاني، في الأرض الفلانية، بجانب

---

(١) تفسير السعدي (١ / ٦٨٨).

الجبـل الفـلاني، فيصـل إليـه عـلى شِّـدة الحاجـة والعطـش في وقـت كـذا وكذا"[1].

٦- سقيا، وشراب للخلق.

بين الله تعالى في مواضع مـن كتابـه عظـيم منتـه بـإنزال المـاء مـن السـماء وجعله إياه عذباً صـالحاً لسـقيا النـاس، والأنعـام، والنبـات،فمن هـذه الآيات :

١ - قـول الله جـل في عـلاه :﴿ ×ö-r @šÎ/Ur b#qZï¹ žöî r b#qZï¹ çb5#qZï¹ 4+ó ä8J Î ‰ïh°r ﴾ [الرعد:٤].

٢ - قـــــول الله تعـــــالى :﴿ $Zï™ö&r $$Zï™R'ù x»fh9 x‰°q9 $Z9ö`R'ù 9$`B ä$J ¡¡ ä$B $B r ö9 ¼çm ûüRï‘»f2 ﴾[2] [الحجر:٢٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/٢٠٢).

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ فيه للعلماء وجهان من التفسير كلاهما يشهد لـه قـرآن الأول : أن معنى ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ أي ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له ننزله متى شئنا وهذا الوجه تدل عليه آيات كقولـه ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[الحجر : ٢١] وقوله :﴿ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السماوات والأرض ﴾ [المنافقون : ٧] الآية وتحو ذلك من الآيات ، والوجه الثاني: أن معنى ﴿ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ بعد أن أنزلناه عليكم لا تقدرون على حفظه في الآبار والعيون والغدران بل نحن الحافظون له فيها ليكون ذخيرة لكم عند الحاجة ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السمآء مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرض وَإِنَّا على ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٨] وقولـه :﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠] وقوله : ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً ﴾ [الكهف : ٤١] وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله أَنزَلَ مِنَ السمآء مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأرض ﴾ [الزمر : ٢١] الآية إلى غير ذلك من الآيات. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٢ / ٣٩٦).

٣- وقوله تعالى: ﴿ qèd %©!$ üï A“R& Ë 9$$šÆ ä$J¡¡ ä$B /ãè© ç¡ZèB ç¡Zèr Ó #•©
© Öf üšè Å ßšq c š﴾ [النحل: ١٠].

٤- وقولـه تبـارك وتعـالى: ﴿ R&r $Z9ø Ë `$9 ä$J¡¡ ä$B ÛßqY# ÈÑÍÇ ãz ®Ó ' Îiû%¾
/$tZ $$B Ó B r& q Ó< ç¼ Ë Ø$$ z -óY$» è R& $V $R&r ÅÓ 2ŸÝŽ# ﴾ [الفرقان : ٤٨-
٤٩].

٥- وقال الله جل وعلا: ﴿ &ù•ä Ðç $Ø J ä$%©! “ @ ô ŽØ qb ÈÌÑÇ ä&R Nç$ØR&qBß ç$qç
Ë `$ Ø3 “Ì ã &R $ ßØ3 \ ãq b ÈÏÑÇ 9ç ±$ â _ èt Z»ç é` % [% ùû•çöW
@ ô ãã r c š﴾[الواقعة: ٦٨].

وقوله عز وجل: ﴿ r&ô)Ø Zè» /ã ä$B •¥$$ ﴾ [المرسلات: ٢٧].

٧- **التطهير، والطمأنينة، والتثبيت.**

كما حصل للمؤمنين يوم بـدر عنـدما أنـزل الله تعـالى عـلى معسـكرهم خاصة مطراً غزيراً شربوا وتطهروا وتلبدت به التربة فأصبحت صالحة للقتال عليها، قال الله تعالى: ﴿ ãÓ äóè Ššè $$9 Zè$ ¨ &BZ ç¡Ë ãr \íÂ æ ø£ãN
Ë `$9 ä¡¡J$ä B$ä ÜÙ•äN Îiû%¾ ãr ãõë =| ãZ ãã ô “$9 æ ø£ç Ü Ÿ•Ïr ã?4
èè q Î 6ãÖ Nä ãr ãM ŒB ÎiŸ$ $ ¡ $ #%ø P﴾(١)[الأنفال: ١١].

(١) قال الواحدي في الوجيز (١ / ٤٣٢):"وذلك أنهم لما بايتوا المشركين ببدر أصابت جماعة منهم جنابات وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء فوسوس إليهم الشيطان وقال لهم: كيف ترجون الظفر وقد غلبوكم على الماء؟ وأنتم تصلون مجنبين ومحدثين وتزعمون أنكم أولياء الله وفيكم نبيه؟ فأنزل الله تعالى مطرا سال منه الوادي حتى اغتسلوا وزالت الوسوسة فذلك قوله: ﴿ليطهركم به﴾ أي: من الأحداث والجنابات ﴿ ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته التي تكسب عذاب الله ﴿ وليربط ﴾ به ﴿ على قلوبكم ﴾ باليقين والنصر ﴿ويثبت به الأقدام﴾
=

لقد تضمنت هذه الآية الكريمة أربعة من أغراض نزول المطر، وهو التطهير بنوعيه الحسي، والمعنوي، والطمأنينة، والتثبيت، فهو سبحانه أنزل على المؤمنين المطر من السماء ليطهرهم به من الحدثين : الأصغر والأكبر، وهذا التطهير الحسي،ويذهب عنهم رجز الشيطان ووسوسته للمؤمنين، وتخويفه إياهم من العطش وغيره عند فقدهم الماء وإلقاؤه الظنون السيئة في قلوبهم وهذا هو التطهير الباطني،﴿وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ﴾ أي: وليقويها بالثقة في نصر الله، وليوطنها على الصبر والطمأنينة . . ولا شك أن وجود الماء في حوزة المحاربين يزيدهم قوة على قوتهم، وثباتاً على ثباتهم، أما فقده فإنه يؤدي إلى فقد الثقة والاطمئنان، بل وإلى الهزيمة المحققة، ورابع هذه الأغراض التي تولدت عن نزول الماء من السماء على المؤمنين ، قبل خوضهم معركة بدر ، يتجلى في قوله تعالى:﴿**وَيُثَبِّتَ بِهِ الأقدام**﴾ حتى لا تسوخ في الرمال، وحتى يسهل المشي عليها ، إذ من المعروف أن من العسير المشي على الرمال، فإذا ما نزلت عليها الأمطار جمدت وسهل السير فوقها، وانطفأ غبارها، فالضمير في قوله ﴿**بِهِ**﴾ يعود على الماء المنزل من السماء(١)، فمعنى الآية : إذ يُلْقي الله عليكم النعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا،

= وذلك أنهم كانوا قد نزلوا على كثيب تغوص فيه أرجلهم فلبده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام".

(١) قال الزمخشري : ويجوز أن يعود للربط - في قوله ﴿وَلِيَرْبِطَ على قُلُوبِكُمْ﴾ ، لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبت القدم في مواطن القتال .

ليطهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام[١].

- وبعد: فهذا المطر ينزله الله تعالى وقت حاجة العباد إليه، ويرفعه إذا خيف منه الضرر، وينزله تارة أخرى يعذب به الظالمين، وفي كل ذلك آية تُعرف العبد بخالقه، وربه، فيعرفه بإيصاله النعم إلي خلقه وقت الحاجة والضرورة إليها،وصرفها عن الظالمين، بل إهلاكهم بنفس الأداة، فسبحان الخالق الرازق.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣ / ٤٢١)، وفتح القدير (٣ /١٥٦)، وتفسير السعدي (١ / ٣١٦)، والتفسير الميسر (٣ / ١٧٩).

المبحث الرابع : أماكن وجود الماء :

أ/ أماكن تواجد هذا الماء بعد نزوله.

إن هذا الماء الذي ينزله الله تعالى من السماء جزء منه يسكن الأرض، وجزء آخر يسلك ينابيع في الأرض، وجزء ثالث يساق أنهارا، وهذا الماء النازل بقدرة الله تعالى إذا كان كثيراً تكونت منه السيول العظيمة التي تسقط إلى الأرض مكونة مياه الآبار، والأنهار، والعيون، والمياه الجوفية، التي نشرب منها، ونسقي زرعنا وأنعامنا، قال الله تعالى :

١ - ﴿ $Z9ø“R&r ¨B$`Ï9$J¡¡ ä$B ä$B Î)9‰ ù'3ŠY»çÎ'$ ÇÚöF{$ r$Ï$ 4?ã $dŒ U¤ Îhï¾ 9)b»r&ä ﴾[المؤمنون: ١٨].

٢ - ﴿ N9& •? b&$©! A“R& Ï`B 9J¡¡ ä$B [ä$B ù ¡=3ç¼ f¼Y»‹ì ÎÎ † $ öF{ ÇÚ ﴾[الزمر: ٢١].

٣ - ﴿ A“R& Ï`B Æš$9J¡¡ ä$B ä$B ù ¡$9M ô&rŠƒ/ß Î)‰ $dÍ ﴾[الرعد:١٧].

ب/ الأماكن التي تنتفع من نزول الماء عليها، واحتباسه فيها.

من الآيات السابقة يتبين لنا أن الأرض هي المنتفعة من نزول المطر عليها، وليست كلها بل هناك أماكن معينة هي التي تنتفع من نزول المطر عليها وهي الجبال، والجبال المنبسطة، والهضاب، وقد سماها النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أنس بن مالك حيث قال :" جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله : هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم فمطروا من

الجمعة إلى الجمعة فجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله تهدمت البيوت وتقطعت السبل وهلكت المواشي . فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم **(اللهم على رؤس الجبال والآكام**[١] **وبطون الأودية ومنابت الشجر)**، فانجابت عن المدينة انجياب الثوب"[٢]. كما جعل الله سبحانه وتعالى من أحوالِ الماء أن ينزِّل من السماء فتكونُ الأرض له كالقيعان، لا تحبسُ ماءً ولا تنبِتُ كلأً، وهذه الحالُ هي السَّنَة التي ذكرها النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنّ السَّنَة ليس بأن لا يكون فيها مطر، ولكنَّ السّنة أن تمطِر السماء ولا تنبتُ الأرض"[٣].

والبركة كل البركة ـ عبادَ الله ـ في نزول المطر الذي تَنبُت به الأرض وتحيى به الموات، كما قال تعالى: ﴿ $Z9ø‘R&r Ë `$S9 ¡¡J$ä B$ä[Ûg$qY# ÈÑÍÇ Ìj$s Å‘ Îiì¾ /tZ ŒBG èr óÉ<ç¼ B$Ë$ z =ðY &èR»J$ $r&R$ ÅÓ 2ŸÏŽ#﴾[الفرقان:٤٨، ٤٩].

ولهذا الانتفاع آثار، سيأتي الحديث عنها في المبحث القادم.

---

(١) الآكام جمع أكم وهو جمع أكمة وهي الرابية أي الأرض المرتفعة. مسند الشافعي ترتيب السندي (٥٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الدعاء إذا انقطع السبل(٩٧١) (١ / ٣٤٥)،ومعنى انجابت أي : انكشفت وزالت وقوله انجياب الثوب أي عن الجسم فيعرى وكذلك عريت السماء بعد زوال السحب) وبُطون الأودية ومَنَابت الشجرِ " فانجابتْ عن المدينة انجيابَ الثوب. مسند الشافعي ترتيب السندي (٥٢١).

(٣) مسند الإمام أحمد ،في مسند أبي هريرة رضي الله عنه (٨٧٣٦)(١٨ / ٢٦٧).

المبحث الخامس : أحوال العباد وقت نزول المطر، ووقت انحباسه

أ – بين القنوط، والاستبشار

بيّن الله سبحانه وتعالى حال الناس قبل وبعد نزول المطر، فهم قبل نزوله في غاية الحيرة والقنوط والإبلاس ، لشدة حاجتهم إلى الغيث الذي طال انتظارهم له وتطلعهم إليه دون أن ينزل، وهم عند نزوله في غاية الفرح والاستبشار، فسبحان من حول النفوس بنزول المطر من حالة الحزن إلى حالة الفرح ، وجعل الوجوه مستبشرة بعد أن كانت عابسة يائسة قال الله تعالى :﴿**اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ**[١] **لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الروم: ٤٨-٥٠] فهؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا قَنطين أزلين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم، جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقعا عظيما[٢]، ويقول الطاهر بن

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف (١ /٩٦٨): وقوله ﴿ مِّن قَبْلِهِ ﴾ من باب التكرير والتوكيد ، كقوله - تعالى - : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النار خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ " ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد ، فاستحكم يأسهم ، وتمادى إبلاسهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك "

(٢) ينظر : تفسير ابن كثير (٦ /٣٢٢).

عاشور :" وذكر اختلاف أحوال العباد في وقت نزول المطر وفي وقت انحباسه بين استبشار وإبلاس إدماج للتذكير برحمة الله إياهم وللاعتبار باختلاف تأثرات نفوسهم في السراء والضراء وفي ذلك إيماء إلى عظيم تصرف الله في خلقة الإنسان إذ جعله قابلا لاختلاف الانفعال مع اتحاد العقل والقلب كما جعل السحاب مختلف الانفعال من بسط وتقطع مع اتحاد الفعل وهو خروج الودق من خلاله"(١).

ب -الآثار المترتبة من تكوين المطر ونزوله :

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٨) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ٢ لَمُبْلِسِينَ (٤٩) فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٤٨-٥٠].

تبين لنا الآية الكريمة أن نزول المطر نعمة من الله تعالى ورحمة يرحم به عباده، وقد أمرنا الله تعالى أن ننظر إلى هذه الآثار ، ورحمة الله تعالى هنا هي المطر، والآثار اخضرار الأرض، وألوان الجنات، والثمار، والأشجار،فهو

(١) التحرير والتنوير (١ / ٣٢٥٧).

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (١ /٩٦٨): وقوله ﴿مِّن قَبْلِهِ﴾ من باب التكرير والتوكيد ، كقوله - تعالى - : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي النار خَالِدِينَ فِيهَا﴾ " ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد ، فاستحكم يأسهم ، وتمادى إبلاسهم ، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك "

نظر مرئي بالبصر، وكذلك يراد به نظر تدبر واستدلال واستبصار وتفكر لأن الآية جاءت في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى: فمن أعظم تلك الآثار حياة بعد موت، وتظهر هذه الآثار إذا نظرنا إليها في النفوس المستبشرة بعد القنوط ، وفي الأرض المستبشرة بعد الهمود؛ وفي الحياة التي تدب في التربة وتدب في القلوب،﴿ **فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ فالفاء هنا للدلالة على سرعة الانتقال من حالة اليأس إلى الاستبشار ..وهذا النظر والتدبر يبرهن على قضية البعث والإحياء في الآخرة . على طريقة الاستدلال القرآني، فإحياء الله الأرض بعد موتها برهان قاطع من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت؛ لأنه برهان حسي يتجدد بين يدي الناس، ويشاهدون فيه آثار قدرة الله -تعالى- في الإحياء المتجدد؛ ولأن من أخرج النبات وجعل في الأرض من كل زوج بهيج فأحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الناس بعد موتهم ﴿**إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ . . ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾. وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: مُروا الناس أن يخرجوا إلى الصحاري أيام الربيع فينظروا إلى آثار رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها[١] .

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (١ / ٢١٩)،لأحمد بن يوسف التيفاشي.

المبحث السادس : بيان مُنْزِل هذا الماء.

مطرنا بفضل الله تعالى وحده لا شريك له .

إن هذا الماء لا ينزل نتيجة مصادفة،أو بفعل شحنات كهربائية محضة، أو بفعل غير ذلك، ولكن ينزله الله تعالى، كما أخبرنا، قال جل شأنه:﴿ [illegible] ﴾ [الحج:٦٣]، وإضافة نزول المطر ، وما يصحبه من عوامل الرياح، والبرد، وغير ذلك إلى غير الله تعالى كالأنواء كفر بالله تعالى[1]،وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية، وجاء القرآن في عدة آيات منه بتخليص العقيدة من أدران الشرك، إذ لا مؤثر في الكون إلا الله تعالى، مع علمنا بأنه سبحانه يخلق الأسباب التي ينعقد بها هذا التأثير، وتأثير هذه الأسباب هي داخلة في مشيئة الله تعالى، قال جل ذكره :﴿ [illegible]

[illegible]

---

(١) المراد بالكفر هنا الكفر الأصغر، فهو يصدر عن الكفار بسبب نسبة ذلك إلى غير الله وكفران نعمته، وإن كان يعتقد أن الله تعالى هو الخالق للمطر المنزل له بدليل قوله في الحديث:"فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته ٠٠" إلى آخره، فأتى بباء السببية ليدل على أنهم نسبوا وجود المطر إلى ما اعتقدوه سببا.ينظر : تيسير العزيز الحميد، شرح كتاب التوحيد (٢٣٦).

$$ s#ôq‹ $‹R‰9$ Ÿ© ôŽ$Z ØB Ä ã Ÿ2aŸ Ÿ2ãªä !$JÎ ? ?èJèq š c ﴾ [يونس: ٢٢-٢٣]، وفي الحديث عن زيد بن خالد الجهني أنه قال :" صلى لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف النبي صلى الله عليه و سلم أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"(١) .

إذن لننسب الفضل له، فما مطرنا إلا بفضل الله ورحمته ولا نقول ما قال الأبعد حين سمع قول الله تعالى: ﴿ ö@è% ÷Läê÷ƒuäur& ÷bÎ) yxt7ô¹r& ö/ä.ät!$tB #Yöqxî ` Jù

ÎŽÛ/ä3‹Ï?ù'tƒ &ä!$yJÎ/ ûüÏèB ﴾ [تبارك: ٣٠]، ولربما قال قائل: تأتي به الفؤوس والمعاول، نقول: لا يأتي به إلا الله وحده سبحانه، فهو القائل جل في علاه: ﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾، والقائل سبحانه: ﴿ ÌÝàZu‹ù=sù ß`»|¡RM}$# 4'n<Î)

ÿ¾ÏmÏB$yèsÛ ÇËÍÈ $¯Rr& $uZö;t7|¹ uä!$yJø9$# ${7|¹ ÇËÎÈ ¢OèO $oYø)s)x© uÚö‘F{$# $y)x© ÇËÏÈ $uZ÷Kt7/Rr'sù $pkŽÏù ${7ym

ÇËÐÈ $Y6uZÏãur $Vôÿsr% ÇËÑÈ $ZRqçG÷ƒy—ur Wxøƒwxur ÇËÒÈ t,ͬ!#y‰tnur $Y6ù=äñ ÇÌÉÈ ZpyèÅ3»sùur $|/r&ur ÇÌÊÈ $Yè»tGB

ö/ä3©9 ö/ä3ÏJ»yè÷RL{ur ﴾[عبس: ٢٤-٣٢]،فوالله لولا الله ما سقينا ولا تنعّمنا بها أوتينا ﴿ ä•ù&ur ãNä.øŒÎ) $RBr& ÷LäêR& š c qãèxÿôÒtGó¡•B $R»ØÐ «ŽFš$# šcqèù$sƒrB br& ãNä3xÿ©Üy‚tFtƒ â¨$¨Y9$# öNä31uru«$sù

f 9 èåY»¨Zt ÇÈÈ ¸Uä¾ÏLÏe/# ÇÊÎÈ ÇËÏÈ bq3‹ò #/ ÇÊÑÈ br& bq2ŽäóåC ÇÊÐÈ bqã3ƒø?

ä•ù& ÇÌÉÈ bq. ÓÌ ÇÎÈ bqã ÓÌ% ¼çŸ ` B ãNß31t ‹ ÇÊÈ bq3‹ò ÎÇ ÇËÈ bq3‹ò ÇËÉÈ

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء ، باب غزوة الحديبية (٩٩١)(٤/ ١٥٢٤).

ö9 Ş±$â _ èZtüçé ` % `[% ùöqW @ âéãr cš ﴾[الواقعة: ٦٣-٦٩][1].

(١) اللهم لك الشكر على آلائك التي لا تعد ولا تحصى، اللهم لو شئت لجعلت ماءنا أجاجاً، ولكن رحمتك أدركتنا فجعلته عذباً زلالاً، فمنك ماؤنا، ومنك طعامنا فلك الشكر لا نحصي ثناءً عليك﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور﴾،اللهم فارزقنا الخشية منك. اللهم اجعلنا من العلماء أهل الخشية منك. **﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾**.

المبحث السابع : الأسباب الموجبة لنزول المطر :

إن طاعة الله تعالى على العموم سبب للرِّزق[1]، وخاصة الأمطار، وقد دلت على ذلك آيات القرآن الكريم، فمنها قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القرى آمَنُواْ واتقوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السمآء والأرض﴾ [الأعراف : ٩٦]، ومن بركات السماء المطر ومن بركات الأرض : النبات مما يأكل الناس والأنعام .

وذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أهل الكتاب لو أطاعوا الله، وأقاموا كتابهم بإتباعه، والعمل بما فيه، ليسّر الله لهم الأرزاق وأرسل

---

(١) قال سيد قطب- رحمه الله تعالى- في ظلال القرآن(٣٤٦/٧-٣٤٧) : "وهذه القاعدة التي يقررها القرآن في مواضع متفرقة، قاعدة صحيحة تقوم على أسبابها من وعد الله، ومن سنة الحياة؛ كما أن الواقع العملي يشهد بتحققها على مدار القرون. والحديث في هذه القاعدة عن الأمم لا عن الأفراد. وما من أمة قام فيها شرع الله ، واتجهت اتجاهاً حقيقياً لله بالعمل الصالح والاستغفار المنبئ عن خشية الله . . ما من أمة اتقت الله وعبدته وأقامت شريعته ، فحققت العدل والأمن للناس جميعاً ، إلا فاضت فيها الخيرات ، ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح سواء .ولقد نشهد في بعض الفترات أمماً لا تتقي الله ولا تقيم شريعته؛ وهي مع هذا موسع عليها في الرزق ، ممكن لها في الأرض، ولكن هذا إنما هو الابتلاء : ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ثم هو بعد ذلك رخاء مؤوف ، تأكله آفات الاختلال الاجتماعي والانحدار الأخلاقي، أو الظلم والبغي وإهدار كرامة الإنسان". أقول: هذه القاعدة تصح على الأفراد كذلك، وقد يلحظ أن الله تعالى يرزق المؤمن العاصي، والكافر على حد سواء، بل قد يكون مقدار الرزق لغير المؤمن أكبر وأكثر، لكن الفارق في ذلك أمران هما : البركة في الرزق، والرضى به ولو قلَّ، وهذا لا يوجد عند الكافر، والعاصي الَذين يحبان المال حباً جماً، والآية المذكورة تدل على ذلك (ولو أن أهل القرى آمنوا٠٠٠).الآية .

عليهم المطر، وأخرج لهم ثمرات الأرض قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التوراة والإنجيل وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾ [المائدة : ٦٦].

وبين في مواضع أُخَر أن ذلك ليس خاصّاً بهم ، كقوله عن نوح- عليه الصلاة والسلام- وقومه:﴿**فَقُلْتُ استغفروا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارا**﴾[نوح : ١٠-١٢]، وقوله عن هود- عليه الصلاة والسلام- وقومه : ﴿**وياقوم استغفروا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السمآء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إلى قُوَّتِكُم**﴾[هود : ٥٢]، وقوله عن نبينا عليه الصلاة والسلام وقومه ﴿**وَأَنِ استغفروا رَبَّكُمْ ثُمَّ توبوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعاً حَسَناً إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾[هود : ٣]، ومن المتاع الحسن : المطر، وقال عز وجل:﴿**وَأَلَّوِ استقاموا عَلَى الطريقة لأَسْقَيْنَاهُم مَّآءً غَدَقاً**﴾[الجن:١٦].

ففي الآيات السابقة ربط ظاهر بين صلاح القلوب واستقامتها على هدى الله، وبين تيسير الأرزاق، وعموم الرخاء، وربط بين الاستغفار وهذه الأرزاق مما يدل على أن الاستغفار على الخصوص يستنزل به الرزق والأمطار، وفيها بيان لوعد الله تعالى المستغفرين بالرزق الكثير على لسان نبيه نوح، وهود، ومحمد -عليهم الصلاة والسلام- فالاستغفار من أعظم الأسباب الموجبة لنزول الأمطار الغزيرة، قال الشعبيّ : "خرج عمر بن الخطاب يستسقي، فما زاد على الاستغفار، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين

ما رأيناك استسقيت، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديح[1] السماء التي يستنزل بها المطر، ثم قرأ ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾، وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ: ﴿**وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ**﴾"[2].

كما أن فيها دليلاً على أن معصية الله تعالى سبب لنقيض ما يستجلب بطاعته[3].

---

(١) مجاديح جمع مِجْدَح، وهو نجم من النجوم، وهو عند العرب من الأنواء الدالَّة على المطر، فجعل الاستغفار مشبَّهاً بالأنواء، مخاطبةً لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء التي يزعمون أن من شأنها المطر.ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (١ / ٧٠٠).

(٢) الأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٩٠٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢ / ٤٧٤)، والطبري في تفسيره (٢٣ / ٦٣٣)، وقال الحافظ في الكافي الشاف ص ١٧٧ :"رجاله ثقات إلا أنه منقطع".

(٣) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن (٦ / ١٧).

الخاتمة :

بعد رحلة قرآنية سريعة للبحث في موضوع المطر من خلال دلالات آياته القرآنية في مواردها، ومن خلال سياقاتها، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١ - المطر رحمة ينزله الله تعالى من السماء لأجل العباد، والبلاد، والبهائم، وكما ينزل الرحمة فهو سبحانه ينزل العذاب أيضا.

٢ - أن هذا الماء النازل لسقيا الإنسان، والحيوان، والنبات، جزء منه يسكن الأرض، وجزء آخر يسلك ينابيع، وجزء ثالث يساق أنهارا.

٣ - تحدث القرآن عن أنواع المياه بدقة فائقة وصنفها بما يتناسب مع درجة نقاوتها، فالقرآن يسمي الماء المقطر وهو ماء المطر بالماء الطهور ويسمي الماء العذب الذي نشربه من الأنهار والآبار بالماء الفرات، ويسمي ماء البحر الذي يحتوي على نسبة عالية من الملوحة بالماء الأجاج، وقد ثبُت علمياً الفوارق الكبيرة بين هذه الأنواع.

٤ - من أسرار التعبير القرآني خصوصيات الاستعمال القرآني للألفاظ.

٥ - الماء النازل من السماء نعمة عظيمة على أهل الأرض جميعاً، وقد ذكر بهذا المعنى في القرآن الكريم في تسع وعشرين مرة، وقد تناولت هذه المواضع موضوعات عديدة، ودلالات متنوعة : كإخراج أنواع الثمرات وتعدد أصناف الخلق، وإحياء الأرض بعد موتها، والبعث وبيان حقيقة الحياة الدنيا.

٦- تنوع أغراض نزول المطر ما بين ضرب المثل به، والإحياء، والنقم والعذاب، والنعم والامتنان.

٧- أن الله تعالى هو بفضله ينزل المطر، وهذا فيه إبطال لدعوة الكفار في نسبة نزوله إلى الأنواء.

٨- الإصابة بالمطر، والصرف أبلغ في المنفعة والامتنان للعباد.

٩- أن المطر له أسماء، وأوصاف مذكورة في القرآن الكريم، وكل تسمية أو وصف فهو باعتبار معنى من معاني هذا الماء النازل من السماء.

١٠-أن طاعة الله على العموم، والاستغفار على الخصوص من أعظم الأسباب الموجبة لنزول المطر.

١١-معصية الله تعالى من أهم أسباب حرمان نزول المطر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس المصادر والمراجع

١ - أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، اعتنى به : محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٢ -التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

٣ - تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل عمر ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء، مؤسسة الريان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

٤ - تفسير أبي حيان = البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٥ - تفسير أبي السعود= إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لمحمد محمد بن مصطفى أبو السعود العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٦ - تفسير البيضاوي، وهو مطبوع مع حاشية الشهاب على البيضاوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧ - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرّازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣.

٨ - تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد

الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق : محمد النجار، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية بالرياض.

٩ - تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

١٠ - تفسير القرآن الكريم، لمحمد بن صالح العثيمين، دار الجوزي، ط١، ١٤٢٣هـ .

١١ - تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٢ - التفسير الميسر، لعائض القرني، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م.

١٣ - تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحدائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤ - تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط١،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٥ - تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ت: عادل سعد، النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

١٦ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي، مطبعة بولاق، ١٢٩٩هـ.

١٧ - الدر المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
١٨ - ديوان امرئ القيس، تقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، ١٩٥٨م.
١٩ - زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.
٢٠ - سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، لأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، تهذيب: محمد بن جلال الدين (ابن منظور)، تحقيق : إحسان عباس، نشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
٢١ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ط١، ١٣٧٦هـ.
٢٢ - صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣ - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤ - فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي أولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٣هـ.
٢٥ - في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ١٤٠٠هـ =١٩٨٠م.
٢٦ - لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤هـ.

٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي للطباعة النشر.
٢٨- مسند الشافعي ترتيب السندي، لأبي عبد الله إدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٨- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢،١٤٠٣هـ.
٢٩- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، نشر: اتحاد الكتّاب العرب، مصر، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٢م.
٣٠- مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣١- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
٣٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، دار الأندلس، بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية، ط١، ١٣٩٦هـ.
٣٣- النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تعليق: عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، نشر: دار القلم، والدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٥- الوسيط لسيد طنطاوي، المكتبة الشاملة الإلكترونية.

التناسب بين القسم المفرد وجوابه في القرآن الكريم

د . ناصر بن محمد آل عشوان

د. ناصر بن محمد آل عشوان

- عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- الأمين العام للجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (علوم القرآن عند ابن حزم –جمعاً ودراسةً-).
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته: (تحقيق كتاب أحكام القرآن للقشيري من أول الكتاب إلى نهاية تفسير سورة الأعراف)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أنزله بأفصح لسان، وأبلغ بيان، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين . أما بعد:

فمن تأمل كتاب الله العزيز وجده محكم السرد، متقن السبك، بين كلماته، وجمله، وآياته، وسوره من الترابط والتناسق أبلغه .

ومن ذلك التناسب بين القسم وجوابه، فالله تعالى يقسم بما يشاء، فيقسم تعالى بذاته، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، أو بشيء من مخلوقاته، وفي مواضع يأتي المقسم به مفردًا، وفي مواضع أخرى يتعدد المقسم به .

ويختار – سبحانه - من ذلك ما يناسب جواب القسم، لمن تأمله وتدبره .

وهذا الجانب – أعني وجوه التناسب بين القسم وجوابه – يكشف وجهًا من وجوه إعجاز القرآن الكريم في أسلوبه ونظمه .

ولذا اخترت الكتابة في هذا الموضوع، ووسمته بـ

(التناسب بين القسم المفرد وجوابه) [1]

حدود البحث:

١. اقتصرت في هذا البحث على ما أقسم الله به، دون ما صدر من

(١) سأفرد (التناسب بين القسم المتعدد وجوابه) في بحث مستقل إن شاء الله .

أقسام على لسان رسله، أو ما سجل على لسان خلقه، فالمخلوق لا يقسم إلا بالخالق سبحانه، وأما الخالق فيقسم بما يشاء، وهنا تظهر المناسبة والارتباط .

٢. اقتصرت على القسم الظاهر دون المضمر ؛ لأن تقدير المقسم به في القسم المضمر لا يختلف .

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مباحث، حسب المقسم به:

المبحث الأول: القسم بلفظ الجلالة .

المبحث الثاني: القسم بربوبية الله تعالى .

المبحث الثالث: القسم بالقرآن .

المبحث الرابع: القسم بعمر الرسول r .

المبحث الخامس: القسم بالسماء ذات الحبك .

المبحث السادس: القسم بالنجوم ومواقعها .

المبحث السابع: القسم بالعصر .

ثم ختمت البحث بخاتمة، ذكرت فيها بعض ما توصلت له خلال هذا البحث .

ثم أعقبتها بثبت للمصادر والمراجع .

المنهج المتبع:

أذكر الآية التي ورد فيها القسم، ثم أذكر المقسم به، والمراد به، ثم جواب القسم، والمراد به، ثم وجه التناسب بين القسم وجوابه .

وإن كان في المراد بالمقسم به أو جوابه خلاف فإني أذكره، مبينًا الصواب – في الغالب - .

ومن الله استلهم الصواب، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الأول: القسم بلفظ الجلالة

أقسم تعالى بلفظ الجلالة (الله) في موضعين هما:

١ . قولـــه تعـــالى:M * + , - . / 0 2 3 4 5 6 L [النحل: ٥٦].

جواب القسم:

M 3 4 5 6 L أقسم تعالى على سؤال هؤلاء المشركين عما كانوا يفترون من الكذب على الله، أن له شريكًا .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

المقسم به لفظ الجلالة الدال على أنه سبحانه وتعالى المألوه المعبود، المستحق للعبادة دون ما سواه، وهؤلاء أشركوا معه غيره فيما يتقربون به من القربات إلى هذه الأصنام - التي لا تنفع ولا تضر - مع كون هذه الأرزاق من الله .

فناسب أن يقسم بإلوهيته لبيان استحقاقه للعبادة دون ما سواه .

ولكون ما فعله هؤلاء المشركون من الأمور المستغربة الداعية إلى التعجب من صنيعهم، أتى القسم هنا بالتاء للدلالة على كون هذا الصنيع مستغربًا، قال ابن عاشور: ((والقسم بالتاء يختص بما يكون المقسم عليه أمرًا عجيبًا ومستغربًا، فالإتيان في القسم هنا بحرف التاء مؤذن بأنهم يسألون سؤلاً عجيبًا بمقدار غرابة الجرم المسؤول عنه)) . [1]

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤ / ١٨١ .

٢ . قوله تعالى: M تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ L [النحل: ٦٣] .

جواب القسم:

Mلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ L

المقسم عليه: إرسال الرسل إلى الأمم السابقة، وتكذيبهم لأنبيائهم، واتباعهم للشيطان كما هو حال قومك معك .

والمقصود بالقسم هنا هؤلاء المكذبين، وليس المقصود به رسول الله r ، فهو ليس في شك من ذلك .

وليس المقصود من القسم – أيضًا - إثبات إرسال الرسل إلى الأمم السابقة، فإن هذا أمر لا ينكره الكفار، وإنما المقصود من ذلك ذكر وجه الشبه بين إضلال الشيطان للمشركين، وإضلاله للأمم السابقة .

قال ابن عاشور: ((ووجّه الخطاب إلى النبي r لقصد إبلاغه إلى أسماع الناس، فإن القرآن منزل لهدى الناس، فتأكيد الخبر بالقسم منظور فيه إلى المقصودين بالخبر لا إلى الموجه إليه الخبر، لأن النبي r لا يشك في ذلك .

ومصب القسم هو التفريع في قوله تعالى: Mفَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ L .

وأما الإرسال إلى أمم من قبلهم فلا يشك فيه المشركون . وشأن التاء المثناة أن تقع في قسم على مستغرب، مصب القسم هنا هو المفرد بقوله تعالى: Mفَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ L لأن تأثير تزيين الشيطان لهم أعمالهم بعدما جاءهم من إرشاد رسلهم أمر عجيب.

وتزيين الشيطان أعمالهم كناية عن المعاصي، فمن ذلك عدم الإيمان بالرسل وهو كمال التنظير، ومنها الابتداعات المنافية لما جاءت به الرسل عليهم السلام ، مثل ابتداع المشركين البحيرة والسائبة، والمقصود: أن المشركين سلكوا مسلك من قبلهم من الأمم التي زين لهم الشيطان أعمالهم)) . [(١)]

وما ذكره ابن عاشور من أن المقصود من القسم بيان سلوك المشركين لطريق من سبقهم من الأمم التي زين لهم الشيطان، يؤيده سياق الآيات، حيث إن سياق الآيات يتحدث عن الشرك وصوره .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

المقسم به هو لفظ الجلالة، الدال على انفراد الله بالعبادة، واستحقاقه صرف جميع أنواع العبادات والقربات إليه دون ما سواه، وهؤلاء المشركون أشركوا بالله وكفروا به، واتبعوا الشيطان، مع إقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل إليهم، كما هو حال من سبقهم من الأمم السابقة .

فناسب أن يقسم بلفظ الجلالة، لما تضمنه من إفراده بالعبادة .

وفي القسم بلفظ الجلالة، الذي هو اسم الله الأعظم من المهابة والتعظيم ما لا يخفى، فناسب أن يقسم به، لبث الخوف في هذه القلوب التي استمالها الشيطان، فكانت من أتباعه .

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤ / ١٩٤ .

المبحث الثاني: القسم بربوبية الله تعالى

أقسم تعالى بربوبيته مضافة إلى رسوله r في ثلاثة مواضع، ومضافة إلى السماء والأرض في موضع واحد، ومضافة إلى المشارق والمغارب في موضع واحد.

أ. القسم بربوبية الله تعالى مضافة إلى المخاطب: رسول الله r .

١ . قال تعالى: M فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ´ µ ¶ ¸ يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ L . [النساء: ٦٥].

جواب القسم: قوله تعالى: Mلَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ´ µ ¶ ¸ يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا L .

نفي الإيمان عن الخلق حتى يحكموا رسول الله r فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضى رسوله r ويسلموا تسليمًا.

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أقسم سبحانه بربوبيته، ولفظ الرب يقتضي الإصلاح والرعاية(١)، ومن ضمن ذلك تشريع ما يصلح الناس من أحكام، ومنها ما جاء به الرسول r .

وأضاف هذه الربوبية إلى رسوله r رداً على من طعن في مقامه r ولم يرض بتحكيمه.(٢)

---

(١) انظر: جامع البيان: ١ / ١٤٢، المفردات: ١٨٩ .

(٢) سواء قلنا بأن سبب نزول هذه الآية قصة الزبير في خصومته مع الأنصاري، أم أنها نزلت فيمن يريد التحاكم إلى الطاغوت. انظر في سبب نزولها: جامع البيان: ٧ / ٢٠١، أحكام القرآن لابن =

وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – وجهًا قريبًا من هذا، حيث قال: ((وتأمل أيضا المناسبة بين المقسم به و المقسم عليه، فالمقسم به ربوبية الله لنبيه r ، والمقسم عليه: هو عدم الإيمان إلا بتحكيم النبي r تحكيمًا تامًا يستلزم الانشراح و الانقياد والقبول، فإن ربوبية الله لرسوله تقتضي أن يكون ما حكم به مطابقًا لما أذن به ربه ورضيه، فإن مقتضي الربوبية أن لا يقره على خطأ لا يرضاه له)) .[1]

٢ . قال تعالى: M وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ! " # $ % & ' ( ) * + , L [الحجر: ٨٩-٩٣] .

جواب القسم:

قوله تعالى: M ' ( ) * + , L .

من العلماء من جعل السؤال متوجها إلى المقتسمين[2] الذين جعلوا

= العربي: ١ / ٥٧٨، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٤٤٠، تفسير القرآن العظيم: ١ / ٥٢٠، التحرير والتنوير: ٥ / ١١١ .

(١) رسالة في زكاة الحلي: ١٨ .

(٢) اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالمقتسمين ومردها إلى ثلاثة أقوال، الأول: أن المقتسمين هم رهط من قوم صالح، تقاسموا على تبييته وأهله، وعلى هذا فيكون الاقتسام مأخوذا من القسم بمعنى اليمين . الثاني: أهل الكتاب، سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، أو لأنهم كانوا يقولون مستهزئين: هذه السورة لي، وهذه السورة لك . الثالث: جماعة من كفار قريش، اقتسموا القرآن، فجعلوا بعضه شعرا، وبعضه كهانة، وبعضه سحرا، وبعضه أساطير الأولين، وعلى هذين القولين يكون الاقتسام من التقسيم .

=

القرآن عضين [١] [٢] .

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الآية عامة في سؤال الجميع - الكافر والمؤمن - على حد سواء، قال ابن عطية في تفسير هذه الآية: ((ضمير عام، ووعيد محض يأخذ كل أحد منه بحسب جرمه وعصيانه، فالكافر يسأل عن (لا إله إلا الله)، وعن الرسل، وعن كفره وقصده، والمؤمن العاصي يسأل عن تضييعه، والإمام عن رعيته، وكل مكلف عما كلف به)) . [٣]

والذي يدل عليه سياق الآيات القول الأول، حيث أمر الله تعالى رسوله r

---

= وقد ذهب ابن جرير إلى عموم الآية، وذهب ابن عطية والشنقيطي إلى تضعيف القول الأول، واختار الشنقيطي أن الآية تشمل القولين الأخرين، وإن كانت القرينة في الآية تؤيد الثالث، كذا قال الشنقيطي .

انظر: جامع البيان: ١٤ / ١٢٩، المحرر: ٨ / ٣٥٥، أضواء البيان: ٣ / ١٩٧ .

(١) إما أن تكون مأخوذة من قولهم: عضيت الشيء تعضية، إذا فرقته، فيكون المعنى: أنهم فرقوا القول في القرآن، إذ جعلوه شعرا، وسحرا، وكهانة، وأساطير الأولين .

وإما أن يكون معناها: قولهم بأن القرآن سحر ، فالعَضه بلسان قريش السحر .

وإما أن يكون المعنى: أنهم عضهوا القرآن وبهتوه فقالوا هو: شعر، وسحر، وكهانة، ونحو ذلك، مأخوذا من قولهم: عضهت الرجل أعضهه عضها: إذا بهته، وقذفته ببهتان .

وهذه المعاني متقاربة، كما ذكر ذلك ابن جرير . انظر: معاني القرآن للفراء: ٢ / ٩٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٢٣٩، جامع البيان: ١٤ / ١٣٤، المحرر: ٨ / ٢٥٦ .

(٢) انظر: جامع البيان: ١٤ / ١٣٩ .

(٣) المحرر الوجيز: ٨ / ٣٥٧ . وممن ذهب إلى هذا القرطبي في تفسيره: ١٢ / ٢٥٩، والرازي في تفسيره: ١٩ / ١٦٩، وأبو حيان في تفسيره: ٦ / ٤٩٧، والشوكاني في تفسيره: ٣ / ١٦٣ .

أن يصدع برسالة ربه، وأن يعرض عن المشركين، وأخبر تعالى رسوله r أنه قد كفاه المستهزئين، قال تعالى: M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > @ A B C D E F G H I L [الحجر: ٩٤-٩٧] .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أن في قول المكذبين وزعمهم أن القرآن شعر، وسحر، ونحو ذلك مما قالوا، فيه طعن في القرآن الكريم، وفي رسول الله r المبلغ لهذا القرآن . فأقسم الله تعالى بربوبيته لرسوله r ، والربوبية تقتضي اختيار الأصلح للعباد، وتقتضي الرعاية، والتدبير، والدفاع عن رسول الله r .

قال البقاعي: ((فتسبب عن فعلهم هذا أنا نقسم بالموجد لك، المدبر لأمرك، المحسن إليك بإرسالك لنسألنهم أجمعين)) .[1]

وقال ابن عاشور: ((ووصف الرب مضافا إلى ضمير النبي r إيماء إلى أن في السؤال المقسم عليه حظا من التنويه به، وهو سؤال الله المكذبين عن تكذيبهم إياه سؤال رب يغضب لرسوله r)) .[2]

٣ . قال تعالى: M C D E F G H I J L [مريم: ٦٨] .

جواب القسم:

M D E F G H I J L

---

(١) نظم الدرر: ٤ / ٢٣٧ .

(٢) التحرير والتنوير: ١٤ / ٨٧ .

أن هؤلاء المنكرين للبعث والنشور سيحشرون ويجمعون مع أوليائهم من الشياطين، وسيحضرون حول جهنم جثيًا على ركبهم .[1]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

المقسم به هو الرب سبحانه وتعالى، ومن مقتضيات الرب: تربية الناس، والقيام بمصالحهم وشؤونهم الدنيوية والأخروية، ومنها: البعث، والجزاء .

وفي إضافة المقسم به إلى رسوله r انتصار لرسوله، ورد على المستهزئين به، حيث إن سياق الآيات يشعر باستهزاء هؤلاء المنكرين بالرسول r ، وتكذيبهم لما أخبربه، قال تعالى: M / 0 1 2 3 4 5 6 L [مريم: ٦٦] .

قال البقاعي: ((ولما كان كلام الكافر صورته صورة الاستفهام، وهو جحد في الحقيقة وإنكار، وكان إنكار المهدَّد لشيء يقتدر عليه المُهدد سبباً لأن يحققه له مقسماً عليه، قال تعالى مجيباً عن إنكاره، مؤذناً بالغضب عليهم بالإعراض عنهم، مخاطباً لنبيه r تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لأمره: M C L المحسن إليك بالانتقام منهم)) .[2]

ب . القسم بروبية الله للسماء والأرض:

قال تعالى: M ~ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ L [الذاريات: ٢٣] .

---

(١) انظر: جامع البيان: ١٥ / ٥٨٧ .

(٢) نظم الدرر: ٤ / ٥٥١، وانظر: مفاتيح الغيب: ٢١ / ٢٠٦، وإرشاد العقل السليم: ٥ / ٢٧٥، والتحرير والتنوير: ١٦ / ١٤٦ .

جواب القسم:

Mإِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ L .

وفي عود الضمير في (إنه) أربعة أقوال:

الأول: عوده للقرآن . الثاني: إلى الرسول r . الثالث: ما ذكر في الآية السابقة من أمر الرزق، وما وعدوا به . الرابع: ما وعدوه من الجزاء، والبعث والنشور . [1]

والصواب، القول الرابع، وهو الذي يظهر من سياق الآيات، وأغراض السورة، فقد افتتحت السورة بالإقسام على وقوع البعث، وكذا ما بعدها من الآيات هو حديث عن البعث والنشور . [2]

وسيأتي في بيان تناسب القسم ما يؤيد هذا القول .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

في القسم بربوبية الله تعالى إشارة إلى ما تقتضيه ربوبيته من: تربية الناس، والقيام بمصالحهم، وبكل ما من شأنه نفعهم دنيا و أخرى، ومن أعظم ما تستقيم به حياتهم: الإيمان بالبعث، والجزاء .

وفي القسم بربوبيته تعالى مضافة إلى السموات والأرض: أوضح دليل

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢١ / ٥٢٣، النكت والعيون: ٥ / ٣٦٨، البحر المحيط: ٩ / ٥٥٢،فتح القدير: ٥ /٩٨.

(٢) وقد اختار هذا القول: ابن كثير، والقاسمي، والسعدي، وابن عاشور . انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٣٥، محاسن التأويل: ١٥، ١٩٨، تيسير الكريم الرحمن: ٧٥٢، التحرير والتوير: ٢٦ / ٣٥٥ .

على صدق ما يوعدون به، من البعث والجزاء، ولذا مهد قبل هذا القسم بالإشارة إلى شيء من آيات الله الدالة على قدرته في الأرض، والسماء، والأنفس .[1]

ومما يؤكد أن الإقسام برب السموات والأرض فيه دليل على البعث: ما ذكره تعالى في مواضع من كتابه من الاستدلال بخلق السموات والأرض على قدرته على البعث: قال تعالى: M لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ © ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ L [غافر: ٥٧]، وقال تعالى: M أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ ´ ¦ ¶ ¸ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ L [يس: ٨١] .

ج . القسم بربوبية الله للمشارق والمغارب:

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) (* + , - . / 0 L [المعارج: ٤١] .

قال ابن القيم: ((أقسم سبحانه برب المشارق والمغارب، وهي إما مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، أو أن كل موضع من الجهة مشرق ومغرب . فلذلك جمع في موضع، وأفرد في موضع، وثنى في موضع آخر)) .[2]

---

(١) أشار إلى شيء من ذلك الفراهي: إمعان في أقسام القرآن: ٨٧ .

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٢٨٨ . وانظر: المحرر الوجيز: ١٥ / ١٠٧، ودفع إيهام الاضطراب: ٢٧ .

جواب القسم:

. L 0 / . - , + *) (' &M

أقسم تعالى بربوبيته للمشارق والمغارب على قدرته على تبديلهم بخير منهم، وأنه لا يفوته شيء من ذلك، ولا يمتنع عليه .

وقد اختلف المفسرون في المراد بالتبديل في قوله: M + , - L .

فذهب ابن جرير إلى أن المراد بالتبديل بخير منهم: الإتيان بأناس أطوع منهم. (١)

وقال ابن القيم: ((فحيث وقع التبديل بخير منهم فهو إخبار عن قدرته على أن يذهب بهم، ويأتي بأطوع وأتقى له منهم في الدنيا)) . (٢)

أما القول الثاني في معنى الآية: أنهم يعادون يوم القيامة بأبدان خير من أبدانهم .

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٣ / ٢٨٢، وهذا مذهب جمهور المفسرين: المحرر الوجيز: ١٥ / ١٠٨، الجامع لأحكام القرآن: ٢١ / ٢٤٥، البحر المحيط: ١٠ / ٢٧٧ .

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٢٩٠، ٢٩١ . ومن الملاحظ أن ابن القيم في موضع آخر ذهب إلى أن المراد: إعادتهم بعد موتهم، حيث يقول: وأما سورة (سأل سائل) فإنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكمالها، وصحة تعلقها بإعادتهم بعد العدم، فذكر المشارق والمغارب بلفظ الجمع ؛ إذ هو أدل على المقسم عليه، سواء أريد مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها، أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب، فكل ذلك آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل أمثال هؤلاء المكذبين، وينشئهم فيما لا يعلمون، فيأتي بهم في نشأة أخرى، كما تأتي الشمس كل يوم من مطلع وتذهب في مغرب . [التبيان في أيمان القرآن: ٢٨٩] .

وهذا ما ذهب إليه ابن كثير، وهو رأي السعدي، واختيار ابن عاشور .[1]

ويمكن أن يقال بأن ما ذكره أصحاب القول الثاني نتيجة للقول الأول، فإن من كان قادرًا على الذهاب بهؤلاء، والإتيان بخير منهم في الدنيا، قادر على إحيائهم مرة أخرى .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

على القول الأول يكون وجه التناسب: أن في القسم برب المشارق والمغرب دلالة على قدرة الله سبحانه على هذا التبديل، فإن معنى ربوبيته للمشارق والمغارب: ربوبيته للعالم كله .

- وأما على القول الثاني: فإن الله أقسم بربوبيته للمشارق والمغارب، وهذه الربوبية تقتضي البعث .

وفي إضافة ربوبية الله تعالى إلى المشارق والمغارب إشارة إلى البعث من حيث: تشبيه شروق الشمس بعد غروبها بالإحياء بعد الموت .[2]

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٤٢٣ . وذهب إلى هذا الرأي: ابن القيم –هذا الذي يفهم من كلامه السابق انظر الحاشية السابقة -، تيسير الكريم الرحمن: ٨٢٢ ، التحرير والتنوير:٢٩ / ١٨٠ .

(٢) أشار إلى هذا الوجه: ابن القيم، وابن عاشور . انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٢٨٩، التحرير والتنوير: ٢٩ / ١٧٩ .

المبحث الثالث: القسم بالقرآن.

أقسم تعالى بالقرآن في مواضع من كتابه الكريم:

١ . القسم بالقرآن موصوفًا بالحكيم:

قال تعالى: M < = > ? @ A B C L [يس: ١-٣].

أقسم تعالى بالقرآن [١] موصوفًا بـ (الحكيم)، وهذا الوصف يحتمل أن يكون بمعنى: مُحكِم، أي: مُتقن للأشياء، أو بمعنى: مُحكَم، فهو محكم متقن، لا يتعرض لبطلان وتناقض، وكذلك أُحكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل، أو بمعنى: حاكم، لوجوب الرجوع إليه . وهذه المعاني كلها محتملة. [٢]

---

(١) هناك من أهل العلم من ذهب إلى أن المقسم به هو (يس)، وهو مروي عن ابن عباس، وعكرمة.

انظر: جامع البيان: ١٩ / ٣٩٨، الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٤١٠ .

والصواب أن (يس) وغيره من الحروف المقطعة التي أبتدأ الله بها تسعا وعشرين سورة من سور القرآن الكريم، أنها حروف مفردة، وأنها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهذا ما اختاره جمع من المحققين .

انظر: تفسير القرآن العظيم: ١ / ٣٧، التبيان في أيمان القرآن: ٢٩٩، فتح القدير: ١ / ٢٦، أضواء البيان: ٣ / ٥، تفسير سورة يس للشيخ ابن عثيمين: ٨ .

(٢) انظر معاني وصف القرآن بالحكيم: الجامع لأحكام القرآن: ١٧ / ٤١٠، البرهان في علوم القرآن: ١ /٣٧٦، الإتقان في علوم القرآن: ١ / ١٤٧، التحرير والتنوير: ٢٣ / ٣٤٥، تيسير الكريم الرحمن: ٦٣٨، تفسير سورة يس لابن عثيمين: ١٠ .

جواب القسم:

L C B A M

أقسم تعالى على صدق رسوله r فيما أخبر به، وعلى أنه من جملة رسل رب العالمين .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

وجه التناسب ظاهرٌ بينٌ، فهو إقسام بدليل صدقه r على صدقه فيما أخبر به.

يقول الشيخ السعدي: ((ولا يخفى ما بين المقسم به، وهو القرآن الحكيم، وبين المقسم عليه، وهو رسالة الرسول محمد r من الاتصال، وأنه لو لم يكن لرسالته دليل ولا شاهد إلا هذا القرآن الحكيم لكفى به دليلاً وشاهدًا على رسالة محمد، بل القرآن العظيم أقوى الأدلة المتصلة المستمرة على رسالة الرسول فأدلة القرآن كلها أدلة لرسالة محمد r)). [1]

وتأمل كيف أقسم بالقرآن موصوفًا بالحكيم، فمع كون القرآن شاهدًا على صدق رسالة محمد r ، إلا أن في وصف القرآن بالحكيم دليل على صدق رسول الله r .

فمن معاني (الحكيم) المتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا تناقض فيه ولا تعارض، محكم النظم والمعاني لا يلحقه خلل .

ومن معاني (الحكيم) أيضاً كونه متضمنًا للحكمة، فهو حكيم في أحكامه وتشريعاته، فأحكامه كلها عدل، موافقة للفطرة والعقل السليم .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٦٣٨، وانظر نظم الدرر للبقاعي: ٦ / ٢٤٠ .

ومن تأمل هذا أيقن أنه من لدن حكيم خبير، وأنه لا يمكن أن يكون من كلام البشر، فتعين أن يكون r مرسل من قبل ربه، وشاهده على ذلك هذا الكتاب الحكيم .

قال أبو السعود: ((وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولاً، وبوصفه بالحكيم ثانيًا، تنويه بشأنه، وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته r ، من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم، يشهد بها من هذه الحيثية أيضًا، لما أن الإقسام بالشيء استشهاد به على تحقيق مضمون الجملة القسمية، وتقوية لثبوته، فيكون شاهدًا به ودليلاً عليه قطعًا)) . (١)

٢ . القسم بالقرآن موصوفًا بذي الذكر.

قال تعالى: M ! " # $ % L [ص: ١].

أقسم سبحانه بالقرآن، ووصفه بذي الذكر. وقيل في معناه: ذي الشرف، وقيل: ذي التذكير، ذكركم الله به.

وهذين الوصفين لا منافاة بينهما، قال ابن كثير: ((ولا منافاة بين القولين، فإنه كتاب شريف، مشتمل على التذكير، والإعذار، والإنذار)) . (٢)

جواب القسم:

اختلف العلماء في جواب القسم على أقوال:

الأول: أن جواب القسم مذكور، واختلف القائلون بهذا القول في

(١) إرشاد العقل السليم: ٧ / ١٥٨، ١٥٩ .

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٦. وانظر: جامع البيان: ٢٠ / ٨، السعدي: ٦٥٥، أضواء البيان: ٧ /٨ .

تعيينه .

فمن قائل: إن جواب القسم قوله تعالى: M 3 4 5 6 7 8 L [ص: ٦٤]، ومن قائل: M إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ L [ص: ١٤]، ومن قائل: M . / 0 1 2 3 4 5 6 7 L [ص: ٣]، وقيل غير ذلك[١] .

وقد ضعف القول الأول: الفراء، واختار الثالث .[٢]

والقول بأن جواب القسم مذكور ضعفه بعض أهل العلم، قال أبو حيان بعد ذكره لهذه الأقوال: ((وهذه الأقوال يجب اطراحها)) .[٣]

القول الثاني: أن جواب القسم محذوف، واختلف هؤلاء في تقديره . فمنهم من قال: لقد جاءكم الحق . ومنهم من قال: إنه لمعجز، وهذا قول الزمخشري [٤]. ومنهم من قال: ما الأمر كما تزعمون، وهذا الأخير قول قتادة، واختاره ابن جرير، والنحاس، وابن عطية ، والشنقيطي .[٥]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٨ / ١٢٤، التبيان في أيمان القرآن: ١٥، البحر المحيط: ٩ / ١٣٥ .

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢ / ٣٩٧ .

(٣) البحر المحيط: ٩ / ١٣٦، وانظر كلام ابن القيم في تضعيف هذه الأقوال، التبيان في أيمان القرآن: ١٥، ١٦.

(٤) انظر: الكشاف: ٩١٨ .

(٥) انظر: جامع البيان: ٢٠ / ١٠،معاني القرآن: ٦ / ٧٧، المحرر الوجيز: ٢ / ٤١٦، أضواء البيان: ٧ / ٩ .

الثالث: أن مثل هذا القسم لا يحتاج إلى جواب، لكون جوابه معلومًا، قال ابن القيم: ((وتارة يحذف الجواب وهو مراد، إما لكونه قد ظهر وعُرف: إما بدلالة الحال، أو بدلالة السياق .

وأكثر ما يكون هذا إذا كان في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه، وهي طريقة القرآن، فإن المقصود يحصل بذكر المقسم به، فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز)) .

ثم قال: ((فمن هذا قوله تعالى M ! ' # $ % L فإن في المقسم به من تعظيم القرآن، ووصفه بأنه ذو الذكر - المتضمن لتذكير العباد ما يحتاجون إليه - وللشرف، والقدر ما يدل على المقسم عليه، وهو كونه حقًا من عند الله، غير مفترى كما يقوله الكافرون.

وهذا معنى قول كثير من المفسرين - متقدميهم ومتأخريهم -: إن الجواب محذوف، تقديره: إن القرآن لحق . وهذا مطرد في كل ما شأنه ذلك)) .[١]

وهذا القول - الثالث - قريب من قول من قال: إنه محذوف، تقديره: ما الأمر كما يقول الكفار.

والذي أراه صواباً، ويجمع هذه الأقوال، ويدل عليه استقراء القرآن، ما ذكره الشنقيطي، بقوله: ((الذي يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن: أن جواب القسم محذوف، وأن تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقوله

(١) التبيان في أيمان القرآن: ١٤، ١٥، واختار هذا القول السعدي: تيسير الكريم الرحمن: ٦٥٥ .

الكفار، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة .

الأول منها: أن النبي r مرسل من الله حقًا، وأن الأمر ليس كما يقول الكفار في قوله تعالى عنهم:M ! " # $ % L [الرعد: ٤٣].

والثاني: أن الإله المعبود جل وعلا واحد، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم M E F G H J K L M L [ص: ٥].

والثالث: أن الله جل وعلا يبعث من يموت، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم: M s t u v x y z { | L [النحل: ٣٨])) .[1]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أقسم تعالى بالقرآن، وهو أعظم دليل على صدق رسوله r ، ووصفه بذي الذكر، أي: أنه مشتمل على التذكير، فهو مذكر لهم بصدق رسوله r ، وبإثبات تفرده تعالى بالعبادة، وبتحقق البعث، ومذكر لهم بكل أصول الدين وفروعه .

فأعرضوا عنه، تكبرًا وعنادًا، مع علمهم بصدقه، فلو تدبروا هذا القرآن لتبين لهم مقدار حاجتهم إليه .

قال السعدي: ((المذكر للعباد، كل ما يحتاجون إليه من العلم بأسماء الله وأفعاله، ومن العلم بأحكام الله الشرعية، ومن العلم بأحكام المعاد

(١) أضواء البيان: ٧ / ٩، ١٠ .

والجزاء، فهو مذكر لهم في أصول دينهم وفروعه)) . [١]

وقال أيضا: ((فإذا كان القرآن بهذا الوصف، علم أن ضرورة العباد إليه فوق كل ضرورة، وكان الواجب عليهم تلقيه بالإيمان، والتصديق، والإقبال على استخراج ما يتذكر به منه . فهدى الله من هدى لهذا، وأبى الكافرون التصديق به، وبمن أنزله)) . [٢]

- ويمكن أن يقال: إن السبب في عدم إيمان هؤلاء المشركين، وإعراضهم عن اتباع ما جاء به رسول الله r ، وتكذيبه فيما أخبرهم به، إن السبب في ذلك: طلبهم للعزة والرفعة – زعموا – كما أخبر بذلك تعالى في قوله: M ') (* + , L فأقسم تعالى بالقرآن ذي الذكر، أي: ذي الشرف، فهو ذو شأن ومكانة، ومن طلب العزة والمكانة العالية فهي في اتباع هذا القرآن ذي الشرف والمكانة .

٣ . القسم بالكتاب المبين في موضعين:

أ . قال تعالى: M P Q R S T U V W X Y Z L . [الزخرف: ١-٣] .

أقسم تعالى بالكتاب المبين، والمراد بالمبين: البين الواضح، الجلي المعاني والألفاظ [٣] .

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٦٥٥ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١٢٢ .

وعدم تقييده بكونه مبينًا لأي شيء، يدل على أنه مبين لكل شيء .[1]

جواب القسم:

قوله تعالى: UM V W X Y Z L .

أقسم تعالى بالكتاب المبين على إنزاله قرآناً عربيًا .[2]

وجملة: M \ ] ^ _ ` a b L إما أن تكون معطوفة على قوله تعالى: UM V W X L فتكون من ضمن جواب القسم، وإما أن تكون مستأنفة مقررة لرفعة شأن القرآن .[3]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

المقسم به هو القرآن المبين، ومن بيانه إنزاله بأفصح اللغات .

قال الزمخشري: ((وهو من الأيمان الحسنة البديعة، لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من واد واحد)) .[4]

- ووجه آخر: يشير إليه قوله تعالى: M Y Z L ففي القسم بالكتاب المبين إقامة للحجة على هؤلاء المعاندين، وبيان أنهم لو تدبروا، وأعملوا عقولهم لهدتهم إلى التصديق بهذا القرآن البين، فهو بين لمن تدبر وعقل، ففي هذا القسم تعريض بهم .

قال ابن عاشور: ((والغرض: التعريض بأنهم أهملوا التدبر في هذا

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ٧٠٨ .

(٢) انظر: جامع البيان: ٢٠ / ٥٤٥ .

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم: ٨ / ٣٩ .

(٤) الكشاف: ٩٨٤ . وانظر: التحرير والتنوير: ٢٥ / ١٥٩ . وتيسير الكريم الرحمن: ٧٠٨ . .

الكتاب، وأن كماله في البيان والإفصاح تستأهل العناية به لا الإعراض عنه، فقوله: M Y Z L مشعر بأنهم لم يعقلوا .

والمعنى: أنا يسرنا فهمه عليكم لعلكم تعقلون، فأعرضتم ولم تعقلوا معانيه، لأنه قد نزل مقدار عظيم لو تدبروه لعقلوا، فهذا الخبر مستعمل في التعريض على طريقة الكناية)).[١]

- ووجه آخر: أن الله أقسم على أنه جعل القرآن عربيًا، واضح الدلالة على طريق الحق، ومبينًا طريق الباطل .

وهذا ما أشار إليه وصف القرآن بكونه مبينًا، فقد أبان كلا الطريقين لو كانوا يعقلون .

قال البيضاوي: ((ولعل إقسام الله بالأشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه، وبالقرآن من حيث إنه معجز مبين لطرق الهدى، وما يحتاج إليه في الديانة)) .[٢]

ب . قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * , - . L . [الدخان: ١-٣].

جواب القسم:

M & ' ( ) * , - . L .

أقسم تعالى بالكتاب المبين أنه أنزله في ليلة مباركة[٣] .

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٥ / ١٦١ ،

(٢) أنوار التنزيل: ٥ / ٥٧ .

(٣) جمهور أهل التفسير على أن المراد بالليلة المباركة: ليلة القدر، وهو ما رجحه جمع من المحققين .
=

وقوله تعالى: M , - . . L . تعليل لقوله تعـالى: M & ') ((* L .[1]

وذهب البعض إلى أن قوله تعالى: M & ') (* L وصـف للكتـاب، وأنهـا جملـة اعتراضـية، وأن جـواب القسـم قولـه تعـالى: M , - . L .[2]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أقسم بالقرآن المبين على إنزال القرآن الكريم من قبل الله في ليلة مباركة، ومن جملة بيانه أنه أنزلـه تعـالى في هـذه الليلـة المباركـة، ذات الخـير الكثـير، وجعله دليل صدق رسوله r .

- وجه آخر: أن العلة في إنزال القرآن النـذارة، ولا يتحقـق ذلـك إلا أن يكون الكتاب المنذر به واضحًا بينًا، يفهمـون ألفاظـه ومعانيـه، ولـذا أقسم بكتابه موصوفًا بأنه مبين.

٤ . القسم بالقرآن موصوفًا بالمجيد:

قال تعالى: M ! ' # $ L [ق: ١] .

أقسم تعالى بالقرآن المجيد، أي: الكريم الشريف، وسمي بهذا الاسم: إما لأنه كلام المجيد سبحانه، أو لأنه ذو المجد والشرف على سائر الكتـب،

= انظر: جامع البيان: ٢١ / ٦، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ١٠٠، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ١٣٧، أضواء البيان: ٧ / ٣١٩ .

(١) انظر: الكشاف: ٩٩٨ .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٣ / ٣٦٢، أنوار التزيل: ٥ / ٦٥، إرشاد العقل السليم: ٨ / ٥٨ .

أو لأن من اتبعه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى . [١]

جواب القسم:

اختلف في جواب القسم على نحو مما سبق ذكره في سورة ص، على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه مذكور، واختلف هؤلاء في تعيينه، فمنهم من قال هو قوله: M 1 2 3 4 5 6 7 8 L، وقيل: M : ; < = L، وقيل: M& ') (* + L، وقيل: M مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ L . [٢]

قال ابن عطية: ((وفي هذه الأقوال تكلف، وتحكم على اللسان)) . [٣]

الثاني: أنه محذوف، واختلفوا في تقديره، فذهب الأخفش، والمبرد، والفراء، والزجاج إلى أنه محذوف، يدل عليه قوله تعالى: M 2 3 4 5 L أي: والقرآن المجيد إنكم لمبعوثون . واستحسن هذا القول ابن عطية، وبه قال أبو حيان . [٤]

واختار الشنقيطي - ما سبق واختاره في تقدير جواب القسم في سورة (ص) - أنه محذوف مشتمل على ثلاثة أمور: كون الرسول r مرسل من

---

(١) انظر: الكشاف: ١٠٤٣، البرهان في علوم القرآن: ١ / ٣٧٦، أنوار التنزيل: ٥ / ٩٠ .

(٢) انظر: جامع البيان: ٢١ / ٤٠١، المحرر الوجيز: ١٣ / ٥٢٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٤٢٧، البحر المحيط: ٩ / ٥٢٨ .

(٣) المحرر الوجيز: ١٣ / ٥٢٥ .

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٧٥، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٤١، المحرر الوجيز: ١٣ / ٥٢٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٩ / ٤٢٨، البحر المحيط: ٩ / ٥٢٨ .

ربه، وصادق فيما جاء به، وإثبات تفرد الله تعالى بالعبادة، وإثبات البعث والنشور .[1]

القول الثالث: أن جواب القسم مضمن في المقسم به . قال ابن القيم: ((وههنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه، وهو: القرآن . فأقسم بالقرآن على ثبوته وصدقه، وأنه حق من عنده، ولذلك حذف الجواب ولم يصرح به، لما في القسم من الدلالة عليه، ولأن المقصود نفس المقسم به)) .[2]

والصواب – إن شاء الله – ما ذهب إليه الشنقيطي، لدلالة سياق الآيات عليه .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أقسم تعالى بالقرآن المجيد على تفرده بالعبادة، وعلى صدق رسوله r ، وعلى إثبات البعث والنشور .

فإقسامه بالقرآن المجيد فيه تنويه بشأن القرآن، الذي بلغ به أعلى مراتب الشرف والكمال في ألفاظه ومعانيه، فهو دليل صدق القرآن، وإذا ثبت هذا ثبت ما فيه من المعاني: من توحيد الله، و صدق الرسول r ، والبعث والنشور، وغيرها من أصول الدين .

فوصف القرآن بأنه مجيد موجب لاتباعه، والعمل بما فيه .

قال السعدي: ((والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها، وأحق كلام

---

(١) انظر: أضواء البيان: ٩ / ٦٤٣ . واختاره ابن كثير: ٤ / ٢٢١، و ابن عاشور: التحرير والتنوير: ٢٦ / ٢٧٧.

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٦٤٣ .

يوصف بذلك هذا القرآن، الذي قد احتوى على علوم الأولين والآخرين، الذي حوى من الفصاحة أكملها، ومن الألفاظ أجزلها، ومن المعاني أعمها وأحسنها، وهذا موجب لكمال اتباعه، وسرعة الانقياد له، وشكر الله على المنة به، ولكن أكثر الناس لا يقدر نعم الله قدرها)) . [١]

- ووجه آخر: وهو ما يشير إليه وصف القرآن: بأنه مجيد، فله المجد في الفصاحة والبلاغة، حتى عجز القوم عن الإتيان بمثل سورة منه، فإعجازه دليل صدقه، وصدق ما تضمنه .
- ووجه آخر: أن من معاني وصف القرآن بأنه مجيد: أن من اتبعه، وعمل بما فيه كان مجيدًا عند الله تعالى، والكفار لم يقبلوا دعوة الرسول r ابتغاء المجد، والمجد كل المجد في اتباع ما جاء به القرآن المجيد .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن: ٧٤٦ .

المبحث الرابع: القسم بعمر الرسول r

قال تعالى: M) (* + , L [الحجر: ٧٢].

أقسم تعالى بقوله: M) L .

والمقصود به - في قول أكثر المفسرين – حياة الرسول r .

قال ابن العربي: ((قال المفسرون بأجمعهم: أقسم الله هنا بحياة محمد r)).[1]

وذهب البعض إلى أنه قسم بحياة لوط u ، وهذا اختيار الزمخشري[2]، وإليه مال ابن العربي [3]، ونقله القرطبي عن ابن العربي واستحسنه [4]، واختاره أبو حيان [5] .

وهذا قول مردود مخالف ما عليه السلف، وقد رد هذا القول ابن القيم[6]،والألوسي [7].

---

(١) أحكام القرآن: ٣ / ١٠٥ . وممن نقل الإجماع على ذلك: ابن القيم، والقرطبي . التبيان في أيمان القرآن: ٦٤٩، الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٢٩ .

(٢) الكشاف: ٥٦٤ .

(٣) أحكام القرآن: ٣ / ١٠٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٢٩ .

(٥) البحر المحيط: ٦ / ٤٨٩ .

(٦) التبيان في أيمان القرآن: ٦٤٩، ٦٥٠ .

(٧) روح المعاني: ١٤ / ٧٢ .

جواب القسم: M (* + , L .

اختلف في مرجع الضمير، فذهب ابن جرير إلى أن المقصود به كفار قريش .[١]

والذي يدل عليه سياق الآيات أن الضمائر لقوم لوط، قال ابن عطية: ((والضمائر في M + L يراد بها قوم لوط المذكورون، وذكر الطبري أن المراد قريش، وهذا بعيد ؛ لأنه ينقطع مما قبله ومما بعده)) .[٢]

وعليه فتكون هذه الجملة اعتراضية .[٣]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

المقسم به حياة الرسول r ، ولا شك أن حياته وعمره من أشرف الأعمار وأطهرها وأزكاها، فليس فيها شيء من الضلال والغواية والهوى، لا قبل مبعثه ولا بعده، فهو قدوة في الطهر والعفاف، واستقامة الفطرة .

ولذلك ناسب أن يقسم بهذه الحياة الشريفة على تحيّر هؤلاء الذين انتكست فطرهم، وانغمسوا في شهواتهم، واتبعوا أهواءهم، فهم لا يهتدون .

فهو قسم بالحياة الحقيقية، وهي حياته r ، على خسران حياة هؤلاء الكفار .

(١)انظر: جامع البيان: ١٤ / ٩١ .

(٢)المحرر الوجيز: ٨ / ٣٤١ .

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ١٤ / ٦٧ .

المبحث الخامس: القسم بالسماء ذات الحبك

قال تعالى: M ! " # $ % & ') (L [الذاريات: ٧-٨] .

أقسم تعالى بالسماء ذات الحبك . أي: ذات الخلق الحسن، وقيل: ذات الزينة، وقيل: ذات النجوم، وقيل: ذات الطرائق، وقيل: ذات الشدة، وقيل: ذات الخلق المستوي، وقيل: متقنة البناء .

وهذه الأقوال لا تناقض بينها، بل الآية محتملة لكل هذه الأقوال . (١)

جواب القسم:

M % & ') (L . أي: إنكم أيها المشركون في قول مختلف، متناقض في شأن رسول الله r ، وفي شأن القرآن الكريم . (٢)

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

تشبيه اختلاف مذاهبهم، وآرائهم، ومواقفهم من القرآن، ومن الرسول r ، باختلاف طرائق السماء .

قال البيضاوي: ((ولعل النكتة في هذا القسم: تشبيه أقوالهم في اختلافها، وتنافي أغراضها، بطرائق السموات في تباعدها، واختلاف غاياتها)) . (٣)

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢ / ٢٢٥، جامع البيان: ٢١ / ٤٨٦، معاني القرآن للزجاج: ٥ / ٥٢، المحرر الوجيز: ١٤ / ٦، التبيان في أيمان القرآن: ٤٣٤، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٣٢، أضواء البيان: ٧ / ٦٦٢-٦٦٤ .

(٢) انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٤٣٧ .

(٣) أنوار التنزيل: ٥ / ٩٥ . وانظر: نظم الدرر: ٧ / ٢٧٢، ٢٧٣، والتحرير والتنوير: ٢٦ / ٣٤٠.

- وقد ذهب أبو السعود إلى غير هذا، وضعف ما ذهب إليه البيضاوي، حيث يقول: ((وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء، كما يلوح به ما نقل عن الضحاك، من أن قول الكفرة لا يكون مستويًا، إنما هو متناقض مختلف .

وقيل: النكتة في هذا القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها، وتنافي أغراضها، بطرائق السموات في تباعدها، واختلاف غاياتها . وليس بذاك)). [1]

قلت: وفي تضعيف هذا القول نظر، فإن ما قيل في تفسير الحبك متداخل – كما سبق ذكره – ويتلخص في: حسن خلق السماء، واستوائها، وإتقان بنيانها، وإحكامه، وتزيينها بالنجوم .

والمتأمل في أقوال الكفار يجدها مضطربة، متناقضة، وهذا يدل على فسادها، وعدم شدتها وإحكامها، وقبحها . فنشأ عن اختلاف أقوالهم: الاضطراب، والفساد، والكذب، والقبح، وهذا كله ينافي ما ورد في وصف المقسم به، من الحبك .

فالتناسب بطريق التقابل والتضاد .

---

(١) إرشاد العقل السليم: ٨ / ١٣٧ .

المبحث السادس: القسم بالنجوم ومواقعها

أقسم تعالى بالنجوم في موضع وبمواقعها في موضع آخر:

١ . القسم بالنجم إذا هوى .

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) (L [النجم: ١-٢] .

أقسم تعالى بالنجم إذا هوى، وقد اختلف في المراد بالنجم على أقوال، منها: أنه الثريا إذا سقطت، وهذا اختيار ابن جرير . وقيل: هو الجملة من القرآن إذا نزلت، وهذا قول الفراء . وقيل: النجم اسم جنس، والمراد النجوم، وهذا قول أبي عبيدة، ومعنى (هوى) على هذا القول: هوى للغروب، وهذا قول جمهور المفسرين . وقيل: إذا انتثرت يوم القيامة . وقيل: النجوم التي تُرمى بها الشياطين إذا سقطت في آثارها عند استراق السمع، وهذا ما ستظهره ابن القيم، ومال إليه ابن كثير .[1]

وقد ذهب الشنقيطي إلى أن المراد بالنجم: النجوم، إلا أنه يخالف في معنى (هوى)، حيث يقول: ((أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب في نظري: أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة هو: نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجمًا فنجمًا، وذلك لأمرين أحدهما: أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو أن النبي r

(١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٩٤، مجاز القرآن: ٢ / ٢٣٥، جامع البيان: ٢٢ / ٥، المحرر الوجيز: ١٤ / ٨٠، التبيان في أيمان القرآن: ٣٥٧، ٣٦٣، تفسير القرآن العظيم: ٤ /٢٤٦ .

على حق، وأنه ما ضل وما غوى، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله: M ! " # $ % & ' L .

والإقسام بالقرآن على صحة رسالة النبي r ، وعلى صدق القرآن العظيم، وأنه منزل من الله جاء موضحًا في آيات من كتاب الله، وخير ما يفسر به القرآن القرآن .

والثاني: أن كون المقسم به المعبر بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده: M وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ L ، لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة، ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض)).[1]

وفيما ذكر الشنقيطي – رحمه الله – نظر من وجوه:

الأول: أن الله تعالى أقسم على صدق القرآن، وعلى صدق رسوله r بغير القرآن، قال تعالى: M S T U L [الطارق: ١١]، وقوله: M Z [\ L [التكوير: ١٥] ، وقوله: M 2 3 4 5 L [الحاقة: ٣٨]، وقوله: M Y [\ ] L [القلم: ١] .

الثاني: أن لفظ النجوم في القرآن الكريم يراد بها الكواكب، قال تعالى: M E F G H I J K L [الأنعام: ٩٧]، وقال: M وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ à ٱلنُّجُومِ L [الطور: ٤٩]، وقال: M x y z L [المرسلات: ٨]،

(١) أضواء البيان: ٧ / ٧٠٠، ٧٠١ .

ويقرنها مع الكواكب الأخرى كما في قوله تعالى: M h i j k l L [الأعراف: ٥٤].

جواب القسم:

M% & ' ( ) L.

هذا هو جواب القسم، وهو بيان صدق الرسول r فيما جاء به من ربه، وأنه ما ضل عن الحق بجهل، ولا عدل عنه بقصد .[1]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

من وجوه يشير إليها قوله تعالى:M X Y Z [\ ] ^ _ L [الملك: ٥]، وقوله تعالى: M - . / 0 1 L [النحل: ١٦].

الأول: أن النجم يهتدى به، وكذلك هذا القرآن العظيم يهتدى به .

قال ابن القيم: ((إن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي . فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن في الظلمات المعنوية فجمع بين الهدايتين))[2].

الثاني: النجوم جعلت زينة للسماء، وكذلك القرآن زينة لمن عمل به .

قال ابن القيم: ((مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم، وفي إنزال

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٢) التبيان في أيمان القرآن: ٣٢٢ . وقد أشار إلى هذا الوجه أبو السعود في تفسيره: ٨ / ١٥٤ .

القرآن من الزينة الباطنة)) .[١]

الثالث: جعل الله النجوم رجومًا للشياطين، وكذلك آيات القرآن .

قال ابن القيم: ((مع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن)) .[٢]

الرابع: جعل النجوم رجومًا للشياطين يفيد معنى آخر، وهو حفظ هذا القرآن من التحريف، ومن إدخال ما ليس منه فيه .

قال ابن القيم: ((وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب مالا يخفى، فإن النجوم التي تُرمى بها الشياطين آيات من آيات الله، يحفظ بها دينه، ووحيه، وآياته المنزلة على رسوله، فبها ظهر دينه، وشرعه، وأسماؤه، وصفاته، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدمًا وحرسًا لهذه النجوم الهادية)) .[٣]

الخامس: مشابهة حال النجم إذا هوى، بنزول آيات القرآن .

قال ابن القيم: ((والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول)) .[٤]

---

(١) المرجع السابق: ٣٢٣ . وقد أشار إلى هذا الوجه السعدي في تفسيره: ٧٦٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق: ٣٦٤ .

(٤) المرجع السابق: ٣٢٣ . وقد اشار إلى هذا ابن عاشور في تفسيره: ٢٧ / ٩١ .

٢ . القسم بمواقع النجوم:

قال تعالى: M**فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦** !

" # L [الواقعة: ٧٥-٧٧]

أقسم تعالى بمواقع النجوم، واختلف في المراد بها على قولين:

الأول: آيات القرآن، ومواقعها: نزولها شيئًا بعد شيء . وهذا اختيار الشنقيطي . (١)

الثاني: أن النجوم هي: الكواكب المعروفة، وهو قول جمهور المفسرين(٢) .

وقد اختلف هؤلاء في المراد بمواقعها، فقيل: مساقطها عند غروبها، وهذا اختيار أبي عبيدة، وابن جرير، وابن القيم . وقيل: انكدارها يوم القيامة . وقيل: مواضعها في السماء . وقيل: مواقعها عند الانقضاض على الشياطين حين تسترق السمع . وقيل: الأنواء التي كان أهل الجاهلية ينسبون إليها نزول المطر، وعلى هذا القول يكون قوله تعالى: M**فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ** L مستعملاً في حقيقة نفي القسم . (٣)

والذي يظهر هو: ما اختاره أبو عبيدة، وابن جرير، وابن القيم: من أن المقصود بمواقعها: مساقطها عند الغروب . (٤)

---

(١) انظر: أضواء البيان: ٧ / ٧٠٠ . وقد سبق ذكر كلامه في سورة النجم .

(٢) انظر: المحرر الوجيز: ١٤ / ٢٦٧ .

(٣) انظر: مجاز القرآن: ٢ / ٢٥٢، جامع البيان: ٢٢، ٣٥٩، المحرر الوجيز: ١٤ / ٢٦٧، التبيان في أيمان القرآن: ٣٢٢، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٢٩٨ .

(٤) احتج ابن القيم لهذا القول بحجج . انظر: التبيان في أيمان القرآن: ٣٢٢ .

جواب القسم:

M ! " # L . أقسم تعالى على إثبات القرآن، ووصفه بأنه كريم، كثير الخير .[١]

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

سبق بيان ما بين الإقسام بالنجوم والإقسام على القرآن من تناسب، في سورة النجم .

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن: ٧٧٦ .

المبحث السابع: القسم بالعصر .

قـال تعـالى: M ! " # $ % & ' ( ) (* +

, - . . / 0 1 L . [العصر: ١-٣]

أقسم تعالى بالعصر، وقد اختلف في المراد بالعصر في هذه الآية، فقيل: الدهر، وهو قول أكثر المفسرين، وهو الأشهر . وقيل: العشي . وقيل: صلاة العصر .[١]

جواب القسم:

M # $ % & L .

هذا هو جواب القسم، والمراد بالإنسان: جنس الإنسان، ولذا استثنى منه الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وجه التناسب بين القسم وجوابه:

أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الدهر ، زمن أعمال الإنسان وأفعاله، على أن كل إنسان في خسر، إلا من عمرَ هذا الزمن بالإيمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر .

قال ابن القيم: ((فأقسم بالعصر الذي هو زمان أفعال الإنسان ومحلها على عاقبة تلك الأفعال وجزائها، ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وأفعالهم على المعاد، وأن قدرته كما لم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعاد،

---

(١) انظر: جامع البيان: ٢٤ / ٦١٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢ / ٤٦٣، تفسير القرآن العظيم: ٤ / ٥٤٧ .

وأن حكمته التي اقتضت خلق الزمان وخلق الفاعلين وأفعالهم - وجعلها قسمين خيرًا وشرًا - تأبى أن يسوي بينهم، وأن لا يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، وأن يجعل النوعين رابحين أو خاسرين، بل الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله، فهداه ووفقه للإيمان والعمل الصالح في نفسه، وأمر غيره به)) . [١]

(١) التبيان في أيمان القرآن: ١٣٤ . وانظر: تيسير الكريم الرحمن: ٨٦٣ .

الخاتمة

كانت هذه محاولة – حسب الجهد والاستطاعة - لإدراك وجه التناسب بين القسم وجوابه، خرجت منها بنتائج، منها:

١. أن إدراك وجه التناسب بين القسم وجوابه يتوقف على عدة أمور منها: معرفة مقاصد القرآن، وموضوعات السورة، وسياق الآيات، وطريقة القرآن في عرض الموضوعات، وفهم معاني المقسم به ودلالتها .
٢. الأصل في التناسب أنه مبني على الاجتهاد، فلا يقطع بأن هذا هو المراد دون ماسواه.
٣. أن إدراك المناسبة بين القسم وجوابه فضل من الله ونعمة، فمن تبين له شيء من ذلك – دون تكلف – قال به، وإلا وجب عليه الإمساك عن القول بغير علم .
٤. أكثر المواضع الوارد فيها القسم المفرد يكون القسم: بالله أو بشيء من صفاته، وورد في أربعة مواضع بمخلوقات الله .
٥. أقسم تعالى بلفظ الجلالة على تفرده بالإلهية، واستحقاقه للعبودية .
٦. أقسم تعالى بربوبيته خمس مرات، فأقسم بربوبيته مضافة إلى ضمير المخاطب: رسول الله r في ثلاثة مواضع، وكلها متضمنة تصديق رسوله r ، والرد على المكذبين له والمعترضين عليه .

وأقسم في موضع بربوبيته للسماء والأرض، وفي موضع آخر أقسم بربوبيته للمشارق والمغارب على قدرته تعالى، وعلى الجزاء، والبعث .

٧. أقسم سبحانه بالقرآن موصوفًا في موضع: بالحكيم، وفي موضع: بذي الذكر، وفي موضعين: بالمبين، وفي موضع: بالمجيد .

وفي كل موضع أقسم بما يناسب جواب القسم .

٨. أقسم تعالى بأشرف الأعمار: عمر رسول الله r على خسران من اتبع هواه، وانغمس في شهواته .

٩. أقسم جل وعلا بالنجوم وبمواقعها على علو قدر القرآن، ورفعة شأنه .

١٠. أقسم تعالى بالسماء ذات الحبك على اختلاف أقوال الكفار واضطرابها.

١١. أقسم تعالى بالعصر على خسران كل عمر لم يعمر بالإيمان، والعمل الصالح .

وأخيرا فهذا جهد المقل، بذلت فيه قصارى جهدي، فما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من خطأ فمن تقصيري، واستغفر الله من ذلك .

والحمد لله أولا و آخرا، وعليه التكلان، ونسأله القبول، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين .

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى.
٢. أحكام القرآن، لابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى٠ .
٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، وتتمة تلميذه الشيخ: عطية محمد سالم، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير / أحمد بن عبد العزيز، ١٤٠٣هـ .
٥. إمعان في أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، دار القلم، دمشق، ط الأولى.
٦. أنوار التنزيل، للبيضاوي، دار صادر، بيروت .
٧. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ .
٨. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، دار المعرفة ، بيروت، ط الثانية .
٩. التبيان في أيمان القرآن، لابن القيم، تحقيق: عبد الله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط الأولى .
١٠. تحرير القول السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس .
١١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، مكتبة دار التراث، القاهرة .

١٢. تفسير سورة يس، لابن عثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، ط الأولى .

١٣. تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ .

١٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية .

١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط الأولى .

١٦. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الأولى .

١٧. دفع إيهام اضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي، ضمن أضواء البيان.

١٨. رسالة في زكاة الحلي، لابن عثيمين، دار ابن خزيمة .

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط الأولى .

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار المعرفة، بيروت، ط الثانية .

٢٢. مجاز القرآن، لأبي عبيدة، علق عليه: د . محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر .

٢٣. محاسن التأويل، جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية .

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، طبع على نفقة

الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني . قطر .

٢٥. معاني القرآن، للفراء، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة .

٢٦. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى .

٢٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى .

٢٨. المفردات، للراغب الأصفهاني، دار الفكر، بيروت .

٢٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط الأولى .

٣٠. النكت والعيون، للماوردي، مكتبة المؤيد، الرياض، ط الأولى .

علم القراءات عند شيخ الإسلام ابن تيمية

إعداد

د. عبدالله بن حماد بن حميد القرشي

د. عبدالله بن حماد بن حميد القرشي

- عضو هيئة التدريس بجامعة الطائف.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ بأطروحته (تحفة الأنام في الوقف على الهمز لحمزة وهشام)، تحقيق ودراسة.
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى عام ١٤٢٧هـ بأطروحته (كشف الأسرار عن قراءة الأئمة الأخيار)، تحقيق ودراسة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن من أشرف العلوم وأسماها علم القراءات القرآنية وهو مشتمل على جانبين: علم القراءات رواية، وهذا النوع قد لقي من العناية والضبط والتأليف ما تقر به العين، غير أن لهذا العلم جانبا آخر وهو جانب الدراية .

وعلم الدراية ذو أهمية بالغة فهو يكشف للقارئ حقيقة هذا العلم ونشأته وشروط القراءة، وأقسامها، وأحكام عدد من مسائل هذا العلم، ويزيل اللبس عن كل طاعن يروم الطعن في كتاب الله عز وجل .

ومع أهمية هذا الجانب إلا أنه لم يلق من العناية ما لقي جانب الرواية ، فلم يكتب فيه للمتقدمين استقلالا إلا كتبا يسيرة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، أو تنقص عنها، ككتاب : الإبانة عن معاني القراءات لمكي بن أبي طالب ت ٤٣٧، ومنجد المقرئين لابن الجزري ت٨٣٣.

وبقيت مسائل هذا العلم متناثرة في بطون المصنفات هنا وهناك، وقد تناول بعضا منها القراء والفقهاء والأصوليون .

ولا شك أن جمع مسائل هذا العلم من بطون الكتب -وخاصة كتب المؤلفين الراسخين في العلم - في مكان واحد يسد عجزا في هذا الجانب، ويحقق في نفس الوقت مقصدا من مقاصد التأليف.

ومن هنا فقد وجدت لشيخ الإسلام ابن تيمية -في مختلف كتبه- كلاما نفيسا متعلقا بالقراءات، وهو على قسمين:

القسم الأول: توجيهه لكثير من القراءات المتواترة والشاذة وتوظيفها في جانب التفسير والأحكام . وهذا القسم لعل الله أن ييسر -مستقبلا- إخراجه للقراء الكرام .

القسم الثاني: بحثه للقراء من مسائل القراءات المتفرقة، وهو ما قصدت في هذا البحث جمعه وترتيبه والتعليق عليه .

أسباب اختياري للموضوع:

١-قلة ما كتب في جانب علم القراءات دراية .

٢-سد بعض النقص في هذا الجانب.

٣-شهرة شيخ الإسلام واحتفاء العلماء بعلمه وتقريراته .

٤-تناوله لمادة علمية قل أن تجدها متكاملة عند غيره .

٥-الاطلاع على موقف شيخ الإسلام من علم القراءات.

٦-تقريب علم شيخ الإسلام في علم القراءات للقراء وجمعه في مكان واحد .

منهج البحث:

١-جمعت ما تفرق من مسائل القراءات من مجموع ما كتبه شيخ الإسلام في كتبه المتنوعة المطبوعة التي وقفت عليها .

٢-رتبت المسائل ترتيبا موضوعيا مما دعاني إلى تقسيم النقولات، وضم

النظير إلى نظيره.

٣-وضعت عناوين توضيحية بلون غامق قبل ذكر كل مسألة .

٤-قسمت الفصول إلى عناوين متعددة، ولم أجعلها على هيئة مباحث ؛ نظرا لأن المادة المنقولة لشيخ الإسلام.

٥-خرجت الأحاديث على سبيل الاختصار من أهم مظانها مبينا الحكم عليها، فإن كان في الصحيحين اكتفيت بهما، وإن كان في أحدهما اكتفيت به.

٦- لم أترجم للأعلام ؛ لشهرتهم .

٧-وثقت القراءات وعزوتها لقرائها .

٨-أحلت في خاتمة كل نقل لموضعه بذكر الكتاب والجزء والصفحة .

٩-النقول المتماثلة أكتفي بذكر موضع منها، وقد أشير في الحاشية إلى أماكنها الأخرى .

١٠-قسمت بعض المسائل إلى فقرات وأرقام ؛ قصدا للتسهيل والتقريب .

١١-عرفت ببعض المصطلحات العلمية .

١٢- رسمت الآيات بالرسم العثماني وفق القراءة التي أوردها المصنف .

١٣-قد أكرر النقل في أكثر من موضع لما في ذلك من إضافة فوائد جديدة .

١٤-نقلت كلام شيخ الإسلام حرفيا ووضعته بين حاصرتين: « » وإذا كان في الكلام سقط، أو تصحيف نبهت على ذلك في الحاشية .

١٥-أبرزت رأي شيخ الإسلام واختياراته في المسائل المختلف فيها .

١٦-علقت في الحاشية على مسائل متعددة من توضيح لعبارة، أو إزالة ما يوهم التعارض بين النصوص، أو إضافة لبعض التفصيلات في المسائل

المختلف فيها .

١٧ -بينت موقف القراء من المسائل المختلف فيها، سواء وافق فيها القراء شيخ الإسلام، أم خالفوه .

١٨ -أشرت في الحاشية إلى المواضع التي نقلها ابن الجزري عن ابن تيمية مما يبين أثر ابن تيمية على القراء.

١٩ - ختمت بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

٢٠ - وضعت فهارس للمراجع والموضوعات .

أسماء الكتب التي أُخِذَت منها المادة العلمية:

١ - مجموع الفتاوى . (١)

٢ - الفتاوى الكبرى .

٣ - الاختيارات العلمية. (٢)

٤ - منهاج السنة النبوية .

٥ - اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم .

٦ - الصارم المسلول على شاتم الرسول .

٧ - الرد على المنطقيين .

٨ - العقيدة الأصفهانية .

---

(١) تضمن مجموع الفتاوى كتبا ورسائل كثيرة، وقد أحلت إلى المجموع دون تحديد كتاب باسمه .

(٢) هذا الكتاب رتبه: علاء الدين أبو الحسن علي البعلي الدمشقي . وهو مطبوع ضمن الفتاوى الكبرى، الجزء الخامس .

٩ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

١٠ -تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء . (١)

١١ -جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، (خمس مجلدات) جمع : الشيخ محمد عزير شمس . من منشورات : دار عالم الفوائد ط الأولى ١٤٢٨ .

الكتب التي جُرِدَت، ولم يتوفر فيها شيء من المادة العلمية:

١ - الاستقامة .

٢ - الرد على البكري .

٣ - الصفدية .

٤ - الكلم الطيب .

٥ - النبوات .

٦ - بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية .

٧ - بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية .

١٠ -درء تعارض العقل والنقل .

١١ -دقائق التفسير .

١٢ -زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور

١٣ -شرح العمدة .

١٤ -جامع الرسائل . (المجموعة الأولى، والثانية) . تحقيق : محمد رشاد سالم .

---

(١) هذا الكتاب مضمن بعضه في مجموع الفتاوى .

١٥ -المسودة في أصول الفقه . لآل ابن تيمية . [١]

١٦ -المنتقى من عوالي المختصر المسند الصحيح . انتقاء شيخ الإسلام ابن تيمية . [٢]

١٧ -المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام .

١٨ - المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (المجموعة الأولى) . [٣]

١٩ -جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية . [٤]

٢٠ - الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق . [٥]

الدراسات السابقة

ما كتب عن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من القراءات قليل، وقد وقفت على المؤلفات التالية:

أولا : (القراءات في فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) :

للدكتور : عبد الفتاح بن إسماعيل شلبي . وهي محاضرة مطبوعة ألقاها

(١) هذا الكتاب مجموع فيه من كلام ابن تيمية، وأبيه، وجده . وقد جَرَدْتُ كلام ابن تيمية بتمامه . والكتاب مطبوع في مجلدين بتحقيق الدكتور: أحمد بن إبراهيم الذروي .

(٢) وهو كتاب انتقى فيه ابن تيمية مائة حديث من عوالي البخاري . والكتاب مطبوع في جزء لطيف بتحقيق: عبد العزيز بن فيصل الراجحي .

(٣) وقد طبعت مؤخرا بتحقيق وتعليق د. هشام إسماعيل الصيني . نشر دار ابن الجوزي.

(٤) وقد طبعت مؤخرا بتحقيق :محمد عزير شمس، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩ .

(٥) وقد طبعت مؤخرا بتحقيق : علي محمد العمران . دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٩ .

ضمن محاضرات الموسم الثقافي لكلية اللغة العربية بمكة المكرمة في يوم الاثنين ٢١/ ٢/ ١٤٠٣ .

وعدد صفحاتها أربعون صفحة . وهي مطبوعة مع مجموعة أخرى من المحاضرات (المجموعة الأولى) . وقد اطلعت عليها عن طريق الشبكة العنكبوتية على الرابط التالي:

http://wadod.net/bookshelf/book/٦٨١

وتتلخص أفكار المحاضرة على النقاط التالية:

١ - ترجمة مختصرة لابن تيمية، وبيان سعة علمه، والإشادة بقيمة الفتاوى، واحتفاء القراء بابن تيمية كأبي حيان، وابن الجزري .

٢ - مع الاطلاع الواسع لابن تيمية على جانب القراءات إلا أنه لا يعد من القراء، وسبب عدم تلقيه للقراء يعود إلى أن زمنه الذي عاش فيه زمن قلاقل، واضطرابات، وفتن، وانتشار للبدع، فنذر نفسه لتجديد الدين، ودفع الخصوم، والتركيز على أصول الدين، فلم يعد له من الوقت ما يتفرغ فيه لتلقي القراءات والرحلة من أجلها . ومع ذلك فابن تيمية يستمد حديثه عن القراءات من خلال كتاب الله وسنة رسوله ^ .

٣ - ثم تناول جملة من تقريرات شيخ الإسلام مما جاء في الفتاوى، ومن تلك التقريرات:

- احتفاء ابن تيمية بالقراء .
- استنباط رأي ابن تيمية في معنى الأحرف السبعة، وأن معناها (سبع لغات) .

- بيان توع اختلاف القراءات والتمثيل لكل نوع .
- هل يتعين القراءة بالسبع دون غيرها ؟
- تقرير أن القراءات السبعة ليست هي مجموع حرف واحد .
- القراءات الشاذة الخارجة عن رسم المصحف هل يجوز الصلاة بها، وعرض للمسألة مع بيان الراجح لديه.
- الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا المصاحف .
- احتجاج ابن تيمية بالقراءات وتوجيهه لها وتوفيقه بين الأوجه المختلفة وعرض لبعض الأمثلة .
- الوقف وأثره في توجيه المعنى مع التمثيل لذلك .
- جواز التفاضل بين القراءات .
- الاحتجاج بالقراءات الشاذة عند جمهور العلماء .

ثانيا : كتاب : (ابن تيمية والقراءات) .

للدكتور: صبحي عبد الحميد محمد عبد الكريم . وقد تطلبته فلم أعثر عليه .

ثالثا: كتاب : (علوم القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية) جمعاً ودراسة .

وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث:بجاد بن حمود العماج إلى جامعة الإمام محمد بن سعود . وقد نوقشت عام ١٤٢٩ .

وقد أفرد الباحث مبحثا مستقلا تحت عنوان: (القراءات) من صفحة ١٥٥ - ٢٠٦ . وذكر تحت هذا المبحث ستة مطالب :

المطلب الأول: المتواتر من القراءات.

المطلب الثاني: أول من جمع القراءات السبع، وسبب جمعه لها .
المطلب الثالث: تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف، وسببه .
المطلب الرابع: حكم القراءة بالقراءات الشاذة .
المطلب الخامس : الجمع بين القراءات .
المطلب السادس: توجيه القراءات .
المطلب السابع : التكبير في أوائل السور وأواخرها .
ثم ذكر: مسألة الأحرف السبعة في الفصل الثاني من الرسالة.
فهذه جملة المباحث التي تعرضها لها الباحث، وهي مأخوذة من مجموع الفتاوى، وأغلبها مأخوذة من فتوى شيخ الإسلام في مسألة القراءات .
وكانت طريقة الباحث عرض رأي شيخ الإسلام في المسائل، ثم مقارنتها بأقوال العلماء والقراء منهم خاصة .
ومما تقدم يظهر أن الباحث –وفقه الله- لم يقصد استيعاب وحصر جميع مسائل القراءات من جميع كتبه، وترتيبها ترتيبا موضوعيا .

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وعشرة فصول.

المقدمة

وتتضمن ما يلي:
١ -أهمية الموضوع .
٢ -أسباب اختيار الموضوع .
٣ -منهج البحث .
٤ -خطة البحث .

التمهيد

ترجمة مقتضبة عن شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في التعريف به من حيث الاسم والمولد والنشأة .

المطلب الثاني: مشاركته في جميع الفنون وتمكنه في علم القراءات .

الفصل الأول:

تاريخ القراءات ونشأتها وثبوتها

ويتضمن العناوين التالية:

تاريخ القراءات ونشأتها وثبوتها

-العمدة في نقل القرآن حفظه في الصدور لا في السطور .

-سبب كتابة عثمان المصاحف .

-العرضة الأخيرة واللغة التي كتبت بها المصاحف .

-اللغة التي كتبت بها المصاحف .

-سبب الأمر بتجريد المصاحف عدم اختلاط القرآن بغيره .

-من أسباب ترك النقط والشكل .

- بدء النقط وسببه

-تواتر ما بين لوحي المصاحف وتواتر رسمها .

-فضل تعلم القراءات .

-سبب الاختلاف بين القراءات .

-من أدلة أن القراءات مبنية على النقل اختلافهم في مواضع دون أخرى .

-أول من جمع القراءات السبع .

-سبب انتخاب القراء من الأمصار الخمسة .

-سبب الاقتصار على سبعة من القراء ودفع الشبهة في ذلك .

-عرض للخلاف في مسألة اشتراط التواتر من عدمه

-لم يقع إنكار لقراءة العشرة وإنما وقع للشاذة .

-من القراءات الثابتة عند الأئمة القراءات الثلاث المتممة للعشرة وفوق العشرة

-النسبة إلى القراء نسبة اختيار.

-القرآن منقول بالتواتر لم يختص السبعة بنقل شيء منه.

- أهل القراءات أعلم بفنهم.

الفصل الثاني:

مسائل تتعلق بالأحرف السبعة

ويتضمن العناوين التالية:

-شرح حديث {أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، إن قلت: عزيز حكيم، أو غفور رحيم فهو كذلك، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة}

- ما اتحد لفظه ومعناه (الأصول) داخل في الأحرف لا أنه واحد منها .

-الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة.

-القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة؟ أم هي مجموع

الأحرف كلها؟

-ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة هل يجب القطع بكونه ليس منها؟

الفصل الثالث:

قواعد في تلقي القراءات

ويتضمن العناوين التالية:

-القراءات سنة متبعة ليس لأحد أن يقرأ بمجرد رأيه .

-من ثبتت لديه قراءة ثبوتا قاطعا فله أن يقرأ بها سواء عن العشرة أو ما زاد عليها .

- قراءة أهل كل بلد متواترة بالنسبة إليهم .

-ليس لأحد أن يقرأ إلا عن طريق التلقي والاتصال .

- لا إنكار بين القراء إذا ثبتت القراءة

-قاعدة في عدم كره شيء من صفات العبادات المتنوعة ومن ذلك تنوع القراءات

الفصل الرابع:

الاختلاف بين القراءات

ويتضمن العناوين التالية:

-اختلاف القراءات اختلاف تنوع لا تضاد .

-أنواع الاختلاف بين القراءات

-الاستدلال على أن الاختلاف بين القراءات اختلاف تنوع .

-أمثلة على اختلاف التنوع

-اختلاف الأصول لا علاقة له بالمعنى فلا تناقض بينها من باب أولى .

-اختلاف القراءات ليس من المترادف .

-قواعد في التعامل مع اختلاف القراءات

الفصل الخامس:

البسملة وعلاقتها بالقراءات

ويتضمن العناوين التالية:

- هل البسملة آية من الفاتحة؟

- الخلاف في البسملة أوائل السور وأدلة كل قول

- قول يُرْجِعُ الخلافَ في البسملة إلى اختلاف القراءات

-خلاصة رأي ابن تيمية .

-أيهما أفضل الإتيان بالبسملة أو تركها وعلة التفضيل.

- خطأ من يوجب البسملة على قراءة من يثبتها، ويكرهها على قراءة من لا يثبتها.

الفصل السادس:

القراءات الشاذة

ويتضمن العناوين التالية:

-هل الشاذ كان قرآنا فنسخ .

-بعض القراءات الشاذة كانت ثابتة لدى بعض الأئمة .

-من أنواع الشاذ ما خالف الرسم .

-أكثر العلماء على الاحتجاج بالقراءة الشاذة صحيحة السند .

-القراءة الشاذة غير صحيحة السند لا يحتج بها .

-حكم الصلاة بالشاذ الخارج عن رسم الصحف وحجج المانعين والمجيزين .

-أصل النزاع في مسألة القراءة بالشاذ هل القراءات السبعة حرف من الحروف السبعة أم لا؟

-قول ثالث في حكم الصلاة بالشاذ، وأصل هذا القول .

-اختيار شيخ الإسلام في مسألة الصلاة بالقراءة الشاذة .

الفصل السابع:

مسائل تتعلق بكيفية قراءة القراءات

ويتضمن العناوين التالية:

-حكم الخلط بين القراءات في الصلاة وخارجها .

-حكم الجمع بين القراءات خارج الصلاة وداخلها.

-الجمع بين القراءات في الصلاة بدعة .

-حكم الجمع بين القراءات واحد سواء كانت المعاني متفقة أو مختلفة .

-شبهة من جوز الجمع بين الأنواع المأثورة، والرد عليها .

الفصل الثامن:

التكبير

ويتضمن العناوين التالية:

-المشروع ترك التكبير في غير قراءة ابن كثير .

-التكبير ليس من القرآن ولا إنكار على تاركه .

-التكبير انفرد البزي برفعه للنبي e مخالفا بذلك سائر من نقله .

الفصل التاسع :

أعذار الأئمة في إنكار بعض حروف القرآن وحكم ذلك

ويتضمن العناوين التالية:

-من الأعذار عدم ثبوت القراءة بالنقل الثابت .

-من لم تبلغه القراءة بنقل متواتر فلا يكفر بخلاف من قامت عليه الحجة .

-البسملة من موارد الاجتهاد فلا تكفير فيها ولا تفسيق للنافي ولا للمثبت .

الرد على القائل بالنفي أو الإثبات وفصل الحكم بينهما.

الفصل العاشر:

شبهات حول القراءات والرد عليها

ويتضمن العناوين التالية:

-رد من طعن في القراءات بحجة أنها غلط من الكاتب .

-شبهة جواز القراءة بالمعنى .

-شبهة ما زعمه ابن أبي السرح .

وختاما فأرجو أن أكون قد أسهمت في تقريب علم القراءات عند شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القراء الكرام والمتخصصين ، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت وزل القلم فمن نفسي والشيطان .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

ترجمة مقتضبة عن شيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه مطالبان:

المطلب الأول: في التعريف به من حيث الاسم، والمولد، والوفاة .

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه، وتمكنه في سائر العلوم، وفي علم القراءات.

المطلب الأول: في التعريف به من حيث الاسم والمولد والوفاة .

ماذا عسى المرء أن يتحدث عمن أطبقت الأمة على إمامته وعلو مكانته ؟! فشهرته تغني عن الإطناب في ذكره، والإسهاب في أمره، وقد حظيت شخصيته بعدد وافر من المؤلفات والتراجم . [١]

وحسبي هنا أن أذكر شيئا من اسمه ومولده، ذاكرا طرفا من ثناء العلماء عليه، وتمكنه في سائر العلوم وفي علم القراءات.

فأما نسبه:

فهو شيخ الإسلام الإمام أبو العباس: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن

---

(١) من الكتب المستقلة في ترجمته : العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام بن تيمية لابن عبد الهادي ت٧٤٤، الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لعمر البزار ت ٧٤٩، الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر لمحمد ناصر الدين الدمشقي ت ٨٤٢، الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية لمرعي الكرمي ت ١٠٣٣، الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي، القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين بن تيمية الحنبلي لصفي الدين الحنفي ت ١٢٠٠. وأما التراجم الضمنية فلا يخلو كتاب في التراجم من ذكره والثناء عليه .

تيمية الحراني ثم الدمشقي. [١]

وذُكر في سبب تلقيب العائلة بآل (تيمية) أقوال منها: ما نقله ابن عبد الهادي رحمه الله : أن جده محمداً كانت أمه تسمى (تيمية)، وكانت واعظة فنسب إليها، وعرف بها. وقيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء -شمالي المدينة-، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت بنتاً له فقال: يا تيمية! يا تيمية! فلقب بذلك. [٢]

وأما مولده ووفاته:

فقد ولد يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول بحران سنة ٦٦١ هـ، وتوفي ليلة الاثنين العشرين من شهر ذي القعدة سنة (٧٢٨) هـ وعمره (٦٧) سنة. [٣]

المطلب الثاني: ثناء العلماء عليه وتمكنه في سائر العلوم وفي علم القراءات.

ابن تيمية كما وصفه العلماء نادرة العصر، وأعجوبة الزمان [٤]، لم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه . [٥]

وكان مشاركا في جميع الفنون .قال عنه تلميذه الذهبي: «كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، رأسا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرا

---

(١) العقود الدرية لابن عبد الهادي ص ٢ .

(٢) انظر: المرجع السابق .

(٣) الأعلام العلية ص ١٤ .

(٤) انظر: العقود الدرية - (ج ١ / ص ٣٨٩) .

(٥) من ثناء الحافظ ابن سيد الناس كما في العقود الدرية ص ١٠ .

في النقليات، هو في زمانه فريد عصره: علما، وزهدا، وشجاعة، وسخاء، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وكثرة تصانيف . وقرأ وحصل وبرع في الحديث، والفقه . وتأهل للتدريس والفتوى -وهو ابن سبع عشرة سنة- وتقدم في علم التفسير، والأصول، وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها، ودقها وجلها سوى علم القراءات .

فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سُمِّي المتكلمون فهو فَرْدهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلَّهم وتيَّسهم، وهتك أستارهم، وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية، والصرف، واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي، أو ينبه على شأوه قلمي» (١) . اهـ

ومقصود الذهبي بقوله «وتقدم في علم التفسير، والأصول، وجميع علوم الإسلام أصولها وفروعها، ودقها وجلها سوى علم القراءات» .

أي أنه لم يتلق القراءات رواية عن الشيوخ، غير أن لديه اطلاعا واسعا على هذا العلم ؛ فعلم القراءات مرتبط ارتباطا وثيقا بعلوم كثيرة، كعلم التفسير، واللغة، والبلاغة وغيرها من العلوم، وعادة العلماء المتقدمين الأخذ من كل علم ما يؤهله بعد ذلك لأن يكون عالما مجتهدا موسوعيا، ومن أولئك العلماء ابن تيمية فقد أخذ من كل علم غايته وحظه الأوفر، بل

---

(١) العقود الدرية - (ج ١ / ص ٣٩) .

هو في كل علم كأنه لم يأخذ غيره.

ومن العلوم التي اعتنى بها شيخ الإسلام علم القراءات، ومن خلال النظر إلى ما جمع من مادة علمية في البحث، ومن خلال الاطلاع على توجيه ابن تيمية للقراءات وتوظيفها في جانب التفسير والأحكام يتبين للقارئ مدى ما وصل إليه رحمه الله من اطلاع واسع على هذا العلم .

ويمكن إبراز جوانب اطلاعه الواسع رحمه الله في هذا العلم من خلال النقاط التالية:

١ -إشادة القراء بعلم ابن تيمية والنقل عنه، وممن تأثر بابن تيمية من القراء خاتمة المحققين ابن الجزري رحمه الله تعالى فقد أشاد بابن تيمية ووصفه بالشيخ الإمام الثقة مجتهد ذلك العصر [١] .

ويدل على تأثر ابن الجزري بابن تيمية النقل عنه كثيرا، فأحيانا ينقل عنه مع نسبه النقل لابن تيمية، وأحيانا أخرى ينقل عنه بالنص دون الإشارة إليه .

وإليك بيانا بالمواضع التي نقلها ابن الجزري عن ابن تيمية مع نسبة النقل إليه:

ففي كتاب منجد المقرئين : انظر ص ٩٠، ٩١، ١١٠، ١٦٧ .

وفي كتاب النشر انظر : ج ١ / ص ٣٩ . فقد نقل عنه بما يقرب من أربعين سطرا .

وأما المواضع التي نقلها ابن الجزري نصا عن ابن تيمية دون الإشارة إليه:

(١) النشر ١/ ٣٩ . وتكرر وصفه بالإمام المجتهد في المنجد ص ٩٠، ١١٠، ١٦٧ .

ففي كتاب النشر الجزء الأول انظر :

أ- ص ٦ من قوله : (ثم الاعتماد في نقل القرآن – لا عن ظهر قلب) .

ب- ص ١٤، ١٥ من قوله: (وأكثر العلماء على عدم الجواز لأن هذه القراءات – وليست آية في قراءة من لم يفصل) .

ت- ص ٣٠ من قوله : (وبقي ما اتحد لفظه ومعناه – لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا) .

ث- ص٣١، ٣٢ من قوله: (فذهب جماعات من الفقهاء والقراء – نظرت القراءات فوجدتهم متقاربين فاقرؤوا كما علمتم) .

ج- ص ٥١ من قوله: (إذ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية – ظنا أن ذلك تعارض).

وقد أشرت في الحواشي للمواضع التي نقلها ابن الجزري عن ابن تيمية .

٢ -من خلال ما جمع من مادة علمية من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية نجده رحمه الله قد أتى على كثير من مسائل هذا العلم، وهو ناقد ومحرر لا ناقل فقط، وعندما يذكر الخلاف فإنه يأتي على أقوال كل فريق ويستوعبها، ويجري مناقشة بين كل فريق،كما فعل في مسألة حكم الصلاة بالشاذ، ومسألة ما بقي من الأحرف السبعة، ومسألة البسملة هل هي آية من الفاتحة، أم لا ؟

وما قرره هو ما عليه القراء إلا في مسائل يسيرة خالف فيها القراء نبهت عليها في مواضعها .

وبالمقارنة مع ما كتبه ابن الجزري في النشر نجد أن الأعم الأغلب من مسائل هذا البحث قد ذكرها ابن الجزري في كتابه .

٣- وابن تيمية وقف من القراءات موقف المنتصر لها، المحتج بها، الذاب عنها، وقد فند بعضا من الشبه المثارة عن بعض القراءات، كشبه وقوع الخطأ من الكاتب، وشبه جواز القراءة بالمعنى، وفرية عبد الله بن أبي السرح.

وقد وقف رحمه الله من العلماء الذين أنكروا بعض الحروف موقف المنصف، المتعذر لهم بأعذار تنفي الحكم عليهم بالكفر، مبينا المنهج الأمثل في الحكم على منكر شيء من القراءات .

٤- لكل علم مصطلحاته الخاصة به، ونجد ابن تيمية يستخدم تلك المصطلحات نفسها، ويبين ما يتعلق بها من أحكام، كمصطلح (الأصول، والفرش، والجمع، والخلط بين القراءات، والاختلاس، وتليين الهمزات) وغيرها من المصطلحات .

وإذا أضفت معرفة الشيخ للقراء والتمييز بين القراء العشرة وغيرهم، والقراءات المتواترة والشاذة، ونسبة بعض القراءات إلى أصحابها، والحديث عن أول من سبع السبعة، وسبب اختيار القراء من الأمصار الخمسة دون غيرها، والحديث عن سبب النسبة إلى القراء وغيرها من المسائل كل ذلك يدل على قرب ظاهر من هذا العلم وإحاطة به .

٥- وإذا نظرت إلى حديثه عن الخلاف بين القراءات وأوجه الاختلاف من حيث المعنى تجد تقريرا واستقراء ماتعا مدعوما بالأدلة والأمثلة من القراءات .

وكذا تقريره لبعض القواعد في تلقي القراءات، وبيان المنهج الأمثل في التعامل مع اختلافها.

الفصل الأول:
تاريخ القراءات ونشأتها وثبوتها

العمدة في نقل القرآن حفظه في الصدور لا في السطور

§ «والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف، كما في الحديث الصحيح [١] عن النبي e أنه قال: (إن ربى قال لي أن قم في قريش فأنذرهم فقلت: أي رب إذاً يثلغوا رأسي -أي يَشْدَخُوا- فقال: إني مبتليك ومبتلٍ بك، ومنزل عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانًا، فابعث جندا أبعث مثليهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق أنفق عليك).

فأخبر أن كتابه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في نعت أمته:(أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ)[٢] بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه إلا في الكتب، ولا يقرؤونه كله إلا نظرا لا عن ظهر قلب». [٣]

وقال في موضع آخر:

«قد تنازع الناس في شكلها ونقطها، فإن الصحابة لما كتبوا المصاحف

---

(١) صحيح مسلم (مع النووي) ج ١٧ /١٩٧.

(٢) أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير: (١٠/ ٨٩، رقم ١٠٠٤٦) . قال الهيثمى في مجمع الزوائد (٨/ ٢٧١) : فيه من لم أعرفهم، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، حديث رقم : ٣٤٧٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ص ٤٠٠ .

كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة ؛ لأنهم إنما كانوا يعتمدون في القرآن على حفظه في صدورهم، لا على المصاحف، وهو منقول بالتواتر محفوظ في الصدور، ولو عدمت المصاحف لم يكن للمسلمين بها حاجة، فإن المسلمين ليسوا كأهل الكتاب الذين يعتمدون على الكتب التي تقبل التغير، والله أنزل القرآن على محمد فتلقاه تلقيا وحفظه في قلبه، لم ينزله مكتوبا كالتوراة، وأنزله منجما مفرقا ليحفظ فلا يحتاج إلى كتاب ...»[١]

سبب كتابة عثمان للمصحف اختلاف الناس في القراءة

§ «وعن أنس أن حذيفة بن اليَمان قدم على عثمان -وكان يغازي أهل الشام في فتح إِرْمِيْنِيَة وأَذَرْبِيْجَان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة- فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف». اهـ [٢]

(١) مجموع الفتاوى:ج ١٢ / ص ١٠٠.

(٢) مجموع الفتاوى : ١٥/ ٢٥١ .

العرضة الأخيرة للقرآن هي التي كتبت بها المصاحف

§ «وكانت العرضة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ الناس به اليوم، وهو الذي جمع عثمان والصحابة رضي الله عنهم أجمعين عليه الناس» .[1]

اللغة التي كتبت بها المصاحف لغة قريش

§ وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق [2] » .[3]

سبب الأمر بتجريد المصاحف: عدم اختلاط القرآن بغيره

§ قال رحمه الله في معرض بيانه أن ما ألحق في التوراة والإنجيل من الخبر عن موسى وعيسى بعد توفيهما ليس هو مما أنزله الله:

« ...وما كتبه الذين نسخوه من بعد وفاة الرسول ومقدار عمره ونحو ذلك ليس هو مما أنزله الله على الرسول، ولا مما أمر به، ولا أخبر به، وقد يقع مثل هذا في الكتب المصنفة يصنف الشخص كتابا فيذكر ناسخه في

---

(١) الصارم المسلول ١ / ١٢٦ .

(٢) حديث عثمان للرهط مخرج في صحيح البخاري (مع الفتح)، كتاب فضائل القرآن، باب : جمع القرآن، حديث (٤٩٨٧) ج٨/٦٢٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/٢٥١ .

آخره عمر المصنف ونسبه وسنه، ونحو ذلك مما ليس هو من كلام المصنف؛ ولهذا أمر الصحابة والعلماء بتجريد القرآن، وأن لا يكتب في المصحف غير القرآن، فلا يكتب أسماء السور، ولا التخميس والتعشير، ولا آمين، ولا غير ذلك .والمصاحف القديمة كتبها أهل العلم على هذه الصفة، وفي المصاحف من قد كتب ناسخها، وأسماء السور، والتخميس، والتعشير، والوقف والابتداء، وكتب في آخر المصحف تصديقه، ودعا، وكتب اسمه، ونحو ذلك، وليس هذا من القرآن» . [١]

من أسباب ترك النقط والشكل

§ «قد تنازع الناس فى شكلها ونقطها [٢]، فإن الصحابة لما كتبوا المصاحف كتبوها غير مشكولة ولا منقوطة لأنهم:

١ - إنما كانوا يعتمدون فى القرآن على حفظه فى صدورهم لا على المصاحف وهو منقول بالتواتر محفوظ فى الصدور ... فلهذا لم تكن الصحابة ينقطون المصاحف ويشكلونها .

٢ - وأيضا كانوا عَرَبا لا يلحنون، فلم يحتاجوا إلى تقييدها بالنقط . [٣]

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ١٠٥ .

(٢) اصطلح عند المتأخرين أن الشَّكْل : وضع علامات تدل على حركات الحروف . والنَّقْط:وضع النقاط على الحروف تمييزا عما يشبهها في صورتها، ويسمى: الإعجام . انظر بحثا مفصلا في هذين المصطلحين في مقدمة كتاب : الطراز في شرح ضبط الخراز من ٣٣-٣٨ .

(٣) هل الشكل والنقط كان معروفا بين الصحابة فجردوا المصحف منهما بقصد منهم؟ أم أنهم كتبوا المصاحف على ما كان معهودا بينهم من خلو الكتابة من النقط والشكل ؟

=

٣- وكان في اللفظ الواحد قراءتان يقرأ بالياء والتاء، مثل: يعملون وتعملون، فلم يقيدوه بأحدهما ليمنعوه من الأخرى... »[(١)].

وقال في موضع آخر مضعفا قول: إن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، أو أنها حرف منها:

« أما إذا قيل: إن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر[(٢)]، وكذلك بطريق

= هذه المسألة مختلف فيها فيرى فريق من العلماء أن الصحابة تركوا المصاحف غير منقوطة ولا مشكولة ؛ لتحتمل بقية القراءات -ويلزم من ذلك أن النقط والشكل كان معهودا زمن كتابة المصحف - وممن ذهب إلى هذا الرأي أبو عمرو الداني في المحكم ص ٢، ٣، وابن تيمية، وابن الجزري كما في المنجد ص٩٥، ١٨٤، وغيرهما من العلماء.

والصواب -والله أعلم- أن النقط والشكل لم يكن معروفا إلا في عصر التابعين، على يد أبي الأسود الدؤلي المتوفى سنة (٦٧ أو ٦٩) فهو أول من بدأ نقط المصاحف على الأرجح. وأما قبل هذه الفترة فلم يكن النقط والشكل معروفا، وإنما كان الناس يكتبون على معهودهم في الكتابة العربية الخالية من أي علامة تميز الحروف عن بعضها لا في النقط، ولا في الشكل. وقد أتاح ذلك الرسم مجالا واسعا لتضمن أوجه كثيرة لا تخرج عن خط المصحف.

والكتابة بهذا النمط وبما تحتويه من ظواهر مختلفة عما عليه هجاء اليوم إنما هو امتداد لما ورثته الكتابة العربية من خصائص عن الكتابة النبطية، والناظر في النقوش العربية التي ترجع إلى العصر الجاهلي يجدها مجردة من أي علامة.

وهذا الرأي الأخير انتصر له من المعاصرين الشيخ / د. غانم قدوري الحمد، وقرره في كثير من كتبه فانظر إن شئت: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ص ٤٦٥، ٤٩١- ٥٠١، ٥٥٣، ٥٣٧، ٧٣٠ .وكتابه:علم الكتابة العربية ص ٥٤ . وبَحْثِهِ: موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، فهذا البحث يقرر ما سبق من خلال الموازنة بين رسم المصحف والنقوش القديمة. انظر على سبيل المثال ص ١٧٠، ١٩٢ . والبحث مطبوع ضمن كتابه: أبحاث في علوم القرآن.

(١) مجموع الفتاوى: ١٢ / ١٠٠-٢٠١.

(٢) أي: ظاهر بطلانه.

الأَوْلَى إذا قيل: إن ذلك حرف من الأحرف السبعة، فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف، مع تنوع الأحرف في الرسم، فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى، **وهذا من أسباب** تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة ؛ لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، ويكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيها بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المنقولين المفهومين...» [(١)].

بدء النقط وسببه

§ «ثم إنه في زمن التابعين [(٢)] لما حدث اللحن صار بعض التابعين يشكل المصاحف وينقطها، وكانوا يعملون ذلك بالحمرة، ويعملون الفتح بنقطة حمراء فوق الحرف، والكسرة بنقطة حمراء تحته، والضمة بنقطة حمراء أمامه، ثم مدوا النقطة وصاروا يعملون الشدة بقولك: شد، ويعملون المدة بقولك: مد، وجعلوا علامة الهمزة تشبه العين ؛ لأن الهمزة أخت العين، ثم خففوا ذلك حتى صارت علامة الشدة مثل رأس السين، وعلامة المدة مختصرة، كما يختصر أهل الديوان ألفاظ العدد وغير ذلك، وكما يختصر المحدثون أخبرنا، وحدثنا فيكتبون أول

(١) مجموع الفتاوى: ١٣ / ٤٠٢ .

(٢) تجمع المصادر القديمة أن أول من اخترع النقط أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت ٦٩) . انظر : محاضرات في علوم القرآن لغانم الحمد ص ٨٤ .

اللفظ وآخره على شكل أنا، وعلى شكل ثنا» [1].

تواتر ما بين لوحي المصاحف وتواتر رسمها

- «والقرآن الذي بين لوحي المصحف متواتر، فإن هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة، ونقلوها قرآنا عن النبي e، وهي متواترة من عهد الصحابة، نعلم علما ضروريا أنها ما غيرت » [2].
- «والقرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف، بل الاعتماد على حفظ أهل التواتر له في صدورهم، ولهذا إذا وجد مصحف يخالف حفظ الناس أصلحوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط فلا يلتفت إليه، مع أن المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيد الناس صورة الخط ورسمه، وصار ذلك أيضا منقولا بالتواتر، فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظا، ونقلوا رسم المصاحف أيضا بالتواتر ، ونحن لا ندعي اتفاق جميع نسخ المصاحف، كما لا ندعي أن كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظا ورسما، فمن خرج عن ذلك علم الناس أنه غلط لمخالفته النقل المتواتر» [3].

الإشارة إلى تواتر القراءات

- « فصل في قوله تعالى: (@è & ôî ž$ »ك &B ïä r9ﻙ$ ù$ Û ïì$9 ¡¡ J» q° N Ë$ }Rö ÇJ

---

(1) مجموع الفتاوى : ١٢ / ١٠٠-٢٠١ . وانظر بحثا موسعا في مقدمة الطراز في شرح ضبط الخراز من ص ٣٩-٦١ .

(2) مجموع الفتاوى ١٢/ ٥٦٩ .

(3) الجواب الصحيح - (ج ٣ / ص ٤٢٣) .

Ÿwr O=ŏ‎ôB Aï‎šc qà2 ‎b‎ß óÉépþ) @è ÐèÖãŸwr ßÎèÖãqèdr

? ðqà6 ú B`$ Ï%!$# ûüÏÎô ÇÍÈ) [الأنعام] .

القراءة المتواترة التي يقرأ بها جماهير المسلمين قديما وحديثا وهي قراءة العشرة وغيرهم (ÐèÖãŸwr ßÎèÖãqèdr).وروي عن طائفة أنهم قرؤوا: {وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَم} بفتح الياء .

قال أبو الفرج [1] : وقرأ عكرمة والأعمش : {ولا يَطْعَم} بفتح الياء .

قال الزجاج : وهذا الاختيار عند البُصراء بالعربية، ومعناه: وهو يَرْزُق ويُطْعِمُ، ولا يأكل .

قلت:الصواب المقطوع به : أن القراءة المشهورة المتواترة أرجح من هذه...» [2].

فضل تعلم القراءات

§ «والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك، ولا يعرف إلا قراءة واحدة» [3].

سبب الاختلاف بين القراءات النقل والرواية

§ «وأما قول السائل: ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف؟

(١) ابن الجوزي في زاد المسير ٣/١١ . والقراءة بفتح الياء شاذة . انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٤٢ .

(٢) انظر: جامع المسائل، جمع الشيخ : محمد عزيز شمس، المجموعة الأولى ص١٠٩ .

(٣) مجموع الفتاوى:ج ١٣ / ص ٤٠٤.

فهذا مرجعه إلى النقل، واللغة العربية [١] ؛ لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله ؛ إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متبعة. وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الإمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء، وبعضهم بالتاء لم يكن واحد منهما خارجا عن المصحف»[٢].

من أدلة أن القراءات مبنية على النقل اختلافهم في مواضع دون أخرى

§ «ومما يوضح ذلك أنهم يتفقون في بعض المواضع على ياء، أو تاء، ويتنوعون في بعض كما اتفقوا في قوله تعالى :(Br$$! ª Îó»ÿ@ ãB$?èJèq b Èíiiç) [البقرة] في موضع، وتنوعوا في موضعين[٣]...»[٤].

أول من جمع القراءات السبع ابن مجاهد

§ «بل أول من جمع قراءات هؤلاء هو الإمام أبو بكر بن مجاهد، وكان على رأس المائة الثالثة ببغداد، فإنه أحب أن يجمع المشهور من قراءات الحرمين والعراقين والشام.

سبب انتخاب القراء من الأمصار الخمسة فقط

§ إذ هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة، من القرآن، وتفسيره، والحديث، والفقه من الأعمال الباطنة والظاهرة، وسائر

---

(١) شيخ الإسلام يرى أن الأصل في القراءات النقل والرواية، وما ثبت نقلا ثبت لغة، وقد كرر هذا الأصل في غير ما موضع . انظر ص ٣٤ من البحث .

(٢) مجموع الفتاوى ج١٣ /ص٣٩٩ .

(٣) وهما موضعا : [البقرة/ ٧٤]، و [البقرة/ ٨٥] .

(٤) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ص ٤٠٠.

العلوم الدينية»[١].

وقال في موضع آخر[٢]:

«كما أن علم النبوة من الإيمان والقرآن، وما يتبع ذلك من: الفقه، والحديث، وأعمال القلوب إنما خرجت من الأمصار التي يسكنها جمهور أصحاب رسول الله e، وهي: الحرمان، والعراقان، والشام: المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام . وسائر الأمصار تبع فالقراء السبعة من هذه الأمصار، وكذلك أئمة أهل الحديث».

سبب الاقتصار على سبعة من القراء ودفع الشبهة في ذلك

§ «فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة قراء هذه الأمصار؛ ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف[٣] التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة، أو أن هؤلاء السبعة المعينين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ص ٣٩٠ .

(٢) مجموع الفتاوى: ج١٠/ص٣٦١.

(٣) نص على هذه العلة ابن الجزري في المنجد ص ٢١٧ .

وحاصل ما يذكر في هذا الباب من علل:

أ- أن ابن مجاهد ذكر ما وصل إليه على قدر روايته فلم يكن واسع الرحلة، وأن أسانيدهم اتصلت إليه على علو. انظر: المنجد ٢١٥، ٢١٦، ٢٢١. وهذه علة قوية.

ب- أن هؤلاء السبعة تصدوا للإقراء أكثر من غيرهم . أشار إلى ذلك ابن الجزري في المنجد ص ٢٠٨ .

ج- الموافقة لعدد المصاحف المرسلة . أشار لذلك ابن الجزري في المنجد ص ٢١٧ . وهذه العلة منتقدة؛ لاختلاف العلماء في عدد المصاحف المرسلة.

قراءتهم، ولهذا قال من قال من أئمة القراء: لولا أن بن مجاهد سبقني إلى حمزة لجعلت مكانه يعقوب الحضرمي إمام جامع البصرة وإمام قراء البصرة في زمانه في رأس المائتين» [1].

وقال في موضع آخر [2] : «ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن القراءة مختصة بالقراء السبعة، فإن هؤلاء إنما جمع قراءاتهم أبو بكر بن مجاهد بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، واتبعه الناس على ذلك، وقصد أن ينتخب قراءة سبعة من قراء الأمصار، ولم يقل هو ولا أحد من الأئمة إنما خرج عن هذه السبعة فهو باطل، ولا أن قول النبي e أنزل القرآن على سبعة أحرف أريد به قراءة هؤلاء السبعة، ولكن هذه السبعة اشتهرت في أمصار لا يعرفون غيرها، كأرض المغرب، فأولئك لا يقرؤون بغيرها لعدم معرفتهم باشتهار غيرها، فأما من اشتهرت عندهم هذه كما اشتهر غيرها، مثل أرض العراق وغيرها، فلهم أن يقرؤوا بهذا وهذا » .

لم يقع إنكار لقراءة العشرة وإنما للشاذة

§ «وأما الذي ذكره القاضي عياض، ومن نقل من كلامه من الإنكار على ابن شنبوذ -الذي كان يقرأ بالشواذ في الصلاة في أثناء المائة الرابعة، وجرت له قصة مشهورة - فإنما كان ذلك في القراءات الشاذة الخارجة عن المصحف كما سنبينه . ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة ». [3]

(١) مجموع الفتاوى ج ١٣ / ص ٣٩٠.
(٢) مجموع الفتاوى: ج ١٢ / ص ٥٦٩.
(٣) مجموع الفتاوى ج١٣ /ص٣٩٤.

القراءات الثلاث المتممة للعشرة لا فرق بينها وبين السبعة من حيث الثبوت

§ «بـل القـراءات الثابتـة عـن أئمـة القـراء -كـالأعمش [(١)]، ويعقـوب، وخلف، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن نصاح ونحوهم - هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده، كما ثبت ذلك، وهذا أيضا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم ». [(٢)]

وقـال في موضـع آخـر[(٣)]: «والقـراءة المعروفـة عـن السـلف الموافقـة للمصحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة، ولا فـرق عنـد الأئمـة بـين

(١) قراءة الأعمش، وشيبة بن نصاح من القراءات الزائدة على العشرة، وكانت متواترة في فترة من الزمن، ثم أصبحت بعد ذلك في عداد الشاذ ؛ لانقطاع إسنادها .

وكون بعض القراءات كانت متواترة، ثم فقدت التواتر أمر غير منكور، فقد نص السبكي (ت٧٥٦) في جمع الجوامع فقال : « ومن هذا يتبين أن المتواتر في الطبقة الأولى قد يكون آحادا فيما بعدها، وهذا محمل القراءات الشاذة» اهـ . جمع الجوامع للسبكي ٢/١٥٢ مع حاشية العطار .

وقال ملا علي قارئ ت (١٠١٤) : « واعلم أن القراءة الشاذة حرام بإجماع أئمة الإسلام، وإنما نسبت إلى العلماء الأعلام مثل: الأعمش، والحسن ؛ بناء على أنها كانت عندهم متواترة، ثم صارت شاذة بفقد شروط التواتر على ما هو مقرر في الأصول، والكتب المبسوطة في علم القراءة» اهـ . بواسطة كتاب: حكم القراءة بالقراءات الشواذ ليوسف أفندي ص ٧٥.

وقال الكفوي (ت ١٠٩٤) حيث قال: « فالشيء قد يتواتر عند قوم دون آخرين، بل المتواتر في طبقة قد يكون آحادا في غيرها، كما في القراءة الشاذة في بعض مواضعها فإنه متواتر في الطبقة الأولى، فيكون من المتواتر المختلف فيه» اهـ . الكليات للكفوي ص ٦٥١ .

(٢) مجموع الفتاوى : (ج ١٣ / ص ٤٠١) .

(٣) مجموع الفتاوى : (ج ١٢ / ص ٥٦٩)

قراءة: أبي جعفر ويعقوب وخلف، وبين قراءة حمزة والكسائي وأبى عمرو، و[أبي] [1]نعيم ».

وقال : «وأما من قرأ بقراءة أبى جعفر، ويعقوب، ونحوهما فلا تبطل الصلاة بها باتفاق الأئمة» [2].

النسبة إلى القراء نسبة اختيار

§ «الوجه السابع: [3] قوله: وأهملوا أقاويل الصحابة كذب منه، بل كتب أرباب المذاهب مشحونة بنقل أقاويل الصحابة والاستدلال بها، وإن كان عند كل طائفة منها ما ليس عند الأخرى، وإن قال أردت بذلك أنهم لا يقولون مذهب أبي بكر وعمر ونحو ذلك، فسبب ذلك أن الواحد من هؤلاء جمع الآثار وما استنبطه منها فأضيف ذلك إليه، كما تضاف كتب الحديث إلى من جمعها كالبخاري ومسلم وأبي داود، وكما تضاف القراءات إلى من اختارها كنافع، وابن كثير». [4]

القرآن منقول بالتواتر لم يختص هؤلاء السبعة بنقل شيء منه

§ «...ولا يعلمون [5] أن قولنا رواه البخاري ومسلم علامة لنا على ثبوت صحته، لا أنه كان صحيحا بمجرد رواية البخاري ومسلم، بل

---

(١)كلمة (أبي) ساقطة من الأصل . وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رُوَيم أحد القراء السبعة، ويقال : أبو نعيم . انظر : غاية النهاية لابن الجزري ٢ /٣٣٠ .

(٢) مجموع الفتاوى: ج١٢ / ص ٥٧٠ .

(٣) من أوجه الرد على الرافضة في دعواهم إهمال أهل السنة لأقاويل الصحابة .

(٤) منهاج السنة النبوية : ج ٣ / ص ٤١٠.

(٥) أي: الجهال يظنون أن الأحاديث التي في البخاري ومسلم إنما أخذت عن البخاري ومسلم، وأن الغلط كان يروج عليهما، أويتعمدان الكذب .

أحاديث البخاري ومسلم رواها غيرهما من العلماء و المحدثين من لا يحصي عدده إلا الله، ولم ينفرد واحد منهما بحديث، بل ما من حديث إلا وقد رواه قبل زمانه، وفي زمانه، وبعد زمانه طوائف، ولو لم يخلق البخاري ومسلم لم ينقص من الدين شيء، وكانت تلك الأحاديث موجودة بأسانيد يحصل بها المقصود، وفوق المقصود، وإنما قولنا رواه البخاري ومسلم، كقولنا قراءة القراء السبعة، والقرآن منقول بالتواتر، لم يختص هؤلاء السبعة بنقل شيء منه ...» . (١)

أهل القراءات أعلم بفنهم من غيرهم

§ «...وأهل العلم بالنحو يعلمون من حال سيبويه، والأخفش، والمبرد، والزجاج، والفراء، والكسائي ما لا يعلمه غيرهم، والقراء يعلمون من قراءة أبي عمرو، وابن كثير، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، ويعقوب بن إسحاق، والأعمش، وخلف بن هشام، وأبي جعفر ما لا يعلمه غيرهم، فإذا كان آحاد أهل العلم من أهل الفقه، أو الطب، أو الحساب، أو النحو، أو القراءات، بل وآحاد الملوك يعلم الخاصة من أمورهم ما لا يعلمه غيرهم، ويقطعون بذلك، فكيف بمن هو عند أتباعه (٢) أعلا قدرا من كل عالم، وأرفع منزلة من كل ملك، وهم أرغب الخلق في معرفة أحواله...» . (٣)

---

(١) منهاج السنة النبوية :ج ٧ / ص ٢١٥.

(٢) أي أتباع النبي e .

(٣) الجواب الصحيح: ج ٦ / ص ٣٤٧ .

الفصل الثاني:

مسائل تتعلق بالأحرف السبعة

شرح رواية حديث التخيير في ختم الآيات بأيٍّ من أسماء الله الحسنى

§ «وقد جاء مصرحا عن النبي e أنه قال: [أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، إن قلت: عزيز حكيم، أو غفور رحيم فهو كذلك، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة] .[1]

وفي حرف جماعة من الصحابة:{ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم}[2] . والأحاديث في ذلك منتشرة تدل على أن من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن أن يختم الآية الواحدة بعدة أسماء من أسماء الله، على سبيل البدل يخير القارئ في القراءة بأيها شاء... وختم الآي بمثل{ سميع عليم }، و{عليم حليم }، و{ غفور رحيم }، أو بمثل: { سميع بصير}، أو {عليم حليم }، أو{ حكيم حليم } كثير في القرآن، وكان نزول الآية على عدة من هذه الحروف أمرا معتادا، ثم إن الله نسخ بعض تلك الحروف [3]، لما كان جبريل يعارض النبي e بالقرآن في كل رمضان، وكانت العرضة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ

---

(١) الحديث أخرجه بنحوه الإمام أحمد في مسنده: (ج ٤٦ / ص ١٧١)، وأبو داود في سننه: (ج /ص ٤٦٦) حديث رقم (٣٥٧) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ج١ /٢٧٧ .

(٢) وهو حرف ابن مسعود . انظر: شواذ القراءات للكرماني ص١٦٤ .

(٣) وكذا قال البيهقي في السنن الكبرى:ج ٢ / ص ٣٨٥ .

الناس به اليوم، وهو الذي جمع عثمان والصحابة y أجمعين عليه الناس».[١]

ما اتحد لفظه ومعناه (الأصول) داخل في الأحرف لا أنه واحد منها

§ «وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به: كالهمزات، والمدَّات، والامالات، ونقل الحركات، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها، ونحو ذلك مما يسمى القراءات: الأصول، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى ؛ إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا ، ولهذا كان دخول هذا في حرف واحد من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها من أولى ما يتنوع فيه اللفظ أو المعنى، وإن وافق رسم المصحف، وهو ما يختلف فيه النقط، أو الشكل ».[٢]

الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة

§ «لا نزاع بين العلماء المعتبرين **أن الأحرف السبعة** التي ذكر النبي e أن القرآن أنزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة».[٣]

هل القراءات حرف واحد من الأحرف السبعة ؟ أم هي مجموع الأحرف كلها؟

«وهذا النزاع [٤] لابد أن يبنى على الأصل الذي سأل عنه السائل،

---

(١) الصارم المسلول: ج ١ / ص ١٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٣ / ٣٩٢ .

(٣) مجموع الفتاوى:ج ١٣ / ص ٣٩٠.

(٤) أي النزاع في مسألة الصلاة بالقراءة الشاذة، كما ستأتي الإشارة في فصل القراءات الشاذة .

وهو: أن القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا ؟

١ - فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة، بل يقولون: إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة، وهو متضمن للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي e على جبريل، والأحاديث، والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول. [(١)]

(١) قوله : « والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا القول» . يفهم منه أنه ترجيح للشيخ، ويظهر -والله أعلم- أن ترجيحه هنا قد ضعفه في موضع آخر، كما ستراه بعد قليل فكأنه قد رجع عنه، والله أعلم .

وهنا أسجل ملاحظة مهمة:

هناك فرق بين مسألتين:

مسألة: على أي حرف كتب المصحف العثماني، وإذا كتب على حرف واحد فما حال بقية الأحرف؟

ومسألة: هل القراءات السبعة والعشر حرف من الأحرف السبعة ؟ أم ماذا ؟

والسؤال الذي سأل عنه السائل، وهو: أن القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا ؟ هو من القسم الثاني، وجاء جواب شيخ الإسلام في القول الأول موافقا للسؤال ولا إشكال هنا .

ولكن الإشكال في القول الثاني إتيانه بقول من قال: بأن المصحف مشتمل على الأحرف السبعة ! وهذا الجواب إنما هو جواب مسألة: على أي حرف كتب المصحف العثماني !

وبناء على ذلك فقد جاء ذكره للحجج قسم منها –وهي حجج القول الثاني- لمسألة: على أي حرف كتب المصحف العثماني ! وقسم منها – وهي حجج القول الأول - لمسألة: القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا ؟

وحتى يتضح جواب المسألتين أذكر جواب كل منهما على حدة .

المسألة الأولى: على أي حرف كتبت المصاحف العثمانية، وإذا كتبت على حرف واحد فما حال بقية الأحرف؟ والجواب : أن العلماء اختلفوا في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

=

٢ - وذهب طوائف من الفقهاء، والقراء، وأهل الكلام إلى أن هذا المصحف مشتمل على الأحرف السبعة، وقرر ذلك طوائف من أهل

= القول الأول: أن المصاحف كتبت على حرف واحد فقط، وأما بقية الأحرف الستة فقد سقطت. وهذا رأي الطبري ومن وافقه . وسيأتي تضعيف الشيخ لهذا القول .

تنبيه: مراد الطبري بالأحرف السبعة : اللغات السبع في الكلمة الواحدة في الحرف الواحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني (الألفاظ المترادفة) كهلم وأقبل وتعال ...فهذه اللغات لم تبق جميعها بل بقي حرف واحد وترك الباقي . انظر : تفسير الطبري ١ /٥٧-٦٤ . وتفسير الطبري مقتضاه أن هذه القراءات المختلفة الأصول والفرش إنما هي أوجه داخلة ضمن حرف واحد . انظر: حديث الأحرف السبعة للشيخ عبد العزيز قارئ ص ٥٦، ٥٨ .

القول الثاني: أن المصاحف مشتملة على جميع الأحرف السبعة .وهو قول طوائف من أهل الكلام وغيرهم كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام .

القول الثالث: أن المصاحف كتبت على حرف واحد أي: قراءة ولغة واحدة، وهي إذ كتبت بغير نقط، ولا شكل احتملت حينئذ بقية الأحرف الستة الباقية مما لا يخالف خط المصحف .

ورأي شيخ الإسلام: اختيار القول الثالث، كما سيذكر في النص بعد قليل، مع التعليق عليه.

أما المسألة الثانية: هل القراءات العشر حرف من الأحرف السبعة ؟ أم ماذا ؟

والجواب: هذه المسألة مبنية على المسألة الأولى فمن يرى أن المصحف كتب على حرف واحد، وأن الأحرف الستة الأخرى قد سقطت وترك العمل بها فالقراءات العشر عنده إنما هي أوجه لحرف واحد، وهو الحرف الذي كتبه عثمان في المصحف . انظر: المنجد ص ١٨٤ .

ومن يرى أن المصحف كتب على حرف واحد، وأن رسمه محتمل لبقية الأحرف فالقراءات العشر عنده جزء من الأحرف السبعة من غير تعيين . بل يقول: إن جميع ما نزل ثم ترك هو من الأحرف السبعة .

وهذا هو الذي عليه القراء . انظر: الإبانة لمكي ص ٣٤، ٣٦، ٦٣، ١٣٢ . والمنجد ص ١٨١، ١٨٥

وأما من يرى أن المصحف اشتمل على جميع الأحرف السبعة فعنده أن القراءات المتواترة هي مجموع الأحرف السبعة .وهذا القول يضعفه: « أن ما خالف الرسم يقطع بأنه ليس من الأحرف السبعة، وهذا قول محظور ؛ لأن كثيرا مما خالف الرسم صح عن الصحابة، وعن النبي e » . اهـ من المنجد ص ٩٤ .

الكلام، كالقاضي أبى بكر الباقلاني وغيره .

من حجج القول الثاني

§ بناء على أنه لا يجوز على الأمة أن تهمل نقل شيء من الأحرف السبعة، وقد اتفقوا على نقل هذا المصحف الإمام العثماني وترك ما سواه، حيث أمر عثمان بنقل القرآن من الصحف التي كان أبو بكر وعمر كتبا القرآن فيها، ثم أرسل عثمان بمشاورة الصحابة إلى كل مصر من أمصار المسلمين بمصحف، وأمر بترك ما سوى ذلك .

قال هؤلاء ولا يجوز أن ينهى عن القراءة ببعض الأحرف السبعة .

من حجج القول الأول

ومن نصر قول الأولين يجيب:

- تارة بما ذكر محمد بن جرير وغيره من أن القراءة على الأحرف السبعة لم يكن واجبا على الأمة، وإنما كان جائزا لهم مرخصا لهم فيه، وقد جعل إليهم الاختيار في أي حرف اختاروه، كما أن ترتيب السور لم يكن واجبا عليهم منصوصا، بل مفوضا إلى اجتهادهم - ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب مصحف زيد، وكذلك مصحف غيره، وأما ترتيب آيات السور فهو منزل منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية في الرسم،كما قدموا سورة على سورة لأن ترتيب الآيات مأمور به نصا، وأما ترتيب السور فمفوض إلى اجتهادهم - قالوا فكذلك الأحرف السبعة، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد اجتمعوا على ذلك اجتماعا سائغا، وهم معصومون أن يجتمعوا على

ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحظور .

- ومن هؤلاء من يقول بأن الترخيص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام ؛ لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولا، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيرا عليهم، وهو أرفق بهم أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الآخرة، ويقولون إنه نسخ ما سوى ذلك .

وهؤلاء يوافق قولهم قول من يقول: إن حروف أبى ابن كعب، وابن مسعود وغيرهما مما يخالف رسم هذا المصحف منسوخة ». اهـ[(١)]

تضعيف القول بأن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة، أو أنها حرف واحد من الأحرف السبعة

§ «وإنما تنازع الناس من الخلف في المصحف العثماني الإمامي الذي أجمع عليه أصحاب رسول الله e والتابعون لهم بإحسان والأئمة بعدهم، هل هو بما فيه من القراءات السبعة، وتمام العشرة وغير ذلك هل هو حرف من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها ؟ أو هو مجموع الأحرف السبعة ؟ على قولين مشهورين :

والأول : قول أئمة السلف والعلماء .

والثاني : قول طوائف من أهل الكلام والقراء وغيرهم .

وهم متفقون على أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضا خلافا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٩٥ - ٣٩٧ .

يتضاد في المعنى ويتناقض، بل يصدق بعضها بعضا، كما تصدق الآيات بعضها بعضا ...أما إذا قيل : إن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر[١]، وكذلك بطريق الأَوْلَى إذا قيل: إن ذلك حرف من الأحرف السبعة، فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرؤوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف، مع تنوع الأحرف في الرسم، فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى...» . [٢]

وقال في موضع آخر: «وكذلك ليست هذه القراءات السبعة هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل القرآن عليها باتفاق العلماء المعتبرين». [٣]

رأي شيخ الإسلام في المسألة [٤]

§ «فإن القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو أحد الحروف السبعة، وهو العرضة الآخرة، وأن الحروف السبعة [٥]

---

(١) أي: ظاهر بطلانه، وقد أشار إلى ذلك من قبل .

(٢) مجموع الفتاوى ج١٣/ص٤٠١، ٤٠٢.

(٣) مجموع الفتاوى:ج ١٣ / ص ٤٠١.

(٤) لم يصرح ابن تيمية برأيه في مسألة ما اشتمل عليه رسم المصحف إلا أن العبارة التي نقلتها عنه تشير إلى ترجيحه أن المصحف كتب على رسم واحد، ورسمه متحتمل لبقية القراءات المتواترة.
وقد سبق تقريره أن من أسباب ترك النقط والشكل إبقاء ما تحتمله بقية القراءات .
وقد نقل ابن الجزري عن ابن تيمية في المنجد ص ٩٤-٩٦ ما يفهم منه أن المصحف كتب على حرف واحد، وهو متحمل لبقية الأحرف السبعة .

(٥) يظهر أن في الكلام سقطا في المطبوعة، وصوابه إضافة (غير). والله أعلم .

خارجة عن هذا المصحف، وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة، مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد» . [(١)]

ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة لا يقطع بكونه ليس منها ؟

§ وهذا القول [(٢)] ينبني على أصل، وهو أن **ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها ؟**

-فالذي عليه جمهور العلماء أنه لا يجب القطع بذلك ؛ إذ ليس ذلك مما أوجب علينا أن يكون العلم به في النفي والإثبات قطعيا .

- وذهب فريق من أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه ...» . [(٣)]

---

(١) الصارم المسلول - (ج ١ / ص ١٣١).

(٢) هذه المسألة إنما ذكرها عند حديثه عن القول الثالث في مسألة حكم الصلاة بالشاذ -وهو : إن قرأ بهذه القراءات في القراءة الواجبة -وهي الفاتحة - عند القدرة عليها لم تصح صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة ؛ لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل ؛ لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أنزل عليها – ثم ذكر أن هذا القول ينبني على الأصل الذي ذكره . وستأتي مسألة الخلاف في الصلاة بالشاذ في موضعها .

(١) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٣٩٧، ٣٩٨.

الفصل الثالث:

قواعد في تلقي القراءات

القراءة سنة متبعة ليس لأحد أن يقرأ بمجرد رأيه:

§ « وسبب تنوع القراءات فيما احتمله خط المصحف هو: تجويز الشارع، وتسويغه ذلك لهم؛ إذ مرجع ذلك إلى السنة والاتباع، لا إلى الرأي والابتداع ». [١]

وقال «إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه، بل القراءة سنة متبعة». [٢]

وقال أيضا: « أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول» . [٣]

كل من ثبتت لديه قراءة ثبوتا قاطعا فله أن يقرأ بها سواء عن العشرة أو ما زاد عنها

§ «لم يتنازع علماء الإسلام المتبوعين من السلف والأئمة في أنه لا يتعين أن يقرأ بهذه القراءات المعينة في جميع أمصار المسلمين، بل من ثبت عنده قراءة الأعمش [٤] شيخ حمزة، أو قراءة يعقوب بن إسحاق

---

(١) مجموع الفتاوى: ج١٣ / ص ٤٠٢.

(٢) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٣٩٩ .

(٣) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٤٠٤.

(٤) علق هنا ابن حجر على كلام ابن تيمية بما يزيل وهم من ظن تجويز ابن تيمية القراءة بقراءة الأعمش فقال: «وانظر قول الشيخ تقي الدين ابن تيمية حيث قيد جواز القراءة بقراءة =

الحضرمي ونحوهما، كما ثبت عنده قراءة حمزة والكسائي فله أن يقرأ بها بلا نزاع بين العلماء المعتبرين المعدودين من أهل الإجماع والخلاف . بل أكثر العلماء الأئمة الذين أدركوا قراءة حمزة: كسفيان بن عيينة، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وغيرهم يختارون قراءة: أبى جعفر بن القعقاع، وشيبة بن نصاح [١] المدنيَيْن، وقراءة البصريين، كشيوخ يعقوب بن إسحاق وغيرهم على قراءة حمزة والكسائي .

وقال في موضع آخر : «القراءات الثابتة عن أئمة القراء -كالأعمش [٢]،

= الأعمش مثلا بقوله: « إن ثبتت عند القارئ، كما ثبتت عنده قراءة حمزة والكسائي» فإن هذا الشرط الذي أشار إليه متعذر الوفاء، لأن قراءة حمزة والكسائي قد رويتا من طرق متعددة إليهما، بخلاف القراءة المنسوبة إلى الأعمش، فإنها ليست مثل قراءتهما قطعا، لا من حيث كثرة الطرق، ولا من حيث التلقي بالقبول من الأئمة من بعد عصر الأئمة المجتهدين من أول القرن الرابع، وهلم جرا » .اهـ انظر: كلام ابن حجر ملحق بهامش شرح طيبة النشر ١ /١٤٤ .

وعلق أيضا النويري على كلام ابن تيمية بما يزيل وهم من قال بعد حصر المتواتر في العشر بقوله: «كل هذا لا يتنافي دعوى عدم تواتر الزائد على العشرة في زماننا ؛ لأن هذا وإن دل على تواتر شيء زائد ففي حدود المئتين، لا في حدود الثلاث مئة ونيف وثلاثين، فلا يستدل به على ما نحن فيه » .اهـ من القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ للنويري ص ٦٩ .

قلت: قراءة الأعمش، ومثلها قراءة شيبة بن نصاح وغيرهم كانت ثابتة لدى بعض الأئمة يقرؤون بها بلا نكير، وهي الآن في عداد الشاذ، وقد استقر الأمر على تواتر العشر . انظر ص ٢٤ من البحث .

(١) وهو أحد شيوخ نافع ت (١٣٠) . معرفة القراء الكبار ١ / ٧٩ .

(٢) قراءة الأعمش، وشيبة بن نصاح من القراءات الزائدة على العشرة، وكانت متواترة في فترة من الزمن، ثم أصبحت بعد ذلك في عداد الشاذ ؛ لانقطاع إسنادها .
الكليات للكفوي ص ٦٥١ .

ويعقـوب، وخلـف، وأبـى جعفـر يزيـد بـن القعقـاع، وشـيبة بـن نصـاح ونحوهم - هي بمنزلة القراءات الثابتة عـن هـؤلاء السـبعة عنـد مـن ثبـت ذلك عنده، كما ثبت ذلك، وهذا أيضا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون مـن أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم ». (١)

قراءة أهل كل بلد متواترة بالنسبة إليهم

§ وللعلماء الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف عند العلماء، ولهـذا كـان أئمة أهل العراق الذين ثبتت عندهم قراءات العشرة، أو الإحدى عشرة كثبوت هذه السبعة يجمعون ذلك في الكتب، ويقرؤونه في الصلاة وخارج الصلاة، وذلك متفق عليه بين العلماء لم ينكره أحد منهم». (٢)

ليس لأحد أن يقرأ إلا عن طريق التلقي والاتصال

§ «ولم ينكر أحد من العلماء قراءة العشرة، ولكن من لم يكن عالما بها، أو لم تثبت عنده -كمن يكون في بلد من بلاد الإسلام بالمغرب، أو غيره ولم يتصل به بعض هذه القراءات- فليس له أن يقرأ بما لا يعلمه. فإن القراءة كما قال زيد بن ثابت سنة: يأخذها الآخر عن الأول، كما أن ما ثبت عن النبي e من أنواع الاستفتاحات في الصلاة، ومن أنواع صفة الأذان، والإقامة، وصفة صلاة الخوف، وغير ذلك كله حسن يشرع العمل به لمن علمه .

(١) مجموع الفتاوى : (ج ١٣ / ص ٤٠١) .

(٢) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٣٩٢- ٣٩٣ .

لا إنكار بين القراء إذا ثبتت القراءة

§ وأما من علم نوعا ولم يعلم غيره فليس له أن يعدل عما علمه إلى ما لم يعلمه .

وليس له أن ينكر على من علم ما لم يعلمه من ذلك، ولا أن يخالفه، كما قال النبي e : {لا تَخْتَلِفُوا فإن مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا } [١] ». اهـ[٢]

وقال في مسألة الاختلاف أيضاً:

«واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيبا فيما يثبته، أو في بعضه، مخطئا في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيبا في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئا في نفي حرف غيره» [٣].

قاعدة في عدم كره شيء من صفات العبادات المتنوعة ومن ذلك تنوع القراءات

§ «وقاعدتنا في هذا الباب أصح القواعد: إن جميع صفات العبادات من الأقوال والأفعال -إذا كانت مأثورة أثرا يصح التمسك به- لم يكره شيء من ذلك، بل يشرع ذلك كله، كما قلنا في أنواع صلاة الخوف، وفي نوعى الأذان الترجيع وتركه، ونوعى الإقامة شفعها وإفرادها،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (مع الفتح) كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، حديث رقم (٢٤١٠) ج ٥ /٨٥ .

(٢) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٣٩٢- ٣٩٣ .

(٣) اقتضاء الصراط:ج ١ / ص ١٤٥.

وكـما قلنـا في أنـواع التشـهدات، وأنـواع الاسـتفتاحات، وأنـواع الإستعاذات وأنواع القراءات...»[(١)].

وقال في موضع آخر: «وإذا كان كذلك فالصواب مذهب أهل الحديث ومن وافقهم وهو تسويغ كل ما ثبت في ذلك عن النبي e ، لا يكرهون شيئا من ذلك ؛ إذ تنوع صفة الأذان والإقامة، كتنوع صفة القراءات والتشهدات ونحو ذلك، وليس لأحد أن يكره ما سنه رسول الله لأمته»[(٢)].

وقال في موضع آخر: «ومن قرأ بإحدى القراءات لا يقال إنه كلما قرأ يجب أن يقرأ بها، ومن ترك ما قرأ به غيره لا يقول إن قراءة أولئك مكروهة، بل كل ذلك جائز بالاتفاق وإن رجح كل قوم شيئا»[(٣)].

(١) مجموع الفتاوى ج٢٤/ص٢٤٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ج٢٢/ص٦٦ .

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٤، وما بعدها .

الفصل الرابع:

الاختلاف بين القراءات

اختلاف القراءات اختلاف تنوع لا تضاد

§ «الخلاف نوعان: خلاف تضاد، وخلاف تنوع، فالأول مثل: أن يوجب هذا شيئا ويحرمه الآخر، والنوع الثاني مثل: القراءات التي يجوز كل منها، وإن كان هذا يختار قراءة وهذا يختار قراءة كما ثبت في الصحاح بل استفاض عن النبي e أنه قال: {إن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف} (١). وثبت أن عمر وهشام بن حكيم بن حزام اختلفا في سورة الفرقان، فقرأها هذا على وجه، وهذا على وجه آخر فقال لكليهما: هكذا أنزلت (٢) » (٣).

وقال في موضع آخر: «وهم متفقون على أن الأحرف السبعة لا يخالف بعضها بعضا خلافا يتضاد فيه المعنى ويتناقض، بل يصدق بعضها بعضا، كما تصدق الآيات بعضها بعضا». (٤)

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/١٤٢، رقم ٦٠٣٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: (ج ٧ / ص ٦٤) حديث (١١٥٧٨)، وغيرهما.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح) في كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف. حديث رقم(٤٩٩٢) ج ٨/٦٣٨ .

(٣) منهاج السنة النبوية: ج ٦ / ص ١٢١ .

(٤) مجموع الفتاوى: ج ١٢ / ص ٥٦٩ .

أنواع الاختلاف بين القراءات من حيث المعنى [(١)]

§ «ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده بل قد يكون معناها:

١- متفقا . [(٢)]

٢- أو متقاربا، كما قال عبد الله بن مسعود: إنما هو كقول أحدكم أقبل وهلم وتعال . [(٣)]

٣- وقد يكون معنى أحدهما ليس هو معنى الآخر، لكن كلا المعنيين حق[(٤)] . وهذا اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض .

الاستدلال على أن الاختلاف بين القراءات اختلاف تنوع

وهذا كما جاء في الحديث المرفوع عن النبي e :{أنزل القرآن على سبعة أحرف إن قلت: غفورا رحيما، أو قلت: عزيزا حكيما فالله كذلك، ما لم تختم آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة}. [(٥)]

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٩١ – ٣٩٢ .

(٢) من أمثلته ما يعبر عنه بـ(الأصول) كالمد، والإمالة، ونحوهما . وبعض العلماء يجعل منه ما يطلق عليه أنه من قبيل اللغات، كالقُدُس، والقُدْس . انظر: جامع البيان للداني ص ٣٠، والنشر ١/ ٣٠.

ولا يلزم فيما هو من قبيل اللغات أن تكون المعاني متفقة، بل قد يكون لاختلافها لفظا أثرا في المعنى .

(٣) انظر تخريج قول ابن مسعود في ص ٧٣ .

(٤) عبَّر عن هذا النوع ابن الجزري بقوله: اختلافهما جميعا مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد، بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد . النشر ١/ ٥٠ .

(٥) تقدم تخريجه .

أمثلة على اختلاف التنوع

وهـــذا [١] كـــما في القـــراءات المشـــهورة: (‘$Z/‹» /‘é‰ù)،و [h i Z

[ســبأ/١٩] [٢] ( )ãâ¬r& t/$ùs%$& t/¯«Žƒž$J $ãm‰»tr/$ \ ( ) [إِلَّآ ©يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا

حُدُودَ ٱللَّهِ Z [البقرة/٢٢٩] [٣] (r}bŠ .‰ cšB 6ò‰éd î‰ r&A)، [ ] ^

_ ` Z [٤] [إبـــــراهيم/٤٦]، و(/@ ã ££ðM|)، و(/@ ã ££ðM‹

) [٥] [الصافات/١٢] ونحو ذلك .

٤ - ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقا من وجه متباينا مـن وجـه [٦]

كقوله: (tb‰ã%q c) ، و (tbqã‰»y‚ c) [٧] [البقرة/٩]،و (f‚3ébqç

È‹Ç)،و (ãf‚3ébqç È‹Ç) [٨] [البقـــــــــــــرة] ، و (9»J ©ãä)،و(9»J ©ãä) [٩]

---

(١) ما سيذكره من أمثلة هو من النوع الثالث.

(٢) القراءة الأولى : قراءة الجماعة عدا ابن كثير وأبي عمرو وهشام، والقراءة الثانية قراءة: يعقوب، مع رفع {ربنا}. انظر: النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٤٤٣) .

(٣) تقدمت القراءة .

(٤) قرأ القراء كلهم عدا الكسائي بكسر الأولى ونصب الثانية، وقرأ الكسائي بفتح اللام الأولى ورفع الثانية . النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٣٣٨) .

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء، وقرأ الباقون بفتحها. انظر:النشر في القراءات العشر:(ج ٢ / ص ٤٤٩) .

(٦) عبر عن هذا النوع ابن الجزري بقوله: اختلافهما مع جواز اجتماعهما في شيء واحد . النشر ١ /٤٩ .

(٧) قرأ ابن عامر والكوفيون بفتح الياء وسكون الخاء وفتح الدال من غير ألف، والباقون بضم الياء وألف بعد الخاء وكسر الدال . انظر:النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٢٣٧) .

(٨) قرأ الكوفيون بفتح الياء وتخفيف الذال، وقرأ الباقون بالضم والتشديد . النشر في القراءات العشر:ج ٢ / ص ٢٣٧ .

(٩) قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير ألف فيهما، وقرأ الباقون فيهما بالألف . وكذا موضع المائدة .

=

[النساء/٤٣]،و (bèĝŏ ƒ Ǻm)،و] ~ يَطْهُرْنَ Z [1] [البقرة/٢٢٢]ونحو ذلك .

اختلاف الأصول لا علاقة له بالمعنى فلا تناقض بينها من باب أولى

§ وأما ما اتحد لفظه ومعناه، وإنما يتنوع صفة النطق به: كالهمزات، والمدَّات، والامالات، ونقل الحركات، والإظهار، والإدغام، والاختلاس، وترقيق اللامات والراءات، أو تغليظها، ونحو ذلك مما يسمى [2] القراءات: الأصول، فهذا أظهر وأبين في أنه ليس فيه تناقض ولا تضاد مما تنوع فيه اللفظ أو المعنى ؛ إذ هذه الصفات المتنوعة في أداء اللفظ لا تخرجه عن أن يكون لفظا واحدا .

اختلاف القراءات ليس من المترادف

§ ولا يعد ذلك فيما اختلف لفظه واتحد معناه، أو اختلف معناه من المترادف ونحوه» . اهـ [3]

قواعد في التعامل مع اختلاف القراءات [4]

§ «فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق .

§ وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية. [5]

= النشر في القراءات العشر - (ج٢ / ص ٢٨٣) .

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف وشعبة بتشديد الطاء والهاء، والباقون بتخفيفهما . النشر في القراءات العشر ج ٢ / ص ٢٥٩) .

(٢) كأن في الكلام سقطا، والساقط (في) .

(٣) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص٣٩١- ٣٩٢ .

(٤) هذه القواعد ذكرها بعينها ابن الجزري في النشر دون أن ينسبها لابن تيمية . انظر: ١ /٥١ .

(٥) وعبر عنها في موضع آخر بقوله : تنوع القراءات بمنزلة تعدد الآيات . وهذه القاعدة قررها في =

§ يجب الإيمان بها كلها، وإتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملا.

§ لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظنا أن ذلك تعارض، بل كما قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله » [(١)].

= أكثر من موضع، كما في مجموع الفتاوى: ١٢ / ٥٦٩، ١٥/ ٢٤٨، ١٧/ ٣٨١. والفتاوى الكبرى: ج ١ / ص ٣٦٣.

وهذه القاعدة ضابطها: وجود التعارض بينهما، وعدم إمكان اجتماعهما في شيء واحد، فتنزل القراءتين بمنزلة الآيتين. انظر: أضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٨.

(١) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص٣٩١.

الفصل الخامس:

البسملة وعلاقتها بالقراءات [1]

هل البسملة آية من الفاتحة؟ [2]

§ «تنازعوا في الفاتحة هل هي آية منها دون غيرها على قولين هما روايتان عن أحمد:

أحدهما: أنها من الفاتحة دون غيرها، وهذا مذهب طائفة من أهل الحديث أظنه قول أبى عبيد، واحتج هؤلاء بالآثار التي رويت في أن البسملة من الفاتحة، وعلى قول هؤلاء تجب قراءتها في الصلاة، وهؤلاء يوجبون قراءتها وإن لم يجهروا بها .

والثاني: أنها ليست من الفاتحة، كما أنها ليست من غيرها، وهذا أظهر .

من أدلة القول الثاني النقلية

- فإنه قد ثبت في الصحيح [3] عن النبي e عليه وسلم أنه قال يقول الله

(١) إنما ذكرت مبحث البسملة لوجود علاقة بينها وبين القراءات ولبيان هذه العلاقة يقال: إن الخلاف الفقهي في مسألة البسملة يرجع عند بعض المحققين إلى اختلاف القراءات، وإن حكم البسملة حكم الحروف المختلف فيها بين القراء، وقد أشار لذلك ابن تيمية كما سترى، وإذا أرجعنا الخلاف الفقهاء إلى اختلاف القراء استبان حينئذ حقيقة اختلاف الفقهاء، ولم يَعُد بَعْدُ اختلافهم مشكلا . وقد أدخل ابن الجزري في كتابه النشر اختلاف الفقهاء في البسملة مرجعا ذلك إلى اختلاف القراء .

(٢) انظر: مجموع الفتاوى : (ج ٢٢ / ص ٤٣٩) .

(٣) تقدم تخريجه .

تعـالى: {قَسَـمْتُ الصَّـلاةَ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي نِصْـفَيْنِ فَنِصْـفُهَا لِي وَنِصْـفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ الْعَبْـدُ (!$s ‰ôJ⊣ ' U Å$#è»=Üü šú) يَقُـولُ اللهُّ : حَمِـدَنِي عَبْـدِي يَقُـول الْعَبْـدُ (9$#q»H÷Ç9$#m‹Ïš Éó) يَقُولُ اللهُّ : أَثْنَـى عَـلَيَّ عَبْـدِي يَقُـولُ الْعَبْـدُ : (Î$ƒ , ‰Î7÷ètR $ƒÎr , S ÏG÷ètó üÚú) فَهَذِهِ الآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَـا سَـأَلَ يَقُـولُ الْعَبْـدُ : (Â‘ÅÀ$#ïü »èô M|ãyÿNî öÏî $#J9 ó ÷Àq Å U æøgÎô) وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ} . فلو كانت من الفاتحة لذكرها، كـما ذكر غيرها.

وقد روى ذكرها في حديث موضوع رواه عبد الله بن زياد بن سمعان، فذكره مثل الثعلبي في تفسيره، ومثل من جمع أحاديث الجهر، وأنها كلها ضعيفة أو موضوعة، ولو كانت منها لما كان للرب ثلاث آيات ونصف، وللعبد ثلاث ونصف .

وظاهر الحديث أن القسمة وقعت على الآيات، فإنه قـال: { فَهَـؤُلاءِ لِعَبْـدِي}، وهـؤلاء إشـارة إلى جمع فعلـم أن مـن قولـه: ($#d‰Ï$R$# 9Â‘ÅÀ) إلى آخرها ثلاث آيات، على قول من لا يعد البسملة آية منهـا، ومن عدها آية منها جعل هذا آيتين .

من الأدلة العقلية

- وأيضا فإن الفاتحة سورة من سور القرآن، والبسملة مكتوبة في أولها، فلا فرق بينها وبين غيرها من السور في مثل ذلك، وهذا من أظهر وجوه

الاعتبار.

- وأيضا فلو كانت منها لتليت في الصلاة جهرا، كما تتلى سائر آيات السورة». [١]

وقال في موضع آخر: « والفاتحة سبع آيات بالاتفاق، ثبت ذلك بقولـــــــه: (ÇÑÈ LìÀèàè##$b#äöàj##$r ’Î$VJ##$`Ï $Yèö7y™ 7»oY÷?#ä ô‰s)9r) [الحجر/٨٧]، وقد ثبت في الصحيح [٢] عن النبي e أنه قال: {فَاتِحَةُ الْكِتَابِ هِي السَّبْعُ الْمَثَانِي } .

الجمع بين القولين

§ وقد كان كثير من السلف يقول: البسملة آية منها ويقرؤها، وكثير من السلف لا يجعلها منها، ويجعل الآية السابعة: (Ïûøïà |MôèR&)، كما دل على ذلك حديث أبى هريرة الصحيح، **وكلا القولين حق فهي منها من وجه، وليست منها من وجه .**

والفاتحة سبع آيات من وجه تكون البسملة منها فتكون آية، ومن وجه لا تكون منها فالآية السابعة: (Ïûøïà |MôèR&) ؛ لأن البسملة أنزلت تبعا للسور ». [٣]

---

(١) الفتاوى الكبرى: ج ٢ / ص ١٨٢.

(٢) صحيح البخاري (مع الفتح)، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب، حديث رقم (٤٤٧٤) ج ٨/ ٦ .

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥١).

وكلامه الأخير فيه إشارة إلى ترجيح هذا القول والأخذ به مع أنه يخالف ما قرره من قبل من أن =

الخلاف في قراءة البسملة في الصلاة

§ «وحينئذ الخلاف أيضا في قراءتها في الصلاة ثلاثة أقوال :

أحدها : إنها واجبة وجوب الفاتحة، كمذهب الشافعي، وأحمد في إحدى الروايتين، وطائفة من أهل الحديث ؛ بناء على أنها من الفاتحة .

والثاني : قول من يقول : قراءتها مكروهة سرا وجهرا، كما هو المشهور من مذهب مالك.

والقول الثالث: إن قراءتها جائزة بل مستحبة، وهذا مذهب أبى حنيفة، وأحمد في المشهور عنه، وأكثر أهل الحديث .

وطائفة من هؤلاء يسوى بين قراءتها وترك قراءتها، ويخير بين الأمرين معتقدين أن هذا على إحدى القراءتين، وذلك على القراءة الأخرى ». [(١)]

رأي شيخ الإسلام اختيار القول الثالث

§ «وبهذا يتبين أن من قال من الفقهاء أنها واجبة على قراءة من أثبتها، أو مكروهة على قراءة من لم يثبتها فقد غلط، بل القرآن يدل على جواز الأمرين، ومن قرأ بإحدى القراءات لا يقال إنه كلما قرأ يجب أن يقرأ بها، ومن ترك ما قرأ به غيره لا يقول إن قراءة أولئك مكروهة، بل كل

= البسملة ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها .

وجوابا على ظاهر هذه المخالفة أن يقال: يظهر أن لشيخ الإسلام في المسألة قولين:

القول الأول: أنها ليست آية من الفاتحة .

القول الثاني: أنها آية من الفاتحة من وجه دون وجه، بمعنى أن الخلاف فيها راجع إلى اختلاف القراء فمنهم من يثبتها ومنهم من يحذفها .

(١) الفتاوى الكبرى: ج ٢ / ص ١٦٦.

ذلك جائز بالاتفاق وإن رجح كل قوم شيئا» .[1]

البسملة ليست من الفاتحة من كل وجه

§ «ثم وجوبها قد يبتنى على أنها من الفاتحة، وقد يقال بوجوبها وإن لم تكن من الفاتحة، كما يوجب الاستعاذة والاستفتاح، ولهذا لا يجعل الجهر بها تبعا لوجوبها، بل يوجبها ويستحب المخافتة بها، ولو كانت من الفاتحة من كل وجه لكان الجهر ببعض الفاتحة دون بعض بعيدا عن الأصول، فإذا جعلت منها من وجه دون وجه اتفقت الأدلة والأصول، وأعطى كل شيء من ذلك صفة، ولم يقل أنها من القرآن في أول الفاتحة، ولو كقول من لم يجعلها من القرآن في حال إلا في سورة النمل».[2]

الخلاف في البسملة أوائل السور وأدلة كل قول

§ «مسألة : في k j i هل هي آية من أول كل سورة ؟ أفتونا مأجورين .

الجواب : الحمد لله اتفق المسلمون على أنها من القرآن في قوله : (ÎçR¼ B̈ ` ÇM̀ÞJø« ` rÎçR¼ Î óÉ$ «!$S ôm Jã»$S !$Ç mÏŠÉ ÈÌÇ) [النمل] . وتنازعوا فيها في أوائل السور حيث كتبت على ثلاثة أقوال :

---

(١) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٤، وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

أحدها : إنها ليست من القرآن، وإنما كتبت تبركا بها، وهذا مذهب مالك، وطائفة من الحنفية، ويحكى هذا رواية عن أحمد، ولا يصح عنه، وإن كان قولا في مذهبه.

والثاني : إنها من كل سورة، إما آية، وإما بعض آية، وهذا مذهب الشافعي - رضي الله عنه.

والثالث : إنها من القرآن حيث كتبت آية من كتاب الله من أول كل سورة، وليست من السورة، وهذا مذهب ابن المبارك، وأحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وغيرهما، وذكر الرازي أنه مقتضى مذهب أبي حنيفة عنده، **وهذا أعدل الأقوال** [١] » [٢].

من أدلة القول الأول

§ «...فأما كونها آية من القرآن فقالت طائفة كمالك ليست من القرآن إلا في سورة النمل، والتزموا أن الصحابة أودعوا المصحف ما ليس من كلام الله على سبيل التبرك...

من أدلة القول الثاني

١ - وقالت طائفة منهم الشافعي [٣] ما كتبوها في المصحف بقلم المصحف

---

(١) وقال في مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥١: «وهذا قول جمهور العلماء في البسملة أنها آية من القرآن مفردة، وليست من السورة» .

(٢) الفتاوى الكبرى: ج ٢ / ص ١٨٢، ومجموع الفتاوى : (ج ٢٢ / ص ٢٧٦).

(٣) وقال في موضع آخر من مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٤٣٤: « ...كما هو المشهور من مذهب الشافعي، ومن وافقه، وقد نقل عن الشافعي أنها ليست من أوائل السور غير الفاتحة، وإنما يستفتح بها في السور تبركا بها ».

مع تجريدهم للمصحف عما ليس من القرآن إلا وهي من السورة، مع أدلة أخرى ». [(١)]

٢ - «والذين قالوا بقراءتها قد قال: (ÉOó™$$Î/ 7În/u‘ ï%©!$# “ {=, ÇÈ)

فهذا أمر لكل قارئ أن يقرأ باسم ربه، فإذا قيل: اذبح بسم الله، وكل بسم الله، واركب بسم الله فمعناه: ذكر اسم الله إذا فعلت ذلك، فلما قال: اقرأ باسم ربك كان أمرا للقارئ أن يذكر اسم الله فيقول: باسم الله، وهذا أولى من ذكر اسم ربه عند الذبح والأكل والشرب. وهنا قد أمر بالاستعاذة أيضا عند القراءة، وهو إذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم فقد امتثل ما أمر به فذكر اسم ربه إذا قرأ، وإنما لم يذكرها جبريل ابتداء ؛ لأنه بعد لم يتعلم شيئا من القرآن، لكن علمه هذا وأمره فيه بذكر اسم ربه إذا قرأ، فكان بعد هذا إذا قرأ السورة يقرأ: k j i ، كما ثبت في صحيح مسلم [(٢)] أنه قال:{ قد أنزل عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ k j i ($R¯) «Yøäã& $¯RÎ) ÇÈ Á ù@ 7În/u

$tRÎ) ÇÈ Î c ž ©$R¥ •š dèqR tFø&U ÇÌÈ }« [(٣)].

من أدلة القول الثالث

(آية من كل سورة وليست من السورة)

§ «فإن كتابتها في المصحف بقلم القرآن تدل على أنها من القرآن،

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٢/٤٠٦ .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٠) .

وكتابتها مفردة مفصولة عما قبلها وما بعدها تدل على أنها ليست من السورة، ويدل على ذلك:

أ- ما رواه أهل السنن [١] عن النبي e أنه قال : [إن سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي: (?6»•8$ß‰ " Ï>‰ĥ ß$tƁ7ă)] . وهذا لا ينافي ذلك فإن في الصحيح [٢] أن النبي e أغفى إغفاءة فقال: {نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ . فَقَرَأَ: i j k

(Ï$R‾&ã ÜŸ» •š$ß3ŏ0•) ، لأن ذلك لم يذكر فيه أنها من السورة، بل فيه أنها تقرأ في أول السورة، وهذا سنة فإنها تقرأ في أول كل سورة، وإن لم تكن من السورة .

ب- ومثله حديث ابن عباس : [كان رسول الله e لا يعرف فَصْلَ السورة حتى تنزل k j i] رواه أبو داود . [٣]

ففيه أنها نزلت للفصل، وليس فيه أنها آية منها، و(?6»•8$ß‰ " Ï>‰ĥ ß$tƁ7ă) ثلاثون آية بدون البسملة، ولأن العادِّين لآيات القرآن لم يعد أحد منهم البسملة من السورة » . [٤]

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٩٩، رقم ٧٩٦٢)، والترمذى (٥/١٦٤، رقم ٢٨٩١)، وقال: « حديث حسن ».

(٢) صحيح مسلم (مع النووي) ج ٤/١١٢ .

(٣) سنن أبي داود ١ / ص ٢٦٩، حدبث رقم (٧٨٨) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ج ٢ / ص ٢٨٨.

(٤) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٤٣٩)، و الفتاوى الكبرى - (ج ٢ / ص ١٨٢) .

ومن أدلة القول الثالث أيضاً

(آية من كل سورة وليست من السورة)

ج- «وثبت في الصحيح [1] أنـه أول مـا جـاء الملك بـالوحي قـال: (ù&#$ 7 ŝ'r ù&#$ÇÈ @ã ôB `»¡ S$,={ ÇÈ ,={ "‰$ 7 ĥ' Éó"$ . (ÇÎÈ ⊦èƒ Ó9 $B `»¡ S$O=æ ÇÍÈ É=)$ O=æ "‰$ÇÌÈ ã•ø{ $.

فهذا أول ما نزل، ولم ينزل قبل ذلك Î ó É$ «$ 9$q Ç$ 9$ mÏŠ É.

وثبت عنه في الصحيح [2] أنه قـال: {قَـالَ اللهُ تَعَـالَى قَسَـمْتُ الصَّـلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم: يَقُـولُ الْعَبْـدُ ($ s õ‰ ⊦ ' ÙÅ ($ è» =J ÜÏ šú) يَقُولُ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي يَقُـولُ الْعَبْـدُ ($ 9$q Ç$ 9$ mÏŠ É) يَقـولُ الله: أَثْنَـى عَـلَيَّ عَبْـدِي يَقُـولُ الْعَبْـدُ: (, ƒ$, Rè ç‰ r ƒ$, S ó GÈ ÜÏ Ùú) فَهَـذِهِ الآيَـةُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي وَلِعَبْـدِي مَـا سَـأَلَ يَقـولُ الْعَبْـدُ: ($ d‰ R$ 9$ Ç Ž ⊦ $ B Gó ÈÌ ÇÈ Å Ž ⊦ $ ‰ ï û ® è d M ã ø Ĝ N ö ï Î $ J ø ã ` q Ù Å ø Ĝ æ Ó r $ 9$ Ò $ j ü û ÇÈ) فَهَؤُلاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ}.

(وجه الدلالة)

فهذا الحديث صحيح صريح في أنها ليست مـن الفاتحـة، ولم يعارضـه

---

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٣) ج ١/ ٣٠.

(٢) صحيح مسلم (مع النووي) ج ٤/ ١٠١ .

حديث صحيح صريح. وأجود ما يرى في هذا الباب من الحديث إنما يدل على أنه يقرأ بها في أول الفاتحة لا يدل على أنها منها، ولهذا كان القراء منهم من يقرأ بها في أول السورة، ومنهم من لا يقرأ بها فدل على أن كلا الأمرين سائغ ». (١)

قول يُرْجِعُ الخلافَ في البسملة إلى اختلاف القراءات

وقال عند ذكره الخلاف بين من يقطع بخطأ من يثبت البسملة آية من القرآن في غير النمل، وبين من أنكر كونها من القرآن بالكلية إلا في النمل :

§ «وسواء قيل بالقطع في النفي، أو الإثبات فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي، ولا للمثبت، بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء إن كل واحد من القولين حق، وأنها آية من القرآن في بعض القراءات -وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين- وليست آية في بعض القراءات -وهي قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين -» (٢).

وقال في موضع آخر: «وقد قال طائفة: إنها من القرآن في قراءة دون قراءة ؛ لتواتر هذه القراءات، فيقال: المتواتر هو الأمر الوجودي، وهو ما سمعوه من القرآن من الصحابة وبلغوه عن الرسول، والقرآن في زمانه لم يكتب، ولا كان ترتيب السور على هذا الوجه أمرا واجبا مأمورا به من عند الله بل الأمر مفوض في ذلك إلى اختيار المسلمين -ولهذا كان لجماعة من

(١) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٢٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى: ج١٣ / ص ٣٩٩.

الصحابة لكل منهم اصطلاح في ترتيب سوره غير اصطلاح الآخر - وحينئذ فيكون الذين لا يقرءونها قد أقرأهم الرسول ولم يبسمل، وأولئك اقرأهم وبسمل، فهذا يدل على جواز الأمرين، وإن كان أحدهما أفضل لا يدل على أنها في أحد الحرفين ليست من القرآن، وأنه نهي عن قراءتها فإن هذا جمع بين النقيضين ! كيف يسوغ قراءتها والنهي عن قراءتها ؟ بل هذا يدل على جواز الأمرين كالحروف التي ثبتت في قراءة دون قراءة مثل: (Ë` $gÏtB) [1] [التوبة/١٠٠] ، ومثل: (ûÎb $# © dèq $#ÓÍ_óø $#ÜŠ%) [2] [الحديد/٢٤] فالرسول يجوز إثبات ذلك، ويجوز حذفه كلاهما جائز في شرعه»[3].

(**خلاصة رأي ابن تيمية**)

§ «البسملة آية من كتاب الله حيث كتبها الصحابة في المصحف ؛ إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن وجردوه عما ليس منه، كالتخميس والتعشير، وأسماء السور، ولكن مع ذلك لا يقال هي من السورة التي بعدها، كما أنها ليست من السورة التي قبلها، بل هي كما كتبت آية أنزلها الله في أول كل سورة، وان لم تكن من السورة، وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه

---

(١) قرأ ابن كثير بزيادة كلمة (من) وخفض تاء (تحتها)، وقرأ الباقون بحذف لفظ: من، وفتح التاء . النشر في القراءات العشر : ج٢/ص ٣١٥ .

(٢) قرأ نافع، وأبو جعفر وابن عامر بغير (هو)، وقرأ الباقون بزيادة (هو) . النشر في القراءات العشر:ج ٢ / ص ٤٢٤.

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٣.

المسألة »[١].

وقال في الاختيارات العلمية[٢] : «والبسملة آية منفردة فاصلة بين السور ليست من أول كل سورة لا الفاتحة ولا غيرهما، وهذا ظاهر مذهب أحمد» .[٣]

أيهما أفضل من أتى بالبسملة أو من تركها ؟

§ «لكن من قرأ بها كان قد أتى بالأفضل، وكذلك من كرر قراءتها في أول كل سورة كان أحسن ممن ترك قراءتها.

(١) مجموع الفتاوى: ج١٣ / ص ٣٩٩، وج٢٢ / ص ٣٥٠.

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى - (ج ٥ / ص ٣٣٢) .

(٣) هذا هو خلاصة رأي شيخ الإسلام في البسملة .

وقد ذهب ابن الجزري وبعض المحققين من أهل العلم كابن حزم، والسيوطي، والأمين الشنقيطي وغيرهم إلى ترجيح إرجاع الخلاف في البسملة إلى اختلاف القراء، وأن حكم البسملة حكم الحروف المختلف فيها بين القراء، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها آية وهم: (قالون وابن كثير، وعاصم والكسائي، وأبو جعفر)، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها، وهم الباقون: (ورش وأبو عمرو وابن عامر وحمزة، وخلف العاشر، ويعقوب)، والاختلاف في العدد كالاختلاف في أوجه القراءات . وهو الراجح .

قال ابن الجزري: « وهذه الأقوال ترجع إلى النفي والإثبات، والذي نعتقده أن كليهما صحيح، وأن كل ذلك حق، فيكون الاختلاف فيها كاختلاف القراءات» . اهـ من النشر في القراءات العشر - (ج ١ / ص ٣٠٩) .

وقال صاحب المراقي :

وبعضهم إلى القراءة نظر وذاك للوفاق رأي معتبر

انظر: شرح مراقي السعود للأمين للشنقيطي ١ /٦٩، والمحلى - (ج ٣ / ص ٢٥٣)، والإتقان في علوم القرآن - (ج ١ / ص٨١، والمذكرة في أصول الفقه ص ٦٦.

علة التفضيل

§ لأنه قرأ ما كتبته الصحابة في المصاحف، فلو قدر أنهم كتبوها على وجه التبرك لكان ينبغي أن تقرأ على وجه التبرك، وإلا فكيف يكتبون في المصحف مالا يشرع قراءته، وهم قد جردوا المصحف عما ليس من القرآن، حتى أنهم لم يكتبوا التأمين، ولا أسماء السور، ولا التخميس والتعشير، ولا غير ذلك مع أن السنة للمصلي أن يقول عقب الفاتحة آمين، فكيف يكتبون مالا يشرع أن يقوله ؟ ! وهم لم يكتبوا ما يشرع أن يقوله المصلي من غير القرآن، فإذا جمع بين الأدلة الشرعية دلت على أنها من كتاب الله، وليست من السورة». [1]

خطأ من يوجب البسملة على قراءة من يثبتها، ويكرهها على قراءة من لا يثبتها

§ «وبهذا يتبين أن من قال من الفقهاء أنها واجبة على قراءة من أثبتها، أو مكروهة على قراءة من لم يثبتها فقد غلط، بل القرآن يدل على جواز الأمرين، ومن قرأ بإحدى القراءات لا يقال أنه كلما قرأ يجب أن يقرأ بها، ومن ترك ما قرأ به غيره لا يقول إن قراءة أولئك مكروهة، بل كل ذلك جائز بالاتفاق ، وإن رجح كل قوم شيئا» . [2]

---

(١) مجموع الفتاوى: ج ٢٢ / ص ٢٧٨.

(٢) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٤، وما بعدها .

الفصل السادس :

القراءات الشاذة

مسألة : هل الشاذ كان قرآنا فنسخ ؟

§ «والقراءة الشاذة مثل ما خرج عن مصحف عثمان كقراءة من قرأ: {الحي القَيَّامُ} [(١)]، و{صراط من أنعمت عليهم } [(٢)]، و{إن كانت إلا زَقْيَةٌ واحدة } [(٣)]، {والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، والذكر والأنثى} [(٤)]، وأمثال ذلك فهذه إذا قرئ بها في الصلاة ففيها قولان مشهوران للعلماء هما روايتان عن الإمام أحمد أحدهما: تصح الصلاة بها، لأن الصحابة الذين قرؤوا بها كانوا يقرؤونها في الصلاة، ولا ينكر عليهم .

والثاني: لا، لأنها لم تتواتر إلينا، وعلى هذا القول فهل يقال إنها كانت قرآنا فنسخ ؟

ولم يعرف من قرأ إلا بالناسخ، أو لم تنسخ، ولكن كانت القراءة بها جائزة لمن ثبتت عنده، دون من لم تثبت ؟ أو لغير ذلك ؟ هذا فيه نزاع

---

(١) وهي قراءة المُطَّوِّعي أحد رواة الشاذ عن الأعمش. انظر: شواذ القراءات للكرماني ص ٩٧، والمحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة ج١ /١٥١ .

(٢) سورة الفاتحة [٧] . هي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . انظر : مختصر شواذ القراءة لابن خالويه ص ٩، وشواذ القراءات للكرماني ص ٤٥ .

(٣) سورة يس [٢٩] . وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه . انظر : مختصر شواذ القراءة لابن خالويه ص ٢٥، وشواذ القراءات للكرماني ص ٣٩٩ .

(٤)سورة الليل [١-٣] . وهي قراءة ابن مسعود، وأبي الدرداء . انظر: جزء فيه قراءات النبي صلى الله عليه وسلم ص ١٧٦ .

مبسوط في غير هذا الموضع» .[1]

بعض القراءات الشاذة كانت ثابتة لدى بعض الأئمة

§ « القراءات الثابتة عن أئمة القراء -كالأعمش [2]، ويعقوب، وخلف، وأبى جعفر يزيد ابن القعقاع، وشيبة بن نصاح ونحوهم - هي بمنزلة القراءات الثابتة عن هؤلاء السبعة عند من ثبت ذلك عنده، كما ثبت ذلك، وهذا أيضا مما لم يتنازع فيه الأئمة المتبوعون من أئمة الفقهاء والقراء وغيرهم ».[3]

وقال في موضع آخر[4]: «والقراءة المعروفة عن السلف الموافقة للمصحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة، ولا فرق عند الأئمة بين قراءة: أبي جعفر ويعقوب وخلف، وبين قراءة حمزة، والكسائي، وأبى عمرو، و[أبي] [5] نُعَيم ».

(١) مجموع الفتاوى : (ج ١٢ / ص ٥٧٠) .

وقد فرق في موضع لاحق بين ما هو من الحروف السبعة، وما نسخت تلاوته عند إيراده للقراءة الشاذة {ولا مُحَدَّث}، فقال: «هذه القراءة إذا ثبت أنها قراءة فلا يعرف لفظ بقية سائر الكلام معها كيف كان، فإنها بتقدير صحتها، إما من الحروف السبعة، وإما مما نسخت تلاوته» .

فكأنه يميل إلى أن ما خرج عن مصحف عثمان لم ينسخ، فالقراءة بها جائزة لمن ثبتت عنده، دون من لم تثبت . والله أعلم .

(٢) قراءة الأعمش وشيبة بن نصاح كانت متواترة في فترة من الزمن ثم أصبحت بعد ذلك في عداد الشاذ . وتقدم التعليق على هذه المسألة ص ٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى : (ج ١٣ / ص ٤٠١) .

(٤) مجموع الفتاوى : (ج ١٢ / ص ٥٦٩) .

(٥) كلمة (أبي) ساقطة من الأصل . وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رُوَيم أحد القراء =

من أنواع الشاذ ما خالف الرسم [١]

§ «والقراءة الشاذة مثل ما خرج عن مصحف عثمان كقراءة من قرأ: {الحي القَيَّامُ} [٢] ... وأمثال ذلك ....» [٣].

عرض للخلاف فيما خرج عن التواتر هل يعدُّ قرآنا أم لا؟ [٤]

§ فصل في قوله تعالى: (ö@è & îöŽ$# «! $# ä|B& ¤ßr $ù$Û9$# Ì»J¡q»N $# ö¤F Ç`Ù qè#r

ãÖèt7sù ßr ãÖè7 è@ è@ pÉòu ß:Jt & ÏNt & 2àq c š & Ar B ô & ø'='O r~ø

? 6àq ð ú ß `$# 8BÎ ûüÏ ÈÏ( ) [الأنعام] .

القراءة المتواترة التي يقرأ بها جماهير المسلمين قديما وحديثا وهي قراءة العشرة وغيرهم (qè#r ãÖè7ßr ãÖè7pÉ). وروي عن طائفة أنهم قرؤوا:

= السبعة، ويقال: أبو نعيم. انظر: غاية النهاية لابن الجزري ٢/٣٣٠.

وقد فرق في موضع لاحق بين ما هو من الحروف السبعة، وما نسخت تلاوته عند إيراده للقراءة الشاذة {ولا مُحَدَّث}، فقال: «هذه القراءة إذا ثبت أنها قراءة فلا يعرف لفظ بقية سائر الكلام معها كيف كان، فإنها بتقدير صحتها، إما من الحروف السبعة، وإما مما نسخت تلاوته».

فكأنه يميل إلى أن ما خرج عن مصحف عثمان لم ينسخ، فالقراءة بها جائزة لمن ثبتت عنده، دون من لم تثبت. والله أعلم.

(١) وجدت لبعض من كتب في الشاذ أن الضابط فيه: مخالفته للرسم، وينسب ذلك الضابط لشيخ الإسلام، والصواب: أن شيخ الإسلام ذكر نوعا من أنواع الشاذ: وهو ما خالف الرسم. وعليه فالشاذ أنواع منه ما خالف الرسم، ومنه ما وافقه.

(٢) تقدمت آنفا.

(٣) مجموع الفتاوى: (ج ١٢ / ص ٥٧٠).

(٤) عرض شيخ الإسلام الخلاف بين الفريقين ولم يفصل بينهما هنا، وقد عُلِم مما سبق اشتراطه التواتر في القراءة. فلا يعد قرآنا إلا ما كان متواترا. انظر: ص ٢١.

{وهو يُطْعِمُ ولا يَطْعَم} بفتح الياء .

قال أبو الفرج [1] : وقرأ عكرمة والأعمش : {ولا يَطْعَم} بفتح الياء.

قال الزجاج : وهذا الاختيار عند البُصراء بالعربية، ومعناه: وهو يَرْزُق ويُطْعِمُ، ولا يأكل .

قلت: الصواب المقطوع به : أن القراءة المشهورة المتواترة أرجح من هذه ...وأيضا فللناس في مثل هذه القراءة وأمثالها مما لم يتواتر **قولان**:

منهم من يقول: هذه يشهد بأنها كذب، قالوا: وكل ما لم يقطع بأنه قرآن فإنه يقطع بأنه ليس بقرآن .

قالوا: ولا يجوز أن يكون قرآن منقولا بالظن، وأخبار الآحاد، فإنا إن جوزنا ذلك جاز أن يكون ثمَّ قرآن كثير غير هذه لم يتواتر .

قالوا : وهذا مما تحيله العادة، فإن الهمم والدواعي متوفرة على نقل القرآن، فكما لا يجوز اتفاقهم على نقل كذب ؛ لا يجوز اتفاقهم على كتمان صدق .

فعلى قول هؤلاء: يقطع بأن هذه وأمثالها كذب فيمتنع أن يكون أفضل من القرآن الصدق .

والقول الثاني :

قول من يُجَوِّز أن تكون هذه قرآنا، وإن لم ينقل بالتواتر، وكذلك يقول

(١) ابن الجوزي في زاد المسير ٣/١١ . والقراءة بفتح الياء شاذة . انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ص ٤٢ .

هؤلاء في كثير من الحروف التي يُقرأ بها في السبعة والعشرة لا يشترط فيها التواتر، وقد يقولون: إن التواتر منتف فيها، أو ممتنع فيها .

ويقولون : المتواتر الذي لا ريب فيها ما تضمنه مصحف عثمان من الحروف، وأما كيفيات الأداء مثل: تليين الهمزة، ومثل الإمالة، والإدغام فهذه مما يسوغ للصحابة أن يقرؤوا فيها بلغاتهم لا يجب أن يكون النبي e تلفظ بهذه الوجوه المتنوعة كلها.

بل القطع بانتفاء هذا أولى من القطع بثبوته، وما كان تلفظه به على وجهين كلاهما صحيح المعنى مثل قوله: (bqèJè? $Bã @ÿ»óÎ ª! $$Br) ، و (c qèJèf) (1) [البقرة/٧٥]، وقوله: (Wî b& $ù$f† $JŠÉãž)] إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ Z [البقرة/٢٢٩] (2) فهذه يكتفى فيها بالنقل الثابت، وإن لم يكن متواترا، كما يكتفى بمثل ذلك في إثبات الأحكام والحلال والحرام، وهو أهم من ضبط الياء والتاء، فإن الله سبحانه وتعالى ليس بغافل عمّا يعمل المخاطبون ولا عمّا يعمل غيرهم، وكلا المعنيين حق قد دل عليه القرآن في مواضع، فلا يضر ألا يتواتر دلالة هذا اللفظ عليه، بخلاف الحلال والحرام الذي لا يعلم إلا بالخبر الذي ليس بمتواتر...». (3)

---

(1) قرأ ابن كثير بالغيب، والباقون بالخطاب . النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٢٤٨) .

(2) قرأ بضم الياء : أبو جعفر ويعقوب وحمزة، والباقون بفتحها . انظر: النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٣١٢) .

(3) انظر: جامع المسائل، جمع الشيخ : محمد عزيز شمس، المجموعة الأولى ص١٠٩ .

أكثر العلماء على الاحتجاج بالقراءة الشاذة صحيحة السند

§ «ومثله احتجاج أكثر العلماء بالقراءات التي صحت [١] عن بعض الصحابة ، مع كونها ليست في مصحف عثمان رضي الله عنه، فإنها تضمنت عملا وعلما، وهي خبر واحد صحيح فاحتجوا بها في إثبات العمل، ولم يثبتوها قرآنا، لأنها من الأمور العلمية التي لا تثبت إلا بيقين [٢] » . [٣]

القراءة الشاذة غير صحيحة السند لا يحتج بها

§ «قال تعالى: ($Br $Zü™ö& `Ë 7î6% `Ë §ßqÅ rŸw ŒÉ@Ï ŵ) Éê #? J_@ô ×+'

$9œÜß»ÉÎpbéZ•Gïiè¾ ùY< ¡ |ãa$! ª B$ãÅ'$9œÜß»èÏ ãt 6ÅãS$! ª ä#f»Gïi¾

$! ª æîŠÏ mÅŠÒ ÈËÎÇ) [الحج].

---

(١) من يحتج بالقراءة الشاذة يحتج بها بشروط، والشرط المتفق عليه بينهم: صحة الإسناد .

قال صاحب شرح الكوكب المنير: ج ١ / ص ٣٥٧ : « وما صح مما لم يتواتر حجة عند أحمد، وأبي حنيفة، والشافعي » .

ويزيد أبو حنيفة: أن تكون مشهورة، كما في كشف الأسرار للبزدوي : ج ٤ / ص ١٦٤، والشافعي أن لا تخالف الرسم، ولا يوجد غيرها أقوى منها، كما في البحر المحيط للزركشي: ٢ /ص ١٢٣ .

ومن أصحاب الشافعي من اشترط شرطا آخر، وهو أن يقرأها قارئها على أنها قرآن، لا على أنها تفسير، ومنهم من اشترط أن يضيفها القارئ إلى القرآن، أو إلى السماع من النبي e . انظر: البحر المحيط للزركشي: ٢ / ص ١٢٤ .

(٢) قوله : « ولم يثبتوها قرآنا ؛ لأنها من الأمور العلمية التي لا تثبت إلا بيقين» . اهـ فيه إشارة إلى اشتراطه التواتر في القراءات.

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٠ / ص ٢٦٠.

فإن قيل ففي قراءة ابن عباس: {ولا مُحَدَّث} [(١)] قيل هذه القراءة ليست متواترة، ولا معلومة الصحة، ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين .

وإن كانت صحيحة فالمعنى أن المحدث كان فيمن كان قبلنا، وكانوا يحتاجون إليه، وكان ينسخ ما يلقيه

الشيطان وإليه كذلك، وأمة محمد e لا تحتاج إلى غير محمد e ...»[(٢)]

وقال في الصفدية [(٣)] : «...فإنه أخبر بعصمة ما جاءت به الأنبياء، ونسخ ما يلقيه الشيطان من الباطل في أمنياتهم فإن قيل ففي قراءة ابن عباس{ أو مُحَدَّث }، وبهذا احتج الحكيم الترمذي وغيره، قيل:

أولاً: هذه القراءة إذا ثبت أنها قراءة فلا يعرف لفظ بقية سائر الكلام معها كيف كان، فإنها بتقدير صحتها، إما من الحروف السبعة، وإما مما نسخت تلاوته، وعلى التقديرين فيجوز أن يكون نظم سائر الآية كان على وجه لا يدل على عصمة المحدَّث... [(٤)] » .

حكم الصلاة بالشاذ الخارج عن رسم المصحف

§ «وأما القراءة الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني، مثل: قراءة بن مسعود، وأبى الدرداء رضي الله عنهما: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى (٣) } [الليل/١-٤]، كما قد ثبت

(١) هذه القراءة الشاذة ذكرها للرد على من يحتج بها على عصمة المحدث .

(٢) العقيدة الأصفهانية - (ج ١ / ص ١٥٨) .

(٣) ج ١ / ص ٢٥٦.

(٤) انظر بقية كلامه في رده على من جعل المحدَّث والولي معصوما .

ذلك في الصحيحين [(١)]، ومثل قراءة عبد الله: { فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ متتابعات} [المائدة/٨٩] [(٢)]،وكقراءته: (إِنْ كَانَتْ إِلا زَقْيَةٌ وَاحِدَةً} [يس/٢٩] [(٣)]، ونحو ذلك فهذه -إذا ثبتت عن بعض الصحابة- فهل يجوز أن يقرأ بها في الصلاة ؟

على قولين للعلماء هما روايتان مشهورتان عن الإمام أحمد وروايتان عن مالك:

إحداهما: يجوز ذلك ؛ لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرؤون بهذه الحروف في الصلاة .

والثانية: لا يجوز ذلك، وهو قول أكثر العلماء . [(٤)]

من حجج المانعين

- لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي ﷺ ، وإن ثبت فإنها منسوخة بالعرضة الآخرة. فإنه قد ثبت في الصحاح عن عائشة، وابن عباس رضي الله عنهم أن جبريل عليه السلام كان يعارض النبي ﷺ بالقرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين[(٥)] . والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب التفسير، تفسير سورة الليل، باب وما خلق الذكر والأنثى، حديث رقم (٤٩٤٤) ج٨/ ٥٧٧. وصحيح مسلم (مع النووي) ج ٦/ ١١٠ .

(٢) انظر: شواذ القراءات للكرماني ص ١٦٠ .

(٣) انظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ص ١٢٥ .

(٤) وانظر كذلك: مجموع الفتاوى : (ج ١٢ / ص ٥٧٠) .

(٥) الحديث أخرجه البخاري (مع الفتح) كناب الاستئذان :باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم =

أمر الخلفاء الراشدون: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي بكتابتها في المصاحف .

أصل النزاع في مسألة الصلاة بالقراءة الشاذة

§ وهذا النزاع لابد أن يبنى على الأصل الذي سأل عنه السائل، وهو: أن القراءات السبعة هل هي حرف من الحروف السبعة أم لا؟ [١]... ».[٢].

ومن حجج المجيزين الصلاة بالقراءة الشاذة

§ «ثم من جوز القراءة بما يخرج عن المصحف مما ثبت عن الصحابة قال يجوز ذلك ؛ لأنه من الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها .

ومن حجج المانعين أيضا

ومن لم يجوزه فله ثلاثة [٣] مآخذ:

§ تارة يقول ليس هو من الحروف السبعة.

§ وتارة يقول هو من الحروف المنسوخة .

§ وتارة يقول هو مما انعقد إجماع الصحابة على الإعراض عنه .

§ وتارة يقول لم ينقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن، وهذا هو الفرق بين المتقدمين والمتأخرين .

= يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به، حديث رقم (٦٢٨٦) ج١١ /٨٢ . ومسلم (مع النووي) في فضائل فاطمة رضي الله عنها، ج١٦ /٥ .

(١) الجواب عن هذا السؤال ذكره هنا تفصيلا، وقد رأيت نقله إلى فصل سابق وهو: المسائل المتعلقة بالحروف السبعة ص ٢٧.

(٢) الفتاوى الكبرى: ج ٤ / ص ٤١٤.

(٣) يظهر أنها أربعة، والله أعلم .

قول ثالث في حكم الصلاة بالشاذ:

§ ولهذا كان في المسألة قول ثالث -وهو اختيار جدي أبى البركات-: أنه إن قرأ بهذه القراءات في القراءة الواجبة -وهي الفاتحة - عند القدرة عليها لم تصح صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أدى الواجب من القراءة ؛ لعدم ثبوت القرآن بذلك، وإن قرأ بها فيما لا يجب لم تبطل صلاته ؛ لأنه لم يتيقن أنه أتى في الصلاة بمبطل ؛ لجواز أن يكون ذلك من الحروف السبعة التي أنزل عليها .

القول الثالث مبني على أصل

وهذا القول ينبني على أصل، وهو أن ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها [(١)] ؟... » . [(٢)]

اختيار شيخ الإسلام في مسألة الصلاة بالقراءة الشاذة

§ قال في الاختيارات العلمية [(٣)] : «وما خالف المصحف وصح سنده صحت الصلاة به، وهذا نص الروايتين عن أحمد» . [(٤)]

---

(١) الجواب عن هذا السؤال ذكره هنا تفصيلا، وقد رأيت نقله إلى فصل سابق وهو : المسائل المتعلقة بالحروف السبعة ص ٣٠.

(٢) مجموع الفتاوى: ج ١٣ / ص ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) انظر: الفتاوى الكبرى: ج ٥ / ص ٣٣٤. وانظر: شرح الكوكب المنير - (ج ١ / ص ٣٥٦).

(٤) مذهب جمهور العلماء ومنهم القراء عدم جواز القراءة في الصلاة بالشاذ، وقد قطع القول فيها ابن الجزري فقال: « واعلم أن الخارج عن السبع المشهورة على قسمين: منه ما خالف رسم المصحف ؛ فهذا لا شك في أنه لا تجوز قراءته لا في الصلاة ولا في غيرها » اهـ من المنجد ص ١٧٠ . وقد بسط القول في هذه المسألة فانظر المنجد من ص ٨٢-٨٦ .

الفصل السابع

مسائل تتعلق بكيفية قراءة القراءات

حكم الخلط بين القراءات في الصلاة وخارجها [(١)]

---

(١) المقصود بالخلط بين القراءات: التنقل بين الكلمات، أو الآيات من قراءة إلى أخرى حسبما يشاء القارئ من الروايات دون إعادة، ولا عطف لأوجه الخلاف . ويسمى عند البعض بـ(تلفيق القراءات)، أو (تركيب القراءات) .

وتركيب القراءات لا يخلو:

-إما أن يترتب عليه اختلال في المعنى وبناء الكلام .

-أو يكون في مقام الرواية .

-أو يخلو مما سبق .

فإن ترتب عليه إخلال بالمعنى واختلال بناء الكلام –قد مثل العلماء لذلك بأمثلة تجدها في النشر وغيره- أو كان في مقام الرواية فإن كلمة العلماء متفقة على تحريم ذلك، وقد صرح بالمنع من ذلك: ابن الحاجب، وأبي شامة، والجعبري، وابن الجزري وغيرهم .

ومن أطلق الجواز، كابن تيمية فإن عدم ذكره للقيد لا يعني عدم التقييد به ؛ إذ هذان القيدان لا يتصور أن يختلف عليها أحد. فأما الإخلال بالمعنى فواضح حكمه، وأما إن كان في مقام الرواية -بمعنى أن يركب قراءة ثم ينسبها إلى راو من الرواة ويعلمها غيره على أنها رواية فلان- فإن ذلك يعتبر كذبا.

وشرط عدم الإخلال بالمعنى واختلال بناء الكلام يلزم منه أن يكون القارئ عالما بما يقرأ، وهو شرط معتبر لا يختلف عليه وإن لم يذكره المجيزيون .

ومن هذا المنطلق فلا يُظن أن أحدا من العلماء يجيز التركيب من غير قيد ولا شرط .

وإذا خلا التركيب من المحظورين السابقين فإن العلماء اختلفت آراؤهم ما بين مجيز وهم الأكثر، أو حاكم بالمنع، أو بالكراهة، أو بخلاف الأولى، أو واصف ذلك بالعيب .

ومذهب ابن الجزري الجواز إلا في حق العلماء فمعيب –خلاف الأولى- ؛ من جهة استوائهم بالعامة . انظر في هذه المسألة: النشر ١/ ١٩، وفتح الباري ٩/ ٣٥، وغيث النفع ص ٥٦، ومبحث تركيب القراءات من كتاب : القراءات القرآنية ص ٢٢١ لعبد الحليم قابة فقد استوفاها بحثا، ومنه لخصت .

§ «وسئل عن رجل يصلى بقوم وهو يقرأ بقراءة الشيخ أبى عمرو، فهل إذا قرأ لورش، أو لنافع باختلاف الروايات مع حمله قراءته لأبى عمرو يأثم ؟ أو تنقص صلاته ؟ أو ترد ؟

فأجاب: يجوز أن يقرأ بعض القرآن بحرف أبى عمرو، وبعضه بحرف نافع، وسواء كان ذلك في ركعة، أو ركعتين، وسواء كان خارج الصلاة، أو داخلها، والله أعلم». [(١)]

حكم جمع القراءات خارج الصلاة وداخلها [(٢)]

§ «وسئل أيضا عن جمع القراءات السبع هل هو سنة أم بدعة ؟ وهل

(١) مجموع الفتاوى : (ج ٢٢ / ص ٤٤٥).

(٢) المقصود بالجمع : أن يجمع القارئ بين أكثر من رواية وذلك بعطفه لأوجه الخلاف في الموضع الواحد دون تكرار سالكا طريقة من طرق الجمع المعروفة .

ولا نزاع أن الجمع لم يكن معروفا إلا في أواخر القرن الرابع في تاريخ أقصاه قبيل سنة ٣٨١هـ في عصر ابن مهران، وقد كان عادة من سبق إفراد كل قارئ بختمة .

ولا يعلم على وجه التحديد مبتكر طريقة الجمع . وسبب ظهوره: ما يلزم من إفراد كل راو بختمة من طول الوقت، وملازمة طويلة للمقرئين فالقارئ حتى يقرأ بالقراءات العشر الصغرى إفرادا يلزمه أن يختم القرآن على شيخه عشرين ختمة بعدد الرواة، وقل مثل ذلك إذا أراد أن يختم بالعشر الكبرى . وهو أمر تقصر عنه همم الكثيرين مما دعا إلى تناقص عدد المشتغلين بدراسة القراءات، فلهذا السبب وفق علماء القراءات إلى ابتكار طريقة (جمع القراءات) يتحقق من خلالها الإلمام بعلم القراءات، والإتيان عليه في وقت أقل . ولا يزال العمل به إلى عصرنا الراهن .

والجمع من المسائل المختلف فيها بين مانع بإطلاق دون تفريق بين حالة التلقي وغيرها، وبين مجيز بإطلاق، ومذهب جمهور القراء الجواز حال التلقي لأجل الدرس والحفظ . وأما الجمع لأجل التلاوة والتدبر فممنوع.

انظر بتوسع في حكم الجمع كتاب: الجمع بالقراءات المتواترة، وهي رسالة (دكتوراة) للدكتور: فتحي السيد.

جمعت على عهد رسول الله e أم لا ؟ وهل لجامعها مزية ثواب على من قرأ برواية أم لا ؟

فأجاب: الحمد لله أما نفس معرفة القراءة وحفظها فسنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، فمعرفة القراءات - التي كان النبي e يقرأ بها، أو يقرهم على القراءة بها، أو يأذن لهم وقد أقروا بها - سنة، والعارف في القراءات الحافظ لها له مزية على من لم يعرف ذلك، ولا يعرف إلا قراءة واحدة . وأما جمعها في الصلاة أو في التلاوة فهو بدعة مكروهة، وأما جمعها لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف في القراءة». (١)

الجمع بين القراءات في الصلاة بدعة

§ وقال في موضع آخر: (٢) «ومن المتأخرين من سلك في بعض هذه الأدعية والأذكار التي كان النبي e يقولها ويعملها بألفاظ متنوعة - ورويت بألفاظ متنوعة - طريقة محدثة بأن جمع بين تلك الألفاظ واستحب ذلك، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها ، مثاله الحديث الذي في الصحيحين(٣) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : {يا رسول الله ! عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي قَالَ « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَبِيرًا، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ

---

(١) مجموع الفتاوى: ج١٥ /ص٢٤٨.

(٢) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٤٥٨)، والفتاوى الكبرى - (ج ٢ / ص ١٩٠)

(٣) صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام، حديث رقم (٨٣٤) ج٢/ ٣٧٠ . وصحيح مسلم (مع النووي) ج ١٧ /٢٧ .

أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ».}

قد روي{ كثيرا }، وروي:{ كبيرا } فيقول هذا القائل : يستحب أن يقول: كثيرا كبيرا . وكذلك إذا روي :{اللَّهُمّ صَل عَلَى مُحَمدٍ وعلى آل محمدٍ } (١)، وروي:{اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ } (٢)، وأمثال ذلك، وهذه طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين .

وطرد هذه الطريقة أن يذكر التشهد بجميع هذه الألفاظ المأثورة، وأن يقال : الاستفتاح بجميع الألفاظ المأثورة، وهذا مع أنه خلاف عمل المسلمين لم يستحبه أحد من أئمتهم، بل عملوا بخلافه فهو بدعة في الشرع، فاسد في العقل .

أما الأول : فلأن تنوع ألفاظ الذكر والدعاء، كتنوع ألفاظ القرآن مثل: (?bqèJè)، (c qèJèf) (٣) [البقرة/٧٥] و(باعدوا) و(بعدوا)(٤)، (ä-ã ®r) [/ Z(٥) [المائدة/٦]، ومعلوم أن المسلمين متفقون

---

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، باب إن الله وملائكته يصلون على النبي، حديث (٤٧٩٨) ج٨/ ٣٩٢ .

(٢) صحيح البخاري - (مع الفتح) كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون : النسلان في المشي، حديث (٣٣٦٩) ج ٦/ ٤٦٩.

(٣) تقدمت القراءة .

(٤) هكذا رسمت في مجموع الفتاوى، ولعله تصحيف، والصواب:] i Z ،و] i Z [سبأ/ ١٩]، وقد تقدمت .

(٥) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص بنصب اللام، والباقون بالخفض . النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٢٨٧) .

على أنه لا يستحب للقارئ في الصلاة، والقارئ عبادة وتدبرا خارج الصلاة أن يجمع بين هذه الحروف، إنما يفعل الجمع بعض القراء بعض الأوقات ؛ ليمتحن بحفظه للحروف وتمييزه للقراءات، وقد تكلم الناس في هذا .

وأما الجمع في كل القراءة المشروعة المأمور بها فغير مشروع باتفاق المسلمين، بل يخير بين تلك الحروف، وإذا قرأ بهذه تارة وبهذه تارة كان حسنا...» . اهـ

وقال في موضع آخر: [(١)] «..ولا يجمع بين لفظي: كبير، وكثير، بل يقول هذا تارة، وهذه تارة، وكذا المشروع في القراءات السبع أن يقرأ هذه تارة، وهذه تارة لا الجمع بينهما» .

وقال في موضع آخر: «ومعلوم أنه لا يمكن المكلف أن يجمع في العبادة المتنوعة بين النوعين في الوقت الواحد، ولا يمكنه أن يأتي بتشهدين معا، ولا بقراءتين معا، ولا بصلاتي خوف معا، وإن فعل ذلك مرتين كان ذلك منهيا عنه، فالجمع بين هذه الأنواع محرم تارة، ومكروه أخرى، ولا تنظر إلى من قد يستحب الجمع في بعض ذلك، مثل ما رأيت بعضهم قد لفق ألفاظ الصلوات على النبي e ...وكذلك يقول في أشباه هذا، فإن هذا ضعيف.

فإن هذا **أولا**: ليس سنة، بل خلاف المسنون فإن النبي e لم يقل ذلك

(١) الفتاوى الكبرى: ج ٥ / ص ٣٣١) .

جميعه جميعا، وإنما كان يقول هذا تارة، وهذا تـارة، إن كـان الأمـران ثـابتين عنه فالجمع بينهما ليس سنة بل بدعة، وإن كان جائزا .

الثاني: أن جمع ألفاظ الدعاء، والذكر الواحد على وجه التعبد، مثل جمع حروف القراء كلهم، لا على سبيل الدرس والحفظ، لكن على سبيل التلاوة والتدبر مع تنوع المعاني، مثل: أن يقرأ في الصلاة (Î' èqè/Nĝ ŒN• ÛÖ

(ÇÈ bqç/É3f ÷qè. $JÎ ØŠÏ& ë#‹ã óÓg9r $Ê•B ª! $ ÑdŠ#"ù

و(ÇÈ bqç/É3f) (/ ÷è»ô ûü$ýŠÏ$Ff) ،و [i j k Z

[سبأ/١٩] (rB !ª ïó»üy@ $Eã ?èJèqb) (f/èJèq c ãE$) [البقرة/٧٥]

(r/ƒÖ ßã ÑgZ Ñ ÂŽN) (ÑdŽÀ ¯ ÑdN) [١) [الأعراف/١٥٧] (r&Ö ã_ã /ä)

[/ Z، و(m@Á/ƒÖ§ëb)، و [~ يَطْهُرْنَ Z[البقرة/٢٢٢] (r¨W

†Ït@ 9 6àÑ &b Û{ ëä÷r ÏB$ ä#ÏFœqdÅ£ ÎWw ©ø®$ &b †/$ù$ &žwÅãŠJ$

(ãã¬) (، و(9J ãã¬) ، و(9J ãã¬) Z حُدُودَ ٱللَّهِ يُقِيمَا أَلَّا يَخَافَآ © إِلَّآ] (÷»ì ãB%ŠŠ$ ÷ì

[النساء/٤٣]. [٢] ومعلوم أن هذا بدعة مكروهة قبيحة». اهـ [٣]

---

(١) قرأ ابن عامر (آصارهم) بفتح الهمزة والمد والصاد وألف بعدها على الجمع، وقرأ الباقون بكسر الهمزة والقصر وإسكان الصاد من غير ألف على الإفراد . النشر في القراءات العـشر - (ج ٢ / ص ٣٠٧) .

(٢) هذه القراءات تقدمت في مبحث : الاختلاف بين القراءات .

(٣) مجموع الفتاوى : ج ٢٤ / ص ٢٤٣ .

حكم الجمع بين القراءات واحد سواء كانت المعاني متفقة أم متنوعة

§ «فالحاصل: أن أحد الذكرين إن وافق الآخر في أصل المعنى كان كالقراءتين اللتين معناهما واحد، وإن كان المعنى متنوعا كان كالقراءتين المتنوعتي المعنى، وعلى التقديرين فالجمع بينهما في وقت واحد لا يشرع». (١)

شبهة من جوز الجمع بين الأنواع المأثورة

§ «وقد احتج غير واحد من العلماء، كالشافعي وغيره على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات، ونحوها بالحديث الذي في الصحاح(٢) عن النبي e أنه قال: {أنزل القرآن عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ فاقرؤوا بما تيسر} قالوا : فإذا كان القرآن قد رخص في قراءته سبعة أحرف، فغيره من الذكر والدعاء أولى أن يرخص في أن يقال على عدة أحرف .

رد ابن تيمية على هذه الشبهة

§ ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ أحدها، أو هذا تارة وهذا تارة، لا الجمع بينهما، فإن النبي e لم يجمع بين هذه الألفاظ في آن واحد، بل قال هذا تارة، وهذا تارة - إذا كان قد قالهما-» .اهـ(٣)

---

(١) مجموع الفتاوى: ج٢٤/ص٢٤٥.

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٤٦٠ .

الفصل الثامن

التكبير

المشروع ترك التكبير في غير قراءة ابن كثير

§ وسئل رحمه الله: «عن جماعة اجتمعوا في ختمة، وهم يقرؤون لعاصم، وأبي عمرو، فإذا وصلوا إلى سورة الضحى لم يهللوا، ولم يكبروا إلى آخر الختمة، ففعلهم ذلك هو الأفضل أم لا؟ وهل الحديث الذي ورد في التهليل والتكبير صحيح بالتواتر أم لا ؟

فأجاب: الحمد لله نعم إذا قرؤوا بغير حرف ابن كثير كان تركهم لذلك هو الأفضل، بل المشروع المسنون، فإن هؤلاء الأئمة من القراء لم يكونوا يكبرون، لا في أوائل السور، ولا في أواخرها .[1]

فإن جاز لقائل أن يقول: إن ابن كثير نقل التكبير عن رسول الله e ، جاز لغيره أن يقول: إن هؤلاء نقلوا تركه عن رسول الله e ؛ إذ من الممتنع أن تكون قراءة الجمهور التي نقلها أكثر من قراءة ابن كثير قد أضاعوا فيها ما أمرهم به رسول الله e ، فإن أهل التواتر لا يجوز عليهم كتمان ما تتوفر الهمم والدواعي إلى نقله، فمن جوز على جماهير القراء أن رسول الله e أقرأهم بتكبير زائد فعصوا لأمر رسول الله e ، وتركوا ما أمرهم به استحق العقوبة البليغة التي تردعه وأمثاله عن مثل ذلك .

(١) سيأتي التعليق على نقل التكبير عن بقية القراء.

وأبلغ من ذلك البسملة، فإن من القراء من يفصل بها، ومنهم من لا يفصل بها، وهي مكتوبة في المصاحف، ثم الذين يقرؤون بحرف من لا يبسمل لا يبسملون، ولهذا لا ينكر عليهم ترك البسملة إخوانهم من القراء الذين يبسملون، فكيف ينكر ترك التكبير على من يقرأ قراءة الجمهور ؟! وليس التكبير مكتوبا في المصاحف ؟ وليس هو في القرآن باتفاق المسلمين؟ ومن ظن أن التكبير من القرآن فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل ». [(١)]

التكبير ليس من القرآن ولا إنكار على تاركه

§ «وأما التكبير فمن قال: إنه من القرآن فإنه ضال باتفاق الأئمة، والواجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فكيف مع هذا ينكر على من تركه ؟ ومن جعل تارك التكبير مبتدعا، أو مخالفا للسنة، أو عاصيا فإنه إلى الكفر أقرب منه إلى الإسلام، والواجب عقوبته، بل إن أصر على ذلك بعد وضوح الحجة وجب قتله .

ولو قدر أن النبي e أمر بالتكبير لبعض من أقرأه كان غاية ذلك يدل على جوازه، أو استحبابه، فإنه لو كان واجبا لما أهمله جمهور القراء، ولم يتفق أئمة المسلمين على عدم وجوبه، ولم ينقل أحد من أئمة الدين أن التكبير واجب، وإنما غاية من يقرأ بحرف ابن كثير أن يقول إنه مستحب، وهذا خلاف البسملة، فإن قراءتها واجبة عند من يجعلها من القرآن، ومع هذا فالقراء يسوغون ترك قراءتها لمن لم ير الفصل بها، فكيف لا يسوغ ترك

(١) مجموع الفتاوى ج١٣/ص٤١٧.

التكبير لمن ليس داخلا في قراءته ؟» . [(١)]

التكبير انفرد البزي برفعه للنبي e مخالفا بذلك سائر من نقله [(٢)]

وقال: «والتكبير المأثور عن ابن كثير ليس هو مسندا عن النبي e ،

---

(١) مجموع الفتاوى : ج ١٣ / ص ٤١٩.

(٢) هذه المسألة –التكبير عن البزي، أو غيره - مسألة خلافية بين العلماء مابين مانع، أو مجيز، وقد كتبت فيها عدد من الأبحاث المعاصرة، فمن هذه الأبحاث ما خلص إلى المنع ؛ لعدم ثبوته عن النبي e . ومنها بحث للشيخ المقرئ : إبراهيم الأخضر بعنوان (التكبير بين المحدثين، والقراء) .

ومن الأبحاث ما خلص إلى السنية، ومنها بحث الشيخ : أحمد الزعبي، بعنوان: (إرشاد البصير إلى سُنِّيَّةِ التكبير عن البشير النذير) .

وقد أفاض ابن الجزري في النشر ٢ /من ص ٤١٠-٤١٧ في بيان سنية التكبير ليس عن البزي فحسب، بل عن سائر القراء واستدل على ذلك بعدة استدلالات منها على سبيل الإيجاز :

أ- استفاضة التكبير عن أهل مكة استفاضة بلغت حد التواتر المعنوي .

ب- أن التكبير المرفوع من طريق البزي رواه عنه جماعة كثيرون وثقات معتبرون ثم سماهم .

ت- أن الشافعي ثبت عنه قوله للبزي: إن تركت التكبير فقد تركت سنة نبيك e . وعلق ابن كثير على هذه المقولة بقوله: وهذا يقتضي تصحيحه لهذا الحديث المرفوع من طريق البزي.

ث- أن التكبير صح موقوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وكان يأمر به تلامذته .

ج- أن التكبير لم ينفرد به البزي، بل هو منقول عن قنبل عند الجمهور من العراقيين، وبعض المغاربة .

ح- أن التكبير صح عن غير ابن كثير من القراء، كأبي جعفر من رواية العمري، وعن أبي عمرو من رواية السوسي، بل ورد عن سائر القراء .

ومن خلال ما تقدم فيمكن القول أن التكبير سنة مكية لا بزية، وانفراد البزي به على تسليمه انفراد نسبي لا حقيقي، والخبر إذا كان ضعيفا، وتلقى أهل العلم معناه بالقبول فإنه لا يضره ضعف سنده، ويعد عمل العلماء به قرينة قوية على صحته، ويكفي في إثباته صحته موقوفا عن ابن عباس y عنه، وهو في حكم المرفوع ؛ إذ مثله لا يقال من جهة الرأي .انظر: سنن القراء والمجودين للدكتور عبد العزيز قارئ من ص ٢٠٩-٢٢٥ .

ولم يسنده أحد إلى النبي e إلا البزي، وخالف بذلك سائر من نقله، فإنهم إنما نقلوه اختيارا ممن هو دون النبي e ، وانفرد هو برفعه، وضعفه نقلة أهل العلم بالحديث والرجال من علماء القراءة، وعلماء الحديث ، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء» . (١)

(١) مجموع الفتاوى: ج١٧/ص١٣٠.

الفصل التاسع

أعذار الأئمة في إنكار بعض حروف القرآن وحكم ذلك

من الأعذار عدم ثبوت القراءة بالنقل الثابت

قال في معرض ذكر أعذار العلماء في إنكار بعض الحروف:

§ «...أو اعتقد أن بعض الكلمات، أو الآيات إنها ليست من القرآن، لأن ذلك لم يثبت عنده بالنقل الثابت، كما نقل عن غير واحد من السلف أنهم أنكروا ألفاظا من القرآن، كإنكار بعضهم: (4Ó‰r ’‘7) [الإسراء/٢٣]، وقال إنما هي: {ووصى ربك}، وإنكار بعضهم قوله: :(r×Ï& { ‹$! ª B‹«W» ,$9Y` ¿) [آل عمران/٨١]، وقال إنما هو: {ميثاق بني إسرائيل}، وكذلك هي في قراءة عبد الله، وإنكار بعضهم: (&ù=Ï /$#« §$‰Ï šú ä#B(#þq) [الرعد/٣١] إنما هي {أفلم يتبين الذين آمنوا}، وكما أنكر عمر على هشام ابن الحكم لما رآه يقرأ سورة الفرقان على غير ما قرأها، وكما أنكر طائفة من السلف على بعض القراء بحروف لم يعرفوها، حتى جمعهم عثمان على المصحف الإمام» [(١)].

وقال أيضا: «وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا معصية، كما أنكر شريح

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٠/ص٣٥.

قراءة من قرأ: **(/@ ã ÏM÷ƒÉ r„ó ,ãrã b ÈÇ‼** [الصافات][1]، وقال إن الله لا يعجب فبلغ ذلك إبراهيم النخعي، قال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أعلم منه، وكان يقرأ: **(/@ ã ÏM÷ƒÉ)**»[2].

من لم تبلغه القراءة بنقل متواتر فلا يكفر بخلاف من قامت عليه الحجة

وقال أيضا: «وكان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ: **(/@ ã ÏM÷ƒÉ)**، ويقول إن الله لا يعجب فبلغ ذلك إبراهيم النخعي، فقال: إنما شريح شاعر يعجبه علمه، كان عبد الله أفقه منه فكان يقول: **(/@ ã ÏM÷ƒÉ)**، فهذا قد أنكر قراءة ثابتة، وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة على إنه إمام من الأئمة، وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن، مثل: إنكار بعضهم قوله: **(ù=Ñ ƒ$« §$Ç%Ï ïú šú #ä ãB(þq)** [الرعد/٣١]، وقال إنما هي: { أو لم يتبين الذين آمنوا}، وإنكار الآخر قراءة قوله: **(r%Ó4Ó ‘7/ žw& ?çè7ß‰÷ès? Hw) Î$ƒ¨)** [الإسراء/٢٣]، وقال إنما هي: {ووصى ربك}، وبعضهم كان حذف المعوذتين، وآخر يكتب سورة القنوت، وهذا خطأ معلوم بالإجماع، والنقل المتواتر، ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا، وإن كان يكفر بذلك من

(١) تقدمت القراءة في مبحث: اختلاف القراءات .

(٢) مجموع الفتاوى : ج ٣ / ص ٢٢٩ .

قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر » [١].

وقال في موضع آخر: « وقد أنكر بعضهم كثيرا من القراءات، وإن كانت هذه الأقوال خطأ . ومن أنكر شيئا من القرآن بعد تواتره استتيب، فإن تاب وإلا قتل، وأما قبل تواتره عنده فلا يستتاب..»[٢].

البسملة من موارد الاجتهاد فلا تكفير ولا تفسيق للنافي لها أو المثبت

§ « وسواء قيل بالقطع في النفي، أو الإثبات فذلك لا يمنع كونها [٣] من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي، ولا للمثبت ...» [٤].

الرد على القائل بالنفي أو الإثبات وفصل الحكم بينهما

§ «والتحقيق أن هذه الحجة [٥] مقابلة بمثلها، فيقال لهم: بل يقطع كونها من القرآن حيث كتبت، كما قطعتم بنفي كونها ليست منه، ومثل هذا النقل المتواتر عن الصحابة بأن ما بين اللوحين قرآن، فإن التفريق بين آية وآية يرفع الثقة بكون القرآن المكتوب بين لوحي المصحف كلام الله، ونحن نعلم بالاضطرار أن الصحابة الذين كتبوا المصاحف نقلوا إلينا أن ما كتبوه بين لوحي المصحف كلام الله الذي أنزله على نبيه لم يكتبوا فيه ما ليس من كلام الله .

فإن قال المنازع: إن قطعتم بأن البسملة من القرآن حيث كتبت

(١) مجموع الفتاوى :ج ١٢ / ص ٤٩٢.

(٢) تفسير آيات أشكلت ١ /٣٧٠ .

(٣) أي : البسملة .

(٤) مجموع الفتاوى: ج١٣ / ص ٣٩٩.

(٥) وهي : القطع بخطأ من أثبت البسملة ؛ بناء على أن القرآنية لا تثبت إلا بالقطع .

فكفروا النافي، قيل لهم: وهذا يعارض حكمه إذا قطعتم بنفي كونها من القرآن فكفروا منازعكم !

وقد اتفقت الأمة على نفي التكفير في هذا الباب، مع دعوى كثير من الطائفتين القطع بمذهبه، وذلك لأنه ليس كل ما كان قطعيا عند شخص يجب أن يكون قطعيا عند غيره، وليس كل ما ادعت طائفة أنه قطعي عندها يجب أن يكون قطعيا في نفس الأمر، بل قد يقع الغلط في دعوى المدعي القطع في غير محل القطع كما يغلط في سمعه وفهمه ونقله وغير ذلك من أحواله كما قد يغلط الحس الظاهر في مواضع». اهـ [(١)]

وقال في موضع آخر: «...وبهذا يتبين أن من أنكر كونها من القرآن بالكلية إلا في سورة النمل وقطع بخطأ من أثبتها بناء على أن القرآنية لا تثبت إلا بالقطع فهو مخطئ في ذلك، ويقال له: ولا تنفي إلا بالقطع أيضا، ثم يقال له: من أثبتها يقطع بأنها ثابتة ويقطع بخطأ من نفاها، بل التحقيق أن كون الشيء قطعيا أو غير قطعي أمر إضافي، والقراءات تدل على جواز الأمرين، ولكن القراءة بها أفضل، وهذا قول جمهور العلماء يجوزون هذا، ويرجحون قراءتها، ويخفونها عن غيرها من القرآن لأنها تابعة لغيرها والله أعلم » [(٢)].

(١) مجموع الفتاوى : (ج ٢٢ / ص ٤٣٣) .

(٢) مجموع الفتاوى: ج٢٢ / ص ٣٥٤، وما بعدها .

الفصل العاشر

شبهات حول القراءات والرد عليها

رد من طعن في القراءات بحجة أنها غلط من الكاتب

§ «وهذا يبين أن المصاحف التي نسخت كانت مصاحف متعددة، وهذا معروف مشهور، وهذا مما يبين غلط من قال في بعض الألفاظ: إنه غلط من الكاتب، أو نَقل ذلك عن عثمان فإن هذا ممتنع لوجوه:

١ - منها تعدد المصاحف، واجتماع جماعة على كل مصحف، ثم وصول كل مصحف إلى بلد كبير فيه كثير من الصحابة والتابعين يقرؤون القرآن، ويعتبرون ذلك بحفظهم، والإنسان إذا نسخ مصحفا غَلِط في بعضه عرف غَلطه بمخالفة حفظة القرآن، وسائر المصاحف، فلو قدر أنه كتب كاتب مصحفا، ثم نسخ سائر الناس منه من غير اعتبار للأول، والثاني أمكن وقوع الغلط في هذا، وهنا كل مصحف إنما كتبه جماعة، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم، ولو قدر أن الصحيفة كان فيها لحن فقد كتب منها جماعة لا يكتبون إلا بلسان قريش، ولم يكن لحنا فامتنعوا أن يكتبوه إلا بلسان قريش، فكيف يتفقون كلهم على أن يكتبوا: (ȸb d«‹ b̀0) [1] [طــه/٦٣]، وهم يعلمون أن ذلك لحن لا يجوز في شيء من

---

(١) قرأ أبو عمرو (هذين) بالياء، والباقون بالألف، والرسم بالألف. النشر في القراءات العشر - (ج ٢ / ص ٣٦٠).

لغاتهم ؟ ! أو (o¢4=¢Á 9$ÛüüÜ ŠÉ¢Ï$#) [النساء/١٦٢] [(١)] وهم يعلمون أن ذلك لحن كما زعم بعضهم ؟!

قال الزجاج في قوله: (o¢4=¢Á 9$ÛüüÜ ŠÉ¢Ï$#) قول من قال: إنه خطأ بعيد جدا، لأن الذين جمعوا القرآن هم أهل اللغة والقدوة، فكيف يتركون شيئا يصلحه غيرهم ؟! فلا ينبغي أن ينسب هذا إليهم.

وقال ابن الأنباري: حديث عثمان [(٢)] لا يصح، لأنه غير متصل، ومحال أن يؤخر عثمان شيئا ليصلحه من بعده .

٢- قلت: ومما يبين كذب ذلك أن عثمان لو قدر ذلك فيه فإنما رأى ذلك في نسخة واحدة، فأما أن تكون جميع المصاحف اتفقت على الغلط -وعثمان قد رآه في جميعها وسكت- فهذا ممتنع عادة وشرعا من الذين كتبوا، ومن عثمان، ثم من المسلمين- الذين وصلت إليهم المصاحف، ورأوا ما فيها - وهم يحفظون القرآن، ويعلمون أن فيه لحنا لا يجوز في اللغة، فضلا عن التلاوة، وكلهم يقر هذا المنكر لا يغيره أحد ! فهذا مما يعلم بطلانه عادة، ويعلم من دين القوم الذين لا يجتمعون على ضلالة، بل يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر أن يدعوا في كتاب الله منكرا لا يغيره أحد منهم، مع أنهم لا غرض لأحد منهم في ذلك، ولو قيل لعثمان: مر الكاتب

---

(١) وردت قراءة شاذة في هذه الآية، وهي القراءة بالرفع: {المقيمون} عطفا على:{الراسخون}، وهي قراءة الجحدري. انظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٣٦ .

(٢) المقصود بحديث عثمان رضى الله عنه قوله : إن في القرآن لحنا وستقيمه العرب بألسنتها. وقد أطال الداني في المقنع في الرد على هذا الخبر . انظر ص ١١٩ وما بعدها .

أن يغيره لكان تغييره من أسهل الأشياء عليه.

فهذا ونحوه مما يوجب القطع بخطأ من زعم أن في المصحف لحنا، أو غلطا، وإن نقل ذلك عن بعض الناس ممن ليس قوله حجة، فالخطأ جائز عليه فيما قاله، بخلاف الذين نقلوا ما في المصحف وكتبوه وقرؤوه، فإن الغلط ممتنع عليهم في ذلك ...» [1] .

وقال: «ومن زعم أن الكاتب غلط فهو الغالط غلطا منكرا، كما قد بسط في غير هذا الموضع ، فإن المصحف منقول بالتواتر » [2].

وقال في موضع آخر : « قيل: إن المراد بأخذ الميثاق على الأنبياء هو أخذه على قومهم، فإنهم هم الذين يدركون النبي الآتي، وقالوا: هي في قراءة ابن مسعود، وأبي بن كعب: { وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، وزعم بعضهم أن هذه القراءة هي الصواب، والأُوْلى [3] غلط من الكتاب، وهذا قول باطل، ولولا أنه ذكر لما حكيته، فإن ما بين لوحي المصحف متواتر، والقرآن صريح في أن الله أخذ الميثاق على النبيين، فلا يلتفت إلى من قال إنما أخذ على أممهم » [4].

وقال في موضع آخر : «...ولكن هذه الأمة حفظ الله لها ما أنزله، كما

---

(١) مجموع الفتاوى: ج١٥ / ص ٢٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى: ج١٥ / ص ٢٥٥ .

(٣) المراد قوله تعالى: (þJ3ïmr 5= »GÅ2 `B̈ Nà6 ç÷?#ä $J9 `¿ßÎY9$, »W‹B̈ ª! $‹ {& ßþr) [آل عمران/٨١]. وقراءة ابن مسعود وأبي شاذة .

(٤) الرد على المنطقين: ج ١ / ص ٤٥٢ .

قال تعالى: (ÇÌÈ bqàÿ»t: ¼çq9 $RÎ)r •øŒ!$$Z9ø‹R ßtwU $RÎ) [الحجر]، فما في تفسير القرآن، أو نقل الحديث، أو تفسيره من غلط فإن الله يقيم له من الأمة من يبينه، ويذكر الدليل على غلط الغالط، وكذب الكاذب، فإن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة ؛ إذ كانوا آخر الأمم فلا نبي بعد نبيهم بعدهم، ولا كتاب بعد كتابهم، وكانت الأمم قبلهم إذا بدلوا وغيروا بعث الله نبيا يبين لهم ويأمرهم وينهاهم، ولم يكن بعد محمد نبي، وقد ضمن الله أن يحفظ ما أنزله من الذكر، وأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل أقام الله لهذه الأمة في كل عصر من يحفظ به دينه من أهل العلم والقرآن، وينفي به تحريف الغالين، وانتحال المضلين، وتأويل الجاهلين». [(١)]

وقال في موضع آخر : «فإن العادة المعروفة أن نسخ الكتب تختلف، ويزيد بعضها وينقص بعضها، والقرآن المنقول بالتواتر لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف، بل الاعتماد على حفظ أهل التواتر له في صدورهم، ولهذا إذا وجد مصحف يخالف حفظ الناس أصلحوه، وقد يكون في بعض نسخ المصاحف غلط فلا يلتفت إليه، مع أن المصاحف التي كتبها الصحابة قد قيد الناس صورة الخط ورسمه، وصار ذلك أيضا منقولا بالتواتر، فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظا، ونقلوا رسم المصاحف أيضا بالتواتر، ونحن لا ندعي اتفاق جميع نسخ المصاحف، كما لا ندعي أن

(١) الجواب الصحيح - (ج ٣ / ص ٣٩) .

كل من يحفظ القرآن لا يغلط، بل ألفاظه منقولة بالتواتر حفظا ورسما، فمن خرج عن ذلك علم الناس أنه غلط لمخالفته النقل المتواتر»[1].

شبهة جواز القراءة بالمعنى

§ «وأما من قال عن ابن مسعود أنه كان يجوز القراءة بالمعنى فقد كذب عليه[2]، وإنما قال: قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو

---

(١) الجواب الصحيح - (ج ٣ / ص ٤٢٣).

(٢) وقد استدل من جوز ذلك بما نقل عن ابن مسعود t أن رجلا كان يقرئه ابن مسعود، وكان أعجميا، فجعل يقول: ﴿ ÇíÍÈ ÉŠÖŖ $ß$èÛ ÇíÎÈ Ûq%"9$N• f © žc ﴾ [الدخان] فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فرد عليه، كل ذلك يقول: طعام اليتيم فقال ابن مسعود: قل: « طعام الفاجر». ثم قال ابن مسعود y: « إن الخطأ في القرآن ليس أن تقول: الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، إنما الخطأ أن تقرأ آية الرحمة آية العذاب، وآية العذاب آية الرحمة، وأن يزاد في كتاب الله ما ليس فيه».

والأثر أخرجه أبو يوسف في كتابه الآثار ١ /٢٢٩، وأبو عبيد في فضائل القرآن ٢ /١٣٦، رقم الأثر (٦٧٠). من غير قوله: (إن الخطأ...).

واستدلوا أيضا بقوله: « إني سمعت أولى القراءة، فلم أسمعهم إلا متقاربين فاقرؤوا على ما علمتم، وإياكم والتنطع في الاختلاف، إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلم، وتعال». والأثر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ج ٥ / ص ٢١٨).

وإنما فعل مع الأعجمي ما فعل كما قال القرطبي في تفسيره ١٦ /٩٩: « ولا حجة في هذا للجهال من أهل الزيغ أنه يجوز إبدال الحرف من القرآن بغيره ؛ لأن ذلك إنما كان من عبد الله تقريبا للمتعلم، وتوطئه منه له للرجوع إلى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على إنزال الله وحكاية رسول الله e ».

ومقصود ابن مسعود y بيان أن الحروف ليس بينها تعارض، كتعارض الرحمة التي هي خلاف العذاب، بل هي اختلاف تنوع فهي تشبه الاختلاف بين صفات الله عز وجل، وكذا بين معاني: أقبل، وهلم، وتعال.

=

كقول أحدكم: أقبل وهلم وتعال، فاقرؤوا كما علمتم، أو كما قال»[١] .

ومن الشبهات ما زعمه ابن أبي السَّرح [٢]

§ «وأعلم أن افتراء ابن أبي سرح، والكاتب الآخر النصراني على رسول الله e بأنه كان يتعلم منهما افتراء ظاهر، وكذلك قوله: « إني لأصرفه كيف شئت، إنه ليأمرني أن أكتب له الشيء، فأقول له: أو كذا، أو كذا فيقول: نعم» [٣] فرية ظاهرة [٤]، فإن النبي e كان لا يُكْتِبُه إلا ما أنزله الله، ولا يأمره أن يكتب قرآنا إلا ما أوحاه الله إليه، ولا يتصرف له كيف شاء، بل يتصرف كما يشاء الله، وكذلك قوله: « إني لأكتب ما شئت، هذا الذي كتبت يوحى إلي، كما يوحى إلى محمد، وإن محمدا إذا كان يتعلم مني، فإني سأنزل مثل ما أنزل الله » [٥] فرية ظاهرة، فإن النبي e لم يكن يكتبه ما شاء، ولا كان يوحى إليه شيء ، وكذلك قول النصراني: « مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ

= انظر في الرد على هذه الشبة : حديث الحرف السبعة للقارئ ص ٥٠، وتاريخ القرآن لعبد الصبور شاهين ص ٧٧ .

(١) مجموع الفتاوى: (ج١٣ / ص ٣٩٧) .

(٢) الصارم المسلول - (ج ١ / من ص ١٢٥ - ١٣١).

(٣) مسند أحمد - (ج ٢٦ / ص ٧٧)، أثر رقم : (١٢٥٤٤)، وصحيح ابن حبان - (ج ٣ / ص ١٩)، أثر: (٧٤٤) .

(٤) وجه الدلالة: « أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح افترى على النبي e أنه كان يتمم له الوحي، ويكتب له ما يريد فيوافقه عليه، وأنه يصرفه حيث شاء، ويغير ما أمره به من الوحي فيقره على ذلك، وزعم أنه سينزل مثل ما أنزل الله ؛ إذ كان قد أوحي إليه في زعمه، كما أوحي إلى رسول الله e » . انظر: الصارم المسلول - (ج ١ / ص ١٢٢) .

(٥) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في التفسير: ج ٥ / ص ٣٢٣ .

إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ» [(١)] من هذا القبيل، وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب، واستوجب العقاب .

ثم اختلف أهل العلم : هل كان النبي e أقرَّه على أن يكتب شيئا غير ما ابتدأه النبي e بإكتابه ؟ وهل قال له شيئا ؟ على قولين :

أحدهما : أن النصراني، وابن أبي سرح افتريا على رسول الله e ذلك كله، وأنه لم يصدر منه قول فيه إقرار على كتابه غير ما قاله أصلا، وإنما لما زين لهما الشيطان الردة افتريا عليه ؛ لينفرا عنه الناس، ويكون قبول ذلك منهما متوجها، لأنهما فارقاه بعد خبرة، وذلك أنه لم يخبر أحد أنه سمع النبي e يقول له: [هذا الذي قتله [(٢)]، أو كتبته صواب] . وإنما هو حال الردة أخبر أنه قال له ذلك، وهو إذ ذاك كافر عدو يفتري على الله ما هو أعظم من ذلك .

يبين ذلك أن الذي في الصحيح [(٣)] أن النصراني يقول: « مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلاَّ مَا كَتَبْتُ لَهُ» نعم، ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي e ، ويغيره و يزيده و ينقصه، فظن أن عمدة النبي e على كتابه، مع ما فيه من التبديل، ولم يدر أن كتاب الله آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، وأنه لا يغسله الماء، وأن الله حافظ له، وأن الله يقرئ نبيه فلا ينسى إلا ما

(١) صحيح البخاري (مع الفتح) كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة، حديث(٣٦١٧) ج ٦/ ٧٢٢.

(٢) هكذا في المطبوع، ولعلها : قلته .

(٣) تقدم أنفا .

شاء الله مما يريد رفعه، ونسخ تلاوته، وأن جبريل كان يعارض النبي e بالقرآن كل عام، وأن النبي e إذا نزل عليه آية اقرأها لعدد من المسلمين يتواتر نقل الآية بهم . وأكثر من نقل هذه القصة من المفسرين ذكر أنه كان يملي عليه: { سميعا عليما }، فيكتب هو: {عليما حكيما } وإذا قال : {عليما حكيما } كتب: { غفورا رحيما }، وأشباه ذلك، ولم يذكر أن النبي e قال له شيئا .

قالوا : وإذا كان الرجل قد عُلم أنه من أهل الفرية والكذب- حتى أظهر الله على كذبه آية بينة - والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمن إلا أنه قال عن النبي e ما قال، أو أنه كتب ما شاء، فقد علم أن النبي e لم يقل له شيئا .

قالوا : وما روى في بعض الروايات أن النبي e قال فهو منقطع، أو معلل، ولعل قائله قاله بناء على أن الكاتب هو الذي قال ذلك - ومثل هذا يلتبس الأمر فيه- حتى اشتبه ما قاله النبي e ، ________وما قيل إنه قال رد على هذا القول فلا سؤال[1] .

القول الثاني : أن النبي e قال له شيئا، فروى الإمام أحمد [2] و غيره، من حديث حماد ابن سلمة، أخبرنا ثابت عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَإِذَا أَمْلَى عَلَيْهِ سَمِيعاً يَقُولُ كَتَبْتُ سَمِيعاً بَصِيراً.

(١) معنى العبارة : إذا لم يثبت أن النبي e قال له شيئا فلا إشكال حينئذ يستوجب السؤال عن شبهة ابن أبي السرح، بل يتعين كونه مفتريا على رسول الله e .

(٢) مسند أحمد - (ج ٢٨ / ص ٤٥٦)، حديث (١٣٩٢٣) .

قَالَ دَعْهُ وَإِذَا أَمْلَى عَلَيْه:{ عَلِيماً حَكِيماً} كَتَبَ: {عَلِيماً حَلِيماً}. قَالَ حَمَّادٌ نَحْوَ ذَا. قَالَ وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَكَانَ مَنْ قَرَأَهُمَا قَدْ قَرَأَ قُرْآناً كَثِيراً فَذَهَبَ فَتَنَصَّرَ فَقَالَ لَقَدْ كُنْتُ أَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ مَا شِئْتُ فَيَقُولُ: دَعْهُ.فَمَاتَ فَدُفِنَ فَنبَذَتْهُ الأَرْضُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً. قَالَ أَبُو طَلْحَةَ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ مَنْبُوذاً فَوْقَ الأَرْضِ. رواه الأمام أحمد .

وحَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَنْبَأَنَا حُمَيْدٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَكْتُبُ للنبي –e - وَقَدْ كَانَ قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ جَدَّ فِينَا - يَعْنِى عَظُمَ - فَكَانَ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُمْلِى عَلَيْهِ: {غَفُوراً رَحِيماً} فَيَكْتُبُ: {عَلِيماً حَكِيماً} فَيَقُولُ لَهُ النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ :[اكْتُبْ كَذَا وَكَذَا اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ]. وَيُمْلِى عَلَيْهِ: عَلِيماً حَكِيماً فَيَقُولُ اكْتُبْ: سَمِيعاً بَصِيراً فَيَقُولُ:[اكْتُبِ اكْتُبْ كَيْفَ شِئْتَ]. فَارْتَدَّ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَنِ الإِسْلاَمِ فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ وَقَالَ أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِمُحَمَّدٍ إِنْ كُنْتُ لأَكْتُبُ مَا شِئْتُ فَمَاتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ فَقَالَ النبي –e - [إِنَّ الأَرْضَ لَمْ تَقْبَلْهُ] .

قَالَ أَنَسٌ فَحَدَّثَنِي أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهُ أَتَى الأَرْضَ الَّتِي مَاتَ فِيهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ فَوَجَدَهُ مَنْبُوذاً فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ مَا شَأْنُ هَذَا الرَّجُلِ قَالُوا قَدْ دَفَنَّاهُ مِرَاراً فَلَمْ تَقْبَلْهُ الأَرْضُ. فهذا إسناد صحيح .(1)

وقد قال من ذهب إلى القول الأول : أعلّ البزار حديث ثابت عن أنس قال: رواه عنه، ولم يتابع عليه، ورواه حميد عن أنس، وأظن حميدا إنما

(1) مسند أحمد - (ج ٢٦ / ص ٧٧)، حديث (١٢٥٤٤)، والبيهقي في السنن الصغرى - (ج١ /ص ٣٢٧) حديث (١٠٢٨) .

سمعه من ثابت، قالوا : ثم إن أنسا لم يذكر أنه سمع النبي e ، أو شهده يقول ذلك، ولعله حكى ما سمع .

وفي هذا الكلام تكلف ظاهر، والذي ذكرناه في حديث ابن إسحاق، والواقدي وغيرهما موافق لظاهر هذه الرواية، وكذلك ذكر طائفة من أهل التفسير، وقد جاءت آثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول، ففي حديث ابن إسحاق، وذلك أن الرسول الله e كان يقول : { عليم حكيم }، فيقول: أو أكتب عزيز حكيم، فيقول له رسول الله e : [نعم كلاهما سواء].

وفي الرواية الأخرى : وذلك أن رسول الله e كان يملي عليه فيقول: {عزيز حكيم، أو حكيم عليم } فكان يكتبها على أحد الحرفين فيقول : [كل صواب] .

ففي هذا بيان لأن كلا الحرفين كان قد نزل، وأن النبي e كان يقرأهما، ويقول له : [اكتب كيف شئت من هذين الحرفين فكل صواب]، وقد جاء مصرحا عن النبي e أنه قال : [أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، إن قلت: عزيز حكيم، أو غفور رحيم فهو كذلك، ما لم تختم آية رحمة بعذاب، أو آية عذاب برحمة] . (١)

وفي حرف جماعة من الصحابة:{ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم} . (٢) والأحاديث في ذلك منتشرة تدل على

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) وهو حرف ابن مسعود . انظر: شواذ القراءات للكرماني ص١٦٤ .

أن من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن أن يختم الآية الواحدة بعدة أسماء من أسماء الله، على سبيل البدل يخير القارئ في القراءة بأيها شاء، وكان النبي e يخيره أن يكتب ما شاء من تلك الحروف، وربما قرأها النبي e بحرف من الحروف فيقول له : [أو أكتب كذا وكذا]، لكثرة ما سمع النبي e يخير بين الحرفين، فيقول له النبي e : [كلاهما سواء]، لأن الآية نزلت بالحرفين، وربما كتب هو أحد الحرفين، ثم قرأه على النبي e فأقره عليه، لأنه قد نزل كذلك أيضا، وختمُ الآي بمثل {سميع عليم }، و{عليم حليم}، و{ غفور رحيم }، أو بمثل: { سميع بصير }، أو { عليم حليم}، أو{حكيم حليم }كثير في القرآن، وكان نزول الآية على عدة من هذه الحروف أمرا معتادا، ثم إن الله نسخ بعض تلك الحروف، لما كان جبريل يعارض النبي e بالقرآن في كل رمضان، وكانت العرضة الأخيرة هي حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ الناس به اليوم، وهو الذي جمع عثمان والصحابة رضي الله عنهم أجمعين عليه الناس، ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في الناسخ والمنسوخ، وكذلك ذكرها الإمام أحمد في كتابه في: الناسخ و المنسوخ؛ لتضمنها نسخ بعض الحروف .

وروى فيها وجه آخر رواه الإمام أحمد في: الناسخ والمنسوخ : حدثنا مسكين بن بكير ثنا معان قال: وسمعت خلفا يقول : كان ابن أبي سرح كتب للنبي e القرآن، فكان ربما سأل النبي e عن خواتم الآي: {يعملون }، و {يفعلون}، ونحو ذا، فيقول له النبي e : [أكتب أي ذلك شئت] قال : فيوفقه الله للصواب من ذلك، فأتى أهل مكة مرتدا فقالوا : يا

ابن أبي سرح كيف كنت تكتب لابن أبي كبشة القرآن ؟ قال : أكتبه كيف شئت، قال : فأنزل الله في ذلك: (ôBr& ß-£ßB ÇëlÄ$Î ž3ã?$’$!«. É7$

&r$%ÂAéÇrÓ Ï<¥ r9Nãqy ÎøtÏ « öä) [الأنعام : ٩٣] الآية كلها .

قال النبي e يوم فتح مكة : [من أخذ ابن أبي سرح فليضرب عنقه حيثما وجده، وإن كان متعلقا بأستار الكعبة] . (١)

ففي هذا الأثر أنه كان يسأل النبي e عن حرفين جائزين فيقول له : [اكتب أي ذلك شئت] فيوفقه الله للصواب، فيكتب أحب الحرفين إلى الله، وكان كلاهما منزلا، أو يكتب ما أنزله الله فقط إن لم يكن الآخر منزلا، وكان هذا التخيير من النبي e إما توسعة -إن كان الله قد أنزلهما- أو ثقة بحفظ الله وعلما منه بأنه لا يكتب إلا ما أنزل، وليس هذا ينكر في كتاب تولى الله حفظه، وضمن أنه لا يأته الباطل من بين يديه ولا من خلفه . (٢)

---

(١) أخرجه بنحوه النسائي في سننه : ج ٧ / ص ١٠٥، حديث (٤٠٦٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٧٢٣) .

(٢) وممن قال بهذا الرأي البيهقي في السنن الصغرى - (ج ١ / ص ٣٢٧) .

فقد قال: « قلت : ويحتمل أنه إنما جاز قراءة بعضها بدل بعض لأن كل ذلك منزل، فإذا أبدل بعضها ببعض فكأنه قرأ من ههنا ومن ههنا، وكل قرآن، وأطلق للكاتب كتابة ما شاء من ذلك، لأن النَّبِيّ e كان يعرض عليه القرآن في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين، فكان الاعتبار بما يقع عليه القراء عند إكمال الدين، وتناهي الفرائض فكان لاَ يبالي بما يكتب قبل العرض من اسم من أسماء الله مكان اسم، فلما استقرت القراءة على ما اجتمعت عليه الصحابة، وأثبتوه في المصاحف على اللغات التي قرءوه عليها، صار ذلك إماما يقتدى به لاَ يجوز مفارقته بالقصد، إِلاَّ أن يزل الحفظ فيبدل اسما باسم من غير قصد فلا يحرج ذلك إن

=

وذكر بعضهم **وجها ثالثا** وهو: أنه ربما كان يسمع النبي e بمكة الآية حتى لم يبق منها إلا كلمة أو كلمتان، فيستدل بما قرأ منها على باقيها، كما يفعله الفطن الذكي فيكتبه، ثم يقرأه على النبي e فيقول: [كذلك أنزلت]، كما اتفق مثل ذلك لعمر في قوله : (ß|¡ ôm& ª! $8‘$7Fù $øƒ»=Î)Éüû) [المؤمنون : ١٤]

وقد روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مثل هذا في هذه القصة، وإن كان هذا الإسناد ليس بثقة قال : عن ابن أبي سرح أنه كان تكلم بالإسلام، وكان يكتب لرسول الله e في بعض الأحايين، فإذا أملى عليه: { عزيز حكيم} كتب: { غفور رحيم }، فيقول رسول الله e : [هذا، أو ذاك سواء] فلما نزلت : (ô‰s)9r z ô=)Y$$SM ¡| »` Ë` 'ß=»#7 Ë`) [المؤمنون : ١٢] أملاها عليه فلما انتهى إلى قوله : (z•$ äz#)tìz •z) [المؤمنون : ١٤] عجب عبد الله بن سعد فقال : (ß|¡ ôm& ª! $8‘$7Fù $øƒ»=Î)Éüû) فقال رسول الله e :[كذا أنزلت علي فاكتبها] فشك حينئذ، وقال : لئن كان محمد صادقا لقد أوحى إلى كما أوحى إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال، فنزلت هذه الآية:[الأنعام : ٩٣]. (١)

ومما ضعفت به هذه الرواية أن المشهور أن الذي تكلم بهذا عمر بن

= شاء الله تعالى» . اهـ

(١) أسباب نزول القرآن للواحدي - (ج ١ / ص ٧٩) .

الخطاب.

ومن الناس **من قال قولا آخر** [١] قال: الذي ثبت في رواية أنس أنه كان يعرض على النبي e ما كتبه بعد ما كتبه فيملي عليه: { سميعا عليما} فيقول: قد كتبت: { سميعا بصيرا } فيقول :[دعه]، أو [أكتب كيف شئت]، وكذلك في حديث الواقدي أنه كان يقول : كذلك أنزل الله، ويقره.

قالوا : وكان النبي e به حاجة إلى من يكتب ؛ لقلة الكتاب في الصحابة، وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة إليهم، فإن العرب كان الغالب عليهم الأمية حتى إن كان الحي العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد، وكان أحدهم إذا أراد كتابة (أو شقة) [٢] وجد مشقة حتى يحصل له كاتب، فإذا اتفق للنبي e من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته، فإذا زاد الكاتب، أو نقص تركه لحرصه على كتابة ما يمليه، ولا يأمره بتغيير ذلك خوفا من ضجره، وأن يقطع الكتابة قبل إتمامها، ثقة منه e بأن تلك الكلمة، أو الكلمتين تستدرك فيما بعد بالإلقاء إلى من يتلقنها منه، أو بكتابها تعويلا على المحفوظ عنده، وفي قلبه كما قال تعالى : (™ãÿè •šùxŸ

Y?¤ Ç‡Ë ŸzvÎ $B ©$ä$! ª Î¨R¼ ƒè=Ð$ f ĝ• rB$ ƒ ÷"4 Ç‡Ë) [الأعلى]. [٣]

---

(١) وهو القول الرابع.

(٢) هكذا في المطبوع ولم يتبين لي المراد، والكلام بدونها مستقيم .

(٣) وهناك قول آخر –وهو الخامس- ذكره الطحاوي في مشكل الآثار ٧/ ٢٢٠ فبعد أن ذكر رواية =

اختيار ابن تيمية

والأشبه والله أعلم هو الوجه الأول [1]، وأن هذا كان فيما أنزل القرآن فيه على حروف عدة، فإن القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة أن المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو أحد الحروف السبعة، وهو العرضة الآخرة، وأن الحروف السبعة[2] خارجة عن هذا المصحف، وأن الحروف السبعة كانت تختلف الكلمة، مع أن المعنى غير مختلف ولا متضاد» . اهـ

= أنس قال ما نصه: « والذي في الحديث الذي ذكرناه في هذا الباب قد يحتمل أن يكون فيما كان رسول الله ﷺ يمليه على ذلك الكاتب من كتبه إلى الناس في دعائه إياهم إلى الله عز وجل ...وكان يأمر ذلك الكاتب بها ويكتب الكاتب خلافها ؛ إذ كانت كلها من صفات الله عز وجل . فبان بحمد الله ونعمته أن لا تضاد في شيء من ذلك ولا اختلاف».اهـ بتصرف .

(١) يظهر والله أعلم أن مراده : الوجه الثاني .

(٢) يظهر أن هنا سقطا صوابه إضافة كلمة : (غير) .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فبعد العيش مع الإمام ابن تيمية وما سطره من علم في علم القراءات دراية يحسن أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها، وأذكر بعضا من التوصيات :

١ - ابن تيمية له دراية واسعة بعلم القراءات، وإن لم يتلقها رواية من الشيوخ .

٢ - جل المادة العلمية من مجموع الفتاوى .

٣ - ابن الجزري تأثر كثيرا بابن تيمية ونقل عنه في مواضع عديدة .

٤ - لم يخرج ابن تيمية عن تقريرات القراء إلا في نزر يسير من المسائل نبهت عليها في مواضعها .

٥ - وقف ابن تيمية من القراءات موقف المنتصر لها، الذاب عنها، المحتج بها .

٦ - رأي ابن تيمية أن المصحف كتب على حرف واحد، وهو محتمل لبقية الأحرف .

٧ - يرى ابن تيمية اشتراط التواتر في قبول القراءات .

٨ - خالف ابن تيمية جمهور العلماء في جواز الصلاة بالقراءة الشاذة .

٩ - اختيار ابن تيمية أن البسملة آية منفردة فاصلة بين السور ليست من أول كل سورة .

١٠ - البسملة في الصلاة جائزة، وتركها جائز أيضا بناء على خلاف

القراءات فيها .

١١ -رأي ابن تيمية أن المصاحف جردت من النقط والشكل ؛ لتحتمل بقية الأحرف .

ومن التوصيات:

١ - ابن تيمية لها إسهامات كثيرة في مجال علوم القرآن، كعلم التجويد، والرسم وغيرها من علوم القرآن، وجمع ما تفرق من هذه العلوم في مكان واحد كنز عظيم للقراء الكرام .

٢ - لبعض أئمة الإسلام كلام متفرق في علم القراءات، كابن عبد البر مثلا، فلو جمعت نصوصهم ورتبت ترتيبا موضوعيا لكان في ذلك فائدة عظيمة .

فهرس المصادر

- **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر= منتهى الأماني والمسرات** للشيخ أحمد بن محمد البنا، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب،الطبعة الأولى ١٤٠٧.
- **الإبانة عن معاني القراءات** للإمام مكي بن أبي طالب . تحقيق د. عبد الفتاح شلبي، المكتبة الفيصلية، الطبعة الثانية ١٤٠٥.
- **الإتقان في علوم القرءان** لعبد الرحمن بن الكمال الشهير بجلال الدين السيوطي . الناشر دار الباز بمكة، الطبعة الأولى ١٤١٧.
- **أسباب النزول** لعلي بن أحمد الواحدي، تحقيق: أحمد صقر، دار القبلة جدة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ .
- **الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية** لعمر بن علي بن موسى البزار أبو حفص، تحقيق : زهير الشاويش، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠.
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : د. ناصر العقل، الطبعة : السابعة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية .
- **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء** . لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية . تحقيق : عبد العزيز بن محمد الخليفة . ط الثالثة ١٤٢٧، الناشر : دار الصميعي .
- **جامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم** (مع

الفتح) لمحمد بن إسماعيل البخاري. المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.

- **جامع المسائل** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية . (خمس مجلدات)، جمع: محمد عزيز شمس، من منشورات دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٨ .
- **الجامع لحكام القرآن** لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الفكر، ط الأولى ١٠٤٨ .
- **الجامع لشعب الإيمان** لأحمد بن حسين البيهقي الشافعي، تحقيق : عبد العلي حامد، الدار السلفية، ط الأولى ١٤٠٧ .
- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د.علي حسن ناصر ،د.عبد العزيز إبراهيم العسكر ،د. حمدان محمد، الناشر : دار العاصمة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤.
- **حديث الأحرف السبعة لعبد العزيز القارئ**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٣ .
- **الرد على المنطقيين** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر : دار المعرفة – بيروت .
- **رسم المصحف دراسة لغوية وتاريخية** لغانم قدوري الحمد . اللجنة الوطنية ببغداد، الطبعة الأولى ١٤٠٢.
- **زاد المسير في علم التفسير** لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧

- **سلسلة الأحاديث الصحيحة** لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤١٥ .
- **سنن أبي داود** لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار الفكر
- **سنن الترمذي** (مع تحفة الأحوذي) لمحمد بن عيسى الترمذي، دار الكتب العلمية، الطبعة (بدون) .
- **السنن الكبرى** لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق : عبد الغفار سليمان، وسيد حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ .
- **سنن النسائي** بشرح السيوطي وحاشية السندي لأحمد بن شعيب النسائي، المحقق : مكتب تحقيق التراث، الناشر : دار المعرفة ببيروت، الطبعة : الخامسة ١٤٢٠هـ
- **شرح طيبة النشر في القراءات العشر** محمد بن محمد بن علي النويري، تحقيق:عبد الفتاح أبو سنة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤١٠.
- **شواذ القراءات** لمحمد بن أبى نصر بن عبد الله الكرماني، تحقيق : شمران العجلي، مؤسسة البلاغ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢.
- **الصارم المسلول على شاتم الرسول** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : عصام فارس الحرستاني وآخرون، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٤.
- **صحيح سنن الترمذي** لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتب التربية،

الطبعة الأولى ١٤٠٩ .

- **صحيح مسلم (بشرح النووي)** للإمام مسلم بن الحجاج . المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧.
- **الطراز في شرح ضبط الخراز** لمحمد بن عبدا لله التنسي. تحقيق : د. أحمد شرشال . طبع : مجمع الملك فهد، ط ١ ١٤٢٠ .
- **العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** لمحمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي تحقيق : محمد حامد الفقي، الناشر : دار الكاتب العربي – بيروت.
- **العقيدة الأصفهانية** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : إبراهيم سعيداي الناشر : مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥.
- **غيث النفع في القراءات السبع** لعلي النوري الصفاقسي . ضبط: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٩.
- **الفتاوى الكبرى** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق : حسنين محمد مخلوف، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧.
- **فضائل القرآن ومعلمه وآدابه** للقاسم بن سلام أبي عبيد، تحقيق : أحمد عبد الواحد الخياطي، طبع وزارة الأوقاف المغربية، ط ١٤١٥ .
- **القراءات القرآنية تاريخها .ثبوتها. حجيتها.وأحكامها** لعبد الحليم بن محمد قابة . دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

- **كتاب الآثار** ليعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري(١٨٢هـ)،عني بتصحيحه والتعليق عليه أبو الوفا المدرس بالمدرسة النظامية، عنيت بنشره لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن بالهند سنة ١٣٥٥هـ.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** علي بن أبي بكر الهيثمي، مؤسسة المعارف بيروت، طبعة ١٤٠٦ .
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، الطبعة (بدون) .
- **محاضرات في علوم القرآن** لغانم قدوري الحمد، دار عمار ط ١ ١٤٢٣ .
- **المحتسب في تبيين وجود القراءات والإيضاح عنها** لعثمان ابن جني، تحقيق: على النجدي، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، دار سزكين، الطبعة الثانية ١٤٠٦ .
- **المحلى** لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري، المحقق: لجنة إحياء التراث، دار الآفاق الجديدة بيروت، الطبعة (بدون) .
- **مختصر شواذ القراءة** للحسين بن أحمد خالويه، أخرجه : آثر جفري، عالم الكتب، الطبعة (بدون) .
- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز** لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة . حققه (طيار آلتي قولاج)، دار صادر بيروت، طبع عام ١٣٩٥.

- **مسند** الإمام أحمد بن محمد بن حنبل، بإشراف : عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى ١٤١٩ .
- **المعجم الكبير** لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤.
- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية** لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المحقق : د. محمد رشاد سالم، الناشر :مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.
- **النشر في القراءات العشر** لمحمد بن محمد الشهير بابن الجزري . دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة (بدون).

ما أعربه ابن كيسان
من القرآن الكريم
جمعًا ودراسةً

د. سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله العيوني

د. سليمان بن عبدالعزيز بن عبدالله العيوني

- عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: (ما أعربه الكسائي من القرآن الكريم جمعاً ودراسةً).
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان: (إرشاد الطالب إلى لفظ اللباب) لأحمد بن محمد الغنيمي الأنصاري من أوله وحتى نهاية المرفوعات تحقيقاً ودراسة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا بحث عما أعربه ابن كيسان النحوي من القرآن الكريم، وقد جمعت أكثر إعراباته من كتب تلميذه الوفي أبي جعفر النحاس، وبعضها من كتب ابن كيسان نفسه، وبعضها من مراجع أخر.

وقد تريَّثت في هذا البحث؛ لعلمي أن ابن كيسان قد كُتِبَتْ فيه ثلاث رسائل علمية، ودراسة ماتعة، أما الدراسة فللدكتور محمد إبراهيم البنا، بعنوان (ابن كيسان النحوي، حياته، وآثاره، وأراؤه)[1]، وأما الرسائل فالأولى رسالة (ماجستير) بعنوان (أبو الحسن بن كيسان، وآراؤه في النحو واللغة)، لعلي مزهر الياسيري، في جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، سنة ١٩٧٦م[2]، والثانية رسالة (ماجستير) بعنوان (ابن كيسان وأثره في الدراسات النحوية)، لمحمد أبو بكر بعيج، في جامعة القاهرة، دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، سنة ١٩٧٨م، والثالثة رسالة (ماجستير) بعنوان (ابن كيسان النحوي)، لمحمد بن محمود الدعجاني، في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم اللغة والنحو والصرف، سنة ١٣٩٨.

---

(١) طبعتها دار الاعتصام بمصر، سنة ١٣٩٥، ثم أعاد نشرها في مجموع (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.

(٢) وقد طبعتها دار الرشيد، في بغداد، سنة ١٩٧٩م.

ولم أُقْدِمْ على هذا البحث إلا بعد أن تأكدت من أن هذه الدراسات لم تدرس ما يرمي إليه هذا البحث، وأنه يكشف جوانب مهمة من نحو ابن كيسان لم تكشف عنه هذه الدراسات، ويتبين هذا في الأمور الآتية:

١-أن جميع هذه الدراسات لم تعتمد على كتب تلميذ ابن كيسان الوفي أبي جعفر النحاس، ولم تَتَتَبَّعْ -فضلاً أن تحصر- نقوله النحوية واللغوية والإعرابية الكثيرة عنه، وفيها من علمه ونحوه شيء كثير، وقد نقلتُ عنه (٢٣) إعرابًا، أكثرها بلفظ ابن كيسان[١].

٢-أن اهتمام هذه الدراسات كانت متجهًا لما نُقل عن ابن كيسان من نحو ولغة، ولم تحفل كثيرًا بإعرابه القرآن الكريم[٢]، فالدكتور البنا ذكر في دراسته إعراب ابن كيسان لست آيات، درس منها خمس آيات فقط، والدكتور الدعجاني ذكر في رسالته إعراب ابن كيسان لخمس آيات، ودرس آيتين فقط[٣]، وذكرتُ في بحثي إعرابه لاثنتين وأربعين آية في سبع وثلاثين مسألة.

٣-أني وجدتُ في إعرابات ابن كيسان للقرآن الكريم نحوًا كثيرًا له لم تسجله هذه الدراسات، فنسبتُ له ثلاثة آراءٍ نحوية انفرد بها، وأربعة عشر

---

(١) انظر: الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٢) عقد د. البنا في (ابن كيسان النحوي) فصلاً لإعراباته ص١٢٧، ولكنه لم يحفل فيه بإعراب القرآن الكريم، بل كان أكثره في الحقيقة مسائل نحوية، ففيه كلام على إعرابه لصيغة التعجب (أَفْعِلْ به)، وإعراب المخصوص بالمدح والذم، وإعراب (حبذا)، وأسلوب (ضربي زيدًا قائمًا)، وأساليب أخر.

(٣) وقد ذكروا كلام ابن كيسان على آيات كثيرة، ولكنه كان كلامًا لغويًا أو تفسيريًّا، لا إعرابًا.

رأيًا نحويًّا اكتفت كتب النحو بنسبتها إلى غيره[١].

٤ - أني وجدتُ في إعرابات ابن كيسان ما يخالف شيئًا من نحو ابن كيسان[٢]، إما الذي في كتبه، وإما المنسوب إليه في كتب النحو، ولمَّا لم يقف أصحاب هذه الدراسات على هذه الإعرابات لم يتحرر مذهب ابن كيسان النحوي في هذه المسائل، ومن ذلك أنهم اكتفوا[٣] بدراسة مذهبه في العطف بـ(ولكنْ) بما نُسب إليه في كتب النحو من أن العاطف عنده (لكنْ) والواو زائدة غير لازمة، ولكنه في إعرابه لقوله - I -: ﴿ r9»Ä` äqçqä} ‘/»ÿ¿` ﴾[٤] قال: ((الواو هي العاطفة، و(لكنْ) للتحقيق))، وقد حاولتُ تحرير مذهبه في العاطف هنا[٥].

٥ - أني قد أخالف أصحاب هذه الدراسات في بعض الأحكام، فأنبِّه على ذلك في البحث، ومن ذلك مخالفتي د. البنا في استنتاجه أن ابن كيسان ممن يرون أن الكاف تأتي للتعليل أخذًا من قوله إن معنى قوله - I - ﴿ .J$ ‹Ï $ZÏü™ö Nà6 ‘Niq|¡ ....﴾[٦] هو: اذكروني كما ذكرتكم بإرسال رسول فيكم أذكركم؛ لأن من نقلوا هذا التفسير عنه نقلوه على معنى التشبيه، لا

(١) انظر الفصل الثالث (المذاهب النحوية في إعرابات ابن كيسان).

(٢) انظر الكلام على مخالفة بعض إعراباته لنحوه في الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٣) انظر: (ابن كيسان النحوي) د. البنا ١٧٢ - و(ابن كيسان النحوي) د. الدعجاني ٣٠٧.

(٤) سورة آل عمران ٧٩.

(٥) انظر المسألة (١٨).

(٦) سورة البقرة ١٥١.

التعليل[١].

وقد بنيتُ هذا البحث على الخطة الآتية:

- المقدمة.

- التمهيد، وفيه ترجمة ابن كيسان النحوي.

- القسم الأول: إعرابات ابن كيسان ترتيبًا ودراسةً، وقد درستُ فيه (٤٢) إعرابًا، في (٣٧) مسألة، مرتبة على ترتيب المصحف.

- القسم الثاني: الدراسة المنهجية، وفيه أربعة فصول:

- الفصل الأول: نقل إعرابات ابن كيسان.

- الفصل الثاني: منهج ابن كيسان في إعراب القرآن الكريم.

- الفصل الثالث: المذاهب النحوية في إعرابه القرآن الكريم.

- الفصل الرابع: المصطلحات النحوية في إعرابه القرآن الكريم.

- مصادر البحث ومراجعه.

والحمد أولاً وآخرًا، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

(١) انظر المسألة (١٣)، وانظر مخالفتي للدكتور الدعجاني في المسألة (٣٢).

التمهيد

التعريف بابن كيسان النحوي

هو[١] أبو الحسن، محمد بن أحمد بن كيسان، وقيل: (كيسان) لقب جده، وقيل: لقب أبيه، وقيل: لقبه[٢]، والظاهر أن (كيسان) جَدٌّ العائلة المشهور الذي تنتسب إليه، فيلقب به كلٌّ مشهور فيها.

لم تذكر كتب التراجم قبيلته، ولكني وجدتُ تلميذه الوفي أبا جعفر النحاس (ت ٣٣٨) قال عنه: ((ابن كيسان الأزدي))[٣]، فلا أدري أهي قبيلته أم ولاؤه؟

أخذ عن المبرد البصري (ت٢٨٥)[٤]، وثعلب الكوفي (ت ٢٩١)[٥]، فكان مُلِمًّا بمذهب البصريين والكوفيين، وكان من الذين خلطوا بين المذهبين وانتقوا منهما.

وكان عارفًا باللغة، حافظًا لها ولأشعارها، مشاركًا في عدة علوم.

وكان مجلسه غاصًّا بالطلبة، وربما ((اجتمع على باب مسجده نحو

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي ١٥٣ - وتاريخ بغداد ١/ ٣٣٥- ونزهة الألبا ٢٠٨ - وإنباه الرواة ٣/ ٥٧ - وإرشاد الأريب ١٧/ ١٣٧ - وبغية الوعاة ١/ ١٨، وفي ابن كيسان دراسة وثلاث رسائل علمية ذكرتها في المقدمة.

(٢) وقد زادت كتب التراجم في نسبه واختلفت، انظر الكلام على ذلك في: (ابن كيسان النحوي) د. البنا ١٤ - و(ابن كيسان النحوي) د. الدعجاني ١٩.

(٣) معاني القرآن للنحاس ١/ ٣٦٤.

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي ١٠٨ - وبغية الوعاة ١/ ٢٦٩.

(٥) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي ١٥٥ - وبغية الوعاة ١/ ٣٩٦.

مائة رأس من الدواب للرؤساء والكُتّاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه))[١].

وممن أخذ عنه: أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨)[٢]، وأبو القاسم الزجاجي (ت٣٤٠)[٣]، وأبو عمر محمد بن عبدالواحد المعروف بغلام ثعلب (ت ٣٤٥)[٤]، وأبو علي القالي (ت ٣٥٦)[٥]، وأبو عبدالله المرزباني (ت ٣٨٤)[٦].

((وله كتب كثيرة نافعة))[٧]، تجاوزت عشرين كتابًا[٨]، فمنها: (معاني القرآن)، و(غريب الحديث)، وهما في تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف، ومنها: (المهذب في النحو)، و(كتاب الحقائق)، و(المختار في علل النحو)، وهذه في النحو، و(التصاريف)، و(المذكر والمؤنث)، و(المقصور والمدود)، وهذه في التصريف.

وقد فُقِدَ كثير من هذه الكتب، ولم يطبع منها إلا: (الموفقي)[٩]، وهو

(١) إرشاد الأريب (معجم الأدباء) ١٧ /١٣٩.

(٢) انظر ترجمته في طبقات الزبيدي ٢٣٩ - وبغية الوعاة ١ /٣٦٢.

(٣) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي ١٢٩ - وبغية الوعاة ٢ /٧٧.

(٤) انظر ترجمته في: طبقات الزبيدي ٢٢٩ - وبغية الوعاة ١ /١٦٤.

(٥) انظر ترجمته في: طبقات النحويين ٢٠٢ - وبغية الوعاة ١ /٤٥٣.

(٦) انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٣ /١٣٥ - وإنباه الرواة ٣ /١٨٠.

(٧) تاريخ العلماء النحويين لابن مسعر ٥١.

(٨) ذكرها بالتفصيل: د. البنا في (ابن كيسان النحوي) ٥٧ - ود. الياسيري في (أبو الحسن بن كيسان) ٦٥ - ود. الدعجاني في (ابن كيسان النحوي) ٩٦.

(٩) حققه د. عبدالحسين الفتلي وهاشم شلاش، في مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الثاني، ١٣٩٥، =

مختصر في النحو، و(تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها)[1]، وهو في علم القوافي، وجزء من كتابه (شرح المعلقات)، وهو معلقة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان[2]، ومختصر من كتابه (الفرق بين السين والصاد)[3].

وقد اختُلف في زمن وفاة ابن كيسان، فقيل سنة (٢٩٩)، وهذا رجحه د. محمد البنا[4]، وقيل سنة (٣٢٠)، وهذا رجحه د. الياسري ود. الدعجاني[5]، بأمور تجعله الأقرب إلى الرجحان، منها رواية القالي عنه، والقالي إنما دخل بغداد سنة (٣٠٥)، ومنها رواية المرزباني عنه، والمرزباني إنما وُلد سنة (٢٩٦).

= ص١٠٣-١٢٤.

(١) نشره المستشرق وليم رايت سنة ١٨٥٢م، مع رسائل أخرى في مجموع، ثم حققه د. إبراهيم السامرائي، ونشره في مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الثاني، من السنة الثانية، ١٣٩١، وأعاد نشره في مجموع (رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ)، طبعته مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، سنة ١٤٠٨، ثم حققه د. محمد البنا، وأعاد نشره في مجموع (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.

(٢) نشره المستشرق شلوسنجر، في مجلة الأشوريات، المجلد (١٦)، سنة ١٩٠١م، ثم حققه د. محمد البنا، ونشره سنة ١٤٠٠، وأعاد نشره في مجموع (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.

(٣) اختصره أبو عبدالله محمد بن أحمد، ابن القماح (ت ٧٤١)، وحققه أستاذنا الدكتور تركي بن سهو العتيبي، ونُشر في مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الثالث، ١٤٢١، ص١٤٩-٢٠٤.

(٤) انظر: (ابن كيسان النحوي) د. البنا ص١٩.

(٥) انظر: (أبو الحسن بن كيسان) د. الياسيري ٣٤- و(ابن كيسان النحوي) د. الدعجاني ٣٩.

القسم الأول:
إعرابات ابن كيسان، ترتيباً ودراسةً

١ -سورة الفاتحة، الآية ٢

نصب (ربَّ) في قراءةِ: (šú üÜ=»è$$ ˜U ' ﭑ ‰ô s$$)

وهي قراءة شاذةٌ، تُنسب لزَيْدِ بن عَلِيٍّ، وطائفة[1]، وقد اختلف المعربون في انتصاب (رَبّ) على ستّة إعرابات: فقيل: منصوبٌ على القطع المراد به المدح، ، وقيل: منصوبٌ على النداء المضاف كأنّك قلت: (يا رَبَّ العالمين)، وقيل: منصوبٌ بفعل مقدّر دَلَّ عليه (‰ô s$$ ﭑ)، وتقديره: (أَحْمَدُ، أو نَحْمَدُ)، وقيل: منصوبٌ بالمصدر (الحمد)، وقيل: إنَّ (رَبَّ) فعلٌ ماضٍ مِن: (رَبَّ يَرُبُّ رَبًّا)، و(العالمين) مفعولٌ به، وقيل: منصوبٌ على الحال[2].

والذي يَهُمُّنا هنا الإعرابان الأوَّلان، فقد ارتضى ابنُ كَيْسانَ الأوَّلَ، واستبعدَ الثانيَ، فقال: ((يَبْعُدُ النَّصْبُ على النِّداءِ المضافِ؛ لأنه يَصِيْرُ كلامين، ولكنَّ نَصْبَهُ على المَدْحِ))[3].

أما الإعراب الأول فهو إعراب سيبويه، واختاره: الزمخشري،

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (البابي) ١/ ٣٥، والمحرر الوجيز (المغربية) لابن عطية ١/ ٦٤، والبحر المحيط لأبي حيان ١/ ١٣١، والدر المصون للسمين الحلبي ١/ ٦٧.

(٢) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٧١- والبيان للكمال الأنباري ١/ ٣٥- والفريد للهمذاني ١/ ١٦٤ - والبحر المحيط ١/ ١٣١- والدر المصون ١/ ٦٧.

(٣) إعراب النحاس ١/ ١٧١.

والعكبري، والهمداني، والقرطبي، وأبو حيان، وابن هشام، والألوسي، وقال: ((بل يكادُ يَقطَعُ الظاهرُ بالقَطْعِ))[١].

فعلى ذلك يكون (ربَّ) مفعولاً به لفعل محذوف ملائم، تقديره نحو (أَمْدَحُ أو أَذْكَر)، لا (أعني)؛ لأنَّ المنعوت مُتَعَيِّنٌ[٢].

وقد ضُعِّفَ هذا الإعراب بأنَّ الصفاتِ بعد (رَبّ) مجرورة، وقد نصَّ النحويون على أنه لا إتباعَ بعد القطع في النعوت[٣].

وأُجِيْبَ عن ذلك بأنَّ الأَهْوَازيَّ حكى في قراءة زيد بن علي أنه قرأ: (' U ˜$#è»=Ü ü úš.$#9$q» `$#9$mïšO) بنصب الثلاثة، فلا ضَعْفَ حينئذٍ[٤]، وبأن النحويين اختلفوا في الإتباع بعد القطع، فأجازه بعضُهم كابن أبي الرَّبِيْعِ السَّبْتي، وروى شواهدَ تَدُلُّ عليه، ومنعه الأكثرون[٥].

أما الإعراب الثاني فهو إعراب الزجاج[٦]، وقال الشهاب الخفاجي عنه: ((وهو ظاهر))[٧]، وجوّزه: مَكِيٌّ، والكمال الأنباري، والبيضاوي[٨].

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه ١/٢٤٨- والكشاف (البابي) ١/٥٣- والتبيان للعكبري ١/٥- والفريد ١/١٦٤- والجامع للقرطبي ١/١٣٩- والبحر المحيط ١/١٣١- وأوضح المسالك لابن هشام ٣/٣٠٢- وروح المعاني للألوسي ١/٨٤.

(٢) انظر: الدر المصون ١/٦٧- وروح المعاني ١/٨٤.- وحاشية الشهاب على البيضاوي ١/٩٥.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/١٣١، والدر المصون ١/٦٨.

(٤) انظر: البحر المحيط ١/١٣١، وحاشية الشهاب ١/٩٥، وروح المعاني ١/٨٤.

(٥) انظر: البسيط في شرح الجمل ١/٣١٦-٣١٧- وهمع الهوامع (الكتبي) ٢/١١٩.

(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/٤٧، وإعراب النحاس ١/١٧١.

(٧) حاشية الشهاب على البيضاوي ١/٩٥.

(٨) انظر: مشكل إعراب القرآن لمكي ١/٦٨- والبيان ١/٣٥- تفسير البيضاوي ١/٢٥.

وهـذا الإعـراب ضـعّفه ابـنُ كيسـان واسـتبعده؛ لأنـه يصـيِّر الآيـة كلامين، وكأنَّ الاتصالَ هو الأولى عنده ما أمكـن، أو لأن الاتصـال أقـوى لأنه بمعنى قراءة الجر، وهي قراءة الجمهور.

فإن قيل: إن الإعـراب الأول يصـيِّر الآيـة كلامـين، لأن (الحمـد لله) جملة، و(أمدح رب العالمين) جملة، قلتُ: الجملة الثانية في قوة النعت التابع، لأن معناها: الحمد لله الذي أمدحه بذلك[1].

وممـا يُقَـوِّي هـذا الإعـراب أنَّ السـورة دعـاءٌ، وتَتَحَـوَّلُ إلى أسـلوب الخطـاب مـن قولـه: ($fÎ , %çèR)، فعـلى هـذا القـول تكـون هـذه الآيـة: ($$s ‰ðÎ + ' U $$èÎ=»üÜ úš) مشـيرةً إلى الخطـاب القـادم، وممهِّـدةً لـه، وبرهانُ ذلك قولُ المصلي بعدها: (آمين).

٢ -سورة الفاتحة، الآية ٧

جَرُّ (غير) في: (îöxî$$Jø óÒ qâÅU ôÎgøæ r$$Ï9 Ò$$Jüû)

في إعراب (غـير) بـالجر ثلاثـة إعرابـات، فقيـل: نعـتٌ لـ(الـذين) في (ÂŽÅÞ$#ÏïüûÎ èR ðM| ãøgîÎ)، وقيل: بـدلٌ مـن (الـذين)، وقيـل: بـدلٌ مـن الضمير في (عليهم)[2].

(١) وضَعَّفَ هـذا الإعـرابَ: السـمينُ الحلبـي، والشـيخ زاده، والشـهاب الخفـاجي، والألـوسي بمضعِّفات أُخَر، منها: أن فيه لبساً؛ لأن معناه: الحمد لله يا رَبَّ العالمين، فكأنّك قلت لَمِلِكٍ: الشكرُ للمَلِكِ يا أيُّها المَلِكُ، ومنها أن فيه التفاتًا لم تكمل شرائطه، ولا يكاد يلتفت إليه. انظر: الدر المصون ١/ ٦٧- وحاشية زاده على البيضاوي ١/ ٣٤- وحاشية الشهاب ١/ ٩٥- وروح المعاني ١/ ٨٤.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ١٤٨- والدر المصون ١/ ٨٣.

وقد جاء عن ابن كيسان تجويز الإعراب الثالث، فقال: ((ويجوزُ أنْ يكونَ بدلاً مِن الهاءِ والميمِ في (عليهم)))[١]، ومعنى تجويزه أنه يجيز في الآية غير هذا الإعراب، ولا أستبعد أنه يقدِّم عليه الإعرابين الأولين، فهما قول كبار النحويين والمعربين، فالأول قول سيبويه[٢]، وجَوَّزهما: الأخفش، والفراء، والمبرد[٣]، وجوَّزهما فيما بعد: الطبري، والزجاج، والنحاس، والزمخشري[٤].

وقد جرت عادة كثير من النقلة على نقل الإعراب المشهور في الآية عن كبار المعربين، ثم ينقلون الإعرابات غير المشهورة أو الإعرابات الضعيفة معزوة إلى من جوزها، من دون الإشارة إلى أن هؤلاء المجوزين يقدمون الإعراب المشهور، ويجوزون ما نُسب إليهم، وربما كانوا يجوزونه على ضعف[٥].

وما جوَّزه ابن كيسان في (غيرِ) ضَعَّفه: الفراءُ[٦]، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والألوسي[٧]، بأنَّ التقدير: صراط الذين أنعمتَ على غير

(١) إعراب النحاس ١/١٧٥-١٧٦.

(٢) انظر: الكتاب ١/٣٣٣ (هارون).

(٣) انظر: معاني الأخفش ١/١٧- ومعاني الفراء ١/٧- والمقتضب ٤/٤٢٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري ١/١٠٧- ومعاني الزجاج ١/٥٣- وإعراب النحاس ١/١٧٥- والكشاف ١/٢٦.

(٥) انظر: الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٦) انظر: معاني الفراء ١/٧، وردُّ الفراء إياه يدل على أنه قيل به قبل ابن كيسان.

(٧) انظر: البحر المحيط ١/١٤٨- والدر المصون ١/٨٣- وروح المعاني ١/٩٤.

المغضوب عليهم، وهذا يؤدي إلى خلو الصلة من العائد، كما أن معناه لا يخلو من الركاكة بحسب المعنى[1].

ولعل الذي دعا إلى هذا الإعراب الفرارُ من الإعراب الأول، الذي يؤدي إلى جعل (غير المغضوب عليهم) نعتًا لـ(الذين)، مع أن (الذين) معرفةٌ، و(غير) نكرةٌ وإن أُضيفت إلى معرفة لتوغُّلها في التنكير، وقد أُجِيْبَ عن هذا بجوابين مقبولين: الأول أن الموصول قد يُعامل معاملة النكرات لمشابهته إياها في الإبهام، والآخر أنَّ بعض النحويين يرى أن (غيرًا) إذا وقعت بين ضدين تعرَّفت؛ لانحصار الغيريَّة، كما هنا[2]، ولو صَحَّ هذا الإشكال على الإعراب الأول لأغنى عنه الإعراب الثاني لا الثالث، فكيف وهو لا يصِحُّ.

٣ -سورة البقرة، الآية ١

إعراب الحروف المقطعة في الآية (#O9)

الاختلاف في تفسير الحروف المقطعة الواقعة في أوائل بعض السور من ((الاختلاف المنتشر الذي لا يكاد ينضبط))[3]، وعليه انبنى الخلاف في إعرابها على أقوال كثيرة تعود إلى مذهبين[4]:

---

(١) انظر: الدر المصون ١/ ٨٣- وروح المعاني ١/ ٩٤.

(٢) انظر: المفصل ١١٧ - والبحر المحيط ١/ ١٤٨ - والدر المصون ١/ ٨٣- وأوضح المسالك ٢/ ٢٧٥- والمغني ١/ ٢١٠- وتفسير أبي السعود ١/ ١٨- وروح المعاني ١/ ٩٤.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ١٥٨.

(٤) أصل هذا الحصر في الدر المصون ١/ ٨٨، وكمَّلْتُه بمراجعة تفسير الحروف المقطعة وإعراباتها.

١ -أنها لا محل لها من الإعراب، وهذا على قول من فسرها بأنها أسماء حروف الهجاء[١]، والمراد بها العَدُّ، فليس فيها تركيب، وليست جزءَ جملةٍ اسمية أو فعلية، فلم يدخلها إعراب[٢].

٢ -وأنها جزءُ جملةٍ اسميةٍ أو فعلية، فحكمُها إما الرفعُ مبتدأً أو خبرًا، وإما النصبُ مفعولاً بها، وإما الجرُّ مجرورةً بحرفِ قسمٍ محذوف، ويدخل في هذا المذهب قول من جعلها أسماءً لسورها، أو بعضَ أسماءِ الله تعالى، أو فواتحَ لسورها، ونحو ذلك.

ومن أهل المذهب الثاني ابن كيسان، فهو يرى أن هذه الحروف ((فاتحة السورة))[٣] التي هي فيها، ومن ثَمَّ جعلها معربةً، وجوَّز فيها النصبَ مفعولاً بها، والرفعَ خبرًا لمبتدأٍ محذوف، فقال: ((موضعُ (الم) نَصْبٌ، بمعنى (اِقْرَأْ الم)، أو (عليك الم)، ويجوزُ أنْ يكونَ موضعه رَفْعًا، بمعنى (هذا الم)، أو(هو)، أو (ذاك)))[٤].

---

(١) اختلف أهل هذا التفسير في معنى هذه الحروف حينئذ، فقال بعضهم هي من المتشابه الذي اختص الله بعلمه، قال السَّعْدي في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) ١ /٤٠: ((فالأسلم فيها السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم يُنزلها عبثًا، بل لحكمةٍ لا نعلمها))، وقال كثير من المحققين: إنها لبيان إعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وقيل غير ذلك. انظر: الكشاف ١ /٣٠- وتفسير القرطبي ١ /١٥٤- وتفسير ابن كثير ١ /٣٩- والبحر المحيط ١ /١٥٦.

(٢) هذا قول: الخليل وسيبويه في الكتاب ٢ /٣٤- والأخفش في معانيه ١ /١٩- والفراء في معانيه ١ /٩.

(٣) تفسير الثعلبي ١٠ /٦- وتفسير القرطبي ١٨ /٢٢٤.

(٤) إعراب النحاس ١ /١٧٧- وتفسير القرطبي ١ /١٥٧- والبحر المحيط ٢ /٣٩٢.

ولا شك أن الترجيح بين هذين المذهبين قائم على الترجيح في التفسير، وأنه مهما صَحَّ المذهب الثاني فإن أصحَّ إعراباته ما جوَّزه ابن كيسان، لأن الرفعَ -على أنه خبر لمبتدأٍ محذوف، والنصبَ على أنه مفعول به لفعل محذوف- كثير فاشٍ في نحو هذا، وجوَّز غيرُ ابن كيسان أن تكون مبتدأً خبرُهُ ما بعده[1].

ويلحظ أن ابن كيسان أجاز في النصب أن يكون بفعل محذوف، أو باسمِ فعلِ أمرٍ محذوفٍ قدَّره بـ(عليكَ) أي: الزِمْ، والنصب باسمِ فعلٍ محذوف مسألة خلاف، منعها أكثر النحويين، كسيبويه والزجاج وابن هشام، وأجازها بعضهم، كالفراء وابن مالك[2]، وهذا الإعراب من ابن كيسان يدل على أنه من المجيزين.

هذا، وقد نُقل هذا الإعرابُ عن ابن كيسان أيضًا في عدة آيات من آيات الحروف المقطعة، والذي وقفت عليه: آية سورة الأعراف (المص)[3]، وآية سورة الروم (الم)[4]، وآية سورة القلم (ن)[5].

---

(١) انظر: مشكل مكي ١/٧٣- والتبيان ١/١٤- والدر المصون ١/٨٩.

(٢) انظر تباعًا: الكتاب ١/١٢٧- ومعاني الزجاج ١/٣٦- والمغني ٨٠٤- ومعاني الفراء ١/٢٦٠- وشرح الكافية الشافية ٣/١٣٩٤، وانظر: التصريح لخالد الأزهري ٢/٢٠٠- وشرح الأشموني ٣/١٥٧- وحاشية الخضري ٢/٩١.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٧/١٦٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي ١٤/١.

(٥) انظر: تفسير الثعلبي ١٠/٦- وتفسير القرطبي ١٨/٢٢٤.

٤ -سورة البقرة، الآية ٤

توجيه قراءة: (7 ø Aî Rè $yÎ)

أجاز الإمام الكسائي في قوله تعالى: (7 ø Aî Rè $yÎ) حذف الهمزة من (إليك)، وإدغام اللام في اللام، فيُقرأ: (أُنْزِلَّيْكَ)، وشبَّهَ ذلك بقوله تعالى: (O$̈Z»Å3 © 9 $qèd ª! ’În)[1]، ورَدَّ ابن كيسان قوله، فقال: ((ليس مثلَه؛ لأنَّ النونَ مِن (لكنْ) ساكنةٌ، واللامُ مِن (أُنْزِلَ) متحركةٌ))[2].

وما جوَّزه الكسائي هنا هي قراءة شاذة في الآية[3].

ومعنى كلام الكسائي[4] أن همزة (إِليك) حُذِفَتْ حَذْفًا مع حركتها، فالتقى مثلان أولهما متحرك، وهما اللامان، فأدغِما إدغامًا كبيرًا، وهذا ما حَدث عنده في آية الكهف (O$̈Z»Å3 © 9 $qèd ª!)[5]، فأصلها (لكنْ أَنا)، فحُذِفت الهمزة مع حركتها حذفًا، فالتقى مثلان أولهما ساكن، وهما النونان، فأدغِما إدغامًا صغيرًا.

---

(١) سورة الكهف ٣٨.

(٢) إعراب النحاس ١/ ١٨٣.

(٣) انظر: التبيان للعكبري ١/ ١٩- والبحر المحيط ١/ ١٦٦- والدر المصون ١/ ١٠٠- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/ ١٦٣، ونسبها ابن جني في الخصائص ٣/ ١٤١ إلى الكسائي، والذي في إعراب النحاس ١/ ١٨٣ أن الكسائي إنما أجازها من حيث اللغة.

(٤) انظر: الخصائص ٣/ ١٤١.

(٥) الآية ٣٨، انظر: إعراب النحاس ٦/ ٤٥٦- وتفسير القرطبي ١٠/ ٤٠٥- و البحر المحيط ٦/ ١٢١.

والـذي يـراه الجمهـور في الهمـزة المتحركـة أنهـا لا تحـذف حـذفًا مـع حركتها، بل تحذف حركتها أولاً على ما قبلهـا إن كـان سـاكنًا، ثـم تحـذف، نحو: (مَنَ بُوْكَ؟) في (مَنْ أَبُوك؟)، وهذا ما حدث في آية الكهف عنـدهم، فقد ألقيت حركة الهمزة على نـون (لكـنْ) السـاكنة، ثـم أدغمـت النـون في النون[1].

أما إن كان ما قبل الهمزة المتحركة متحركًا فلا تحذف، وإنما تُقلـب أو تُسهَّل بينَ بينَ على حسب حركتها وحركة مـا قبلهـا، فـإن كانـت مكسـورة وقبلها مفتوح -كما في آية سورة البقرة هنا- فليس فيها سوى التسهيل بـينَ بينَ[2].

وعلى ذلك يـردُّ الجمهـور مـا جـوَّزه الكسـائي في الآيـة مـن الحـذف؛ ويوجبون في مثله التسهيل بينَ بينَ، ويعدون هذه القراءة من الشاذ الذي لا يقاس عليه، فيقـدِّرون أولاً تسـكينَ المتحـرك قبـل الهمـزة، ثـم نَقْـلَ حركـة الهمزة إليه، ثم حَذْفَ الهمزة[3].

كما يردُّون تشبيه الكسائي آية البقـرة بآيـة الكهـف؛ لأن آيـة الكهـف جارية على القياس؛ لأن ما قبل الهمزة فيها ساكن، أما آية البقرة فمن الشاذ؛ لأن ما قبل الهمزة فيها متحرك.

---

(١) انظر: البحر المحيط ٦/ ١٢١- والدر المصون ١/ ٤٥٦.

(٢) انظر: شرح الكافيـة الشـافية لابـن مالـك ٤/ ٢١٠٧- وشرح الكافيـة للـرضي ٣/ ٤٤-٤٧- والارتشاف ١/ ٢٧١.

(٣) انظر: التبيان للعكبري ١/ ١٩- والبحر المحيط ١/ ١٦٦- والدر المصون ١/ ١٠٠.

واعتراض ابن كيسان هنا يجعله مع الجمهور.

والغريب أنَّ ما اطلعت عليه من كتب النحو لا تذكر خلاف الكسائي[١] في جواز حذف الهمزة المكسورة المفتوح ما قبلها، حتى نقل الرضي عدم الخلاف في ذلك[٢].

٥ -سورة البقرة، الآية ٦

خبر (إنَّ) في: (bÎ) šúïÏ%©!$# (#rãxÿx. íä!#uqy™ óOÎgøŠn=tæ öNßgs?ö‘x‹Rr&uä ÷Pr& öNs9 öNèdö‘É‹Zè? Ÿw šcqãZÏB÷sム)

اختلفت كلمة المعربين في خبر (إنَّ) في الآية على ثلاثة إعرابات:

١ -أن الخبر جملة (سواءٌ عليهم أأنذرتهم ....)، ثم اختلف أهل هذا الإعراب في إعراب جملة الخبر على قولين: الأول: أن (سواءٌ) مبتدأ خبره (أأنذرتهم)، أي: إنهم سواءٌ عليهم إنذارك وعدمُه، والثاني: أن (سواء) خبر مقدَّمٌ مبتدؤه (أأنذرتهم)، أي: إنهم إنذارك وعدمه سواءٌ عليهم.

٢ -أن الخبر (سواءٌ)، و(أأنذرتهم) فاعلٌ بالمصدر (سواء)؛ لأنه بمعنى الوصف (مُسْتَوٍ)، أي: إنهم مستوٍ عليهم إنذارك وعدمه.

٣ -أن الخبر جملة (لا يؤمنون)، وما بينهما اعتراض للتأكيد.

والذي جاء عن ابن كيسان في إعراب الآية قوله: ((يجوزُ أنْ يكونَ (سواءٌ) خبرَ (إنَّ) وما بعدَهُ يقومُ مَقامَ الفاعل، ويجوزُ أنْ يكونَ خبرَ (إنَّ)

---

(١) ونحوه ثعلب الذي جوَّز حذف الهمزة المفتوحة المكسور ما قبلها. انظر: الخصائص ٣/١٤١-١٤٢.

(٢) انظر: شرح الكافية للرضي ٣/٤٧.

(لا يُؤْمِنُونَ)، أي: إنَّ الذين كفروا لا يؤمنون))[1].

فابن كيسان هنا يجيز الإعرابين الثاني والثالث، وكأنه بتجويزه إياهما لا يمنع غيرهما، بل يجيز -أو يقدِّم- الإعراب الأول الذي هو إعراب الأكثرين[2]، كشيخه المبرد[3]، أما الإعراب الثاني الذي جوَّزه ابن كيسان فجوَّزه أيضًا مَكِيٌّ، والزمخشري، ونُسب إلى كثير من الناس[4].

وفي هذا الإعراب وقوعُ جملةِ (أأنذرتهم) فاعلاً[5]، وفي وقوع الفاعل جملةً خلافٌ، فمنعه جمهور البصريين، وأجازه جماعة من الكوفيين كهشام[6] وثعلب، وأجازه الفراء إذا كانت الجملة معمولة لفعل من أفعال القلوب وعُلِّق عنها، ونُسِب هذا لسيبويه[7].

ومع ذلك لا يمكن إلحاق ابن كيسان بالمجيزين لهذا الإعراب؛ لأن الجملة مع همزة التسوية مؤولة بمفرد باطرادٍ عند النحويين، حتى عَدَّ

(١) إعراب النحاس ١/ ١٨٤، وانظر: تفسير القرطبي ١/ ١٨٤.

(٢) انظر: شرح الإيضاح لابن الحاجب ١/ ١٥٧.

(٣) قال بهذا الإعراب على القول الأول، انظر: إعراب النحاس ١/ ١٨٤ - وتفسير القرطبي ١/ ١٨٤.

(٤) انظر: مشكل مكي ١/ ٧٦- والكشاف ١/ ٥٦- وشرح الإيضاح لابن الحاجب ١/ ١٥٦.

(٥) وبنحو ذلك رَدَّ الفارسي في الحجة ١/ ٢٦٩ القول الثاني في الإعراب الأول بأن المبتدأ - كالفاعل - لا يقع جملة.

(٦) هو: هشام بن معاوية، أبو عبد الله، الضرير النحوي الكوفي، أَحَدُ أعيان أصحاب الكسائي، ومن كبار النحويين الكوفيين، صنّف (مختصر النحو)، و(الحدود)، تُوفي سنة تسع ومائتين. انظر: إرشاد الأريب ٥/ ٥٩٨ - وبغية الوعاة ٢/ ٣٢٨.

(٧) انظر: البحر المحيط ١/ ١٧٣ -والمغني ٥٥٩ - والهمع ٢/ ٢٧٢.

بعضهم همزة التسوية من الحروف المصدرية[١]، فلذا تجد ممن يختار المنع هنا يجيز إعراب (أأنذرتهم) فاعلاً أو مبتدأ[٢].

وضعَّف ابنُ عَمْرُون[٣] هذا الإعراب بأن الاستفهام لا يعملُ فيه ما قبله[٤]، وتضعيفه ضعيفٌ؛ لأن الاستفهام هنا ليس على حقيقته، إذ لا استفهام في الآية، بل هي خبر محض، فحُمِلت الآية على المعنى كما يُحمل بعض الكلام على المعنى دون اللفظ[٥].

وفضَّل ابن الحاجب الإعراب الأول على الثاني بأن (سواء) ليس بصفةٍ في أصل وَضْعِهِ، فإجراؤه على باب الاسمية كما في الإعراب الأول أولى من إجرائه على باب الوصفية كما في الإعراب الثاني[٦].

قلتُ: هذا نَظَرٌ نحوي بحت، ولكن الناظر في القرآن الكريم يجد أن

---

(١) انظر: أمالي ابن الحاجب ١/٨٢٢- وأوضح المسالك ١/١٨٥- والتصريح وحاشية يس عليه ١/١٥٥-١٥٦.

(٢) انظر: الكشاف ١/٥٦- وأمالي ابن الحاجب ١/٨٢٢- والبحر المحيط ١/١٧٣- والمغني ١٨٩.

(٣) هو محمد بن محمد بن أبي علي، أبو عبدالله، جمال الدين الحلبي، نحويٌّ بارع، أخذ عن ابن يعيش، وجالسه ابن مالك، توفي سنة ٦٤٩. انظر: الوافي بالوفيات ١/١٦١- وبغية الوعاة ٢/٢٣١.

(٤) وبنحو هذا رَدَّ الفارسي في الحجة ١/٢٦٩ القول الثاني في الإعراب الأول بأن الاستفهام لا يتقدم عليه خبره.

(٥) انظر: مشكل مكي ١/٧٦- والتبيان ١/٢١- والبحر المحيط ١/١٧٤- والمغني ١٨٩- والتصريح ١/١٥٥.

(٦) انظر: شرح الإيضاح لابن الحاجب ١/١٥٧، ونقله يس في حاشيته على التصريح ١/١٥٥.

الأكثر في استعمال (سواء) إذا كانت بمعنى الاستواء أن تكون بمعنى الوصف لا الاسم[(١)]، كقوله تعالى: (ö9$è? 4<Ï ¥ 2ŸÎ‡J7 ™q#¥)[(٢)]، وقوله: (þÎû
ÏèΩ/ö ÉΘ$ƒ& ™q#ß !$¡$#Î,.û)[(٣)].

وأما الإعراب الثالث الذي أجازه ابن كيسان أيضًا فقد جوَّزه أيضًا الزجاج، والفارسي، والزمخشري[(٤)]، وقدَّمه القرطبي، والسمين الحلبي[(٥)].

وقد جوَّز أهل هذا الإعراب -على اختلاف بينهم- في الجملة المعترضة بين اسم (إنَّ) وخبرها القولين المذكورين في الإعراب الأول.

٦ - سورة البقرة، الآية ١٦

علة ضم واو الجماعة في: (#$©Iž$9 Ò=‹#' #$#Ý%© 3)

واو الجماعة من الضمائر الساكنة، وإذا انفتح ما قبلها والتقت بساكن بعدها -كما في الآية- فإنها تُضَمّ[(٦)]؛ للتخلص من التقاء الساكنين، وقد

---

(١) انظر: معاني الزجاج ١/٧٧- ومفردات ألفاظ القرآن للراغب ٤٤٠- والكشاف ١/٥٦- والتبيان ١/٢١- والمغني ١٨٨- والدر المصون ١/١٠٣- ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع القاهرة ١/٦١٣.

(٢) سورة آل عمران ٦٤.

(٣) سورة فصلت ١٠.

(٤) انظر: معاني الزجاج ١/٧٧- والحجة للفارسي ١/٢٦٨- والكشاف ١/٥٧.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ١/١٨٤- والدر المصون ١/١٠٣.

(٦) إذا التقت واو الجماعة بساكن بعدها وانفتح ما قبلها فالأفشى والأقيس تحريكها بالضم، وجاء قليلاً تحريكها بالكسر، وأقل منه الفتح. انظر: الكتاب (هارون) ٤/١٥٧- والمقتضب ١/٤٢٢- والمحتسب ١/٥٤-وتسهيل الفوائد مع تمهيد القواعد ٩/٤٦٦٥، ٤٦٦٨- وشرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/٢٠١٠- والارتشاف ٢/٧٢٣.

اختلف النحويون في علة تحريكها بالضم على أربعة أقوال[١]:

١ -للتفريق بينها وبين الواو الأصلية، كواو (لـو) و(أو)، فـإنهما عنـد التقـائهما بسـاكن يـكسران[٢]، نحـو: ($YèÜFó™$$ê)[٣]، وهـذا قـول الخليـل وسيبويه[٤] والجمهور[٥].

٢ -أنها حُرِّكتْ بحركة الياء التي كانت قبلها وحُذِفت لالتقائها ساكنة بها، والأصل (اشترَيُوْا)، وهذا قول الفراء.

٣ -لأن الضمة في الواو أَخَفُّ من غيرها؛ لأنها من جنسها، وهذا قول ابن كيسان[٦]، وابن خالويه[٧].

٤ -لأنها واو جمعٍ، فاختير لها الضم تشبيهًا بـ(نحن) المبنية على الضم وهي ضمير جمع، وهذا قول الزجاج[٨]، وقيل: تشبيهًا بتاء الفاعل، نحو: (ذَهَبْتُ).

ويظهر من الوهلة الأولى أن القول الأول ليس مقابِلاً لبقية الأقوال؛

---

(١) انظر: إعراب القرآن للنحاس ١/١٩٢- ومشكل مكي ١/٧٩- والمحرر الوجيز ١/٩٨- والتبيان للعكبري ١/٣٢- والبحر المحيط ١/٢٠٤- والدر المصون ١/١٢٧.

(٢) هذا الأفشى والأقيس، وقد يضمان. انظر مراجع الهامش قبل السابق.

(٣) سورة التوبة ٤٢.

(٤) انظر: الكتاب (هارون) ٤/١٥٥- والأصول لابن السراج ٢/٣٧٠.

(٥) انظر: الحجة للفارسي ١/٣٦٩- والمقتصد في شرح التكملة ٣٨- والمفصل ٤٩٤- وشرح الشافية للرضي ٢/٢٤٣- وتمهيد القواعد ٩/٤٦٦٨.

(٦) انظر: إعراب القرآن لابن النحاس ١/١٩٢- ومشكل مكي ١/٧٩.

(٧) انظر: الحجة لابن خالويه ١/٩٢.

(٨) انظر: معاني القرآن للزجاج ١/٨٩.

لأن الجميع مُقِرٌّ بأن العرب فرَّقت بين الواو الأصلية وواو الجماعة عند التقائهما بساكن، فتكسر الأول وتضم الثاني لتفرق بينهما، ولكن الخلاف هو في سبب اختيارها الكسر للأول والضم للثاني، وهذا السبب تبيِّنه الأقوالُ الثلاثة الأخيرة.

إلا أن يُقال إن معنى القول الأول أن سبب ذلك هو مجرَّد التفريق بينهما، دون اعتبار لما قاله أهل الأقوال الأخرى، أي أن العرب اختارت هنا الضم لواو الجماعة والكسر للواو الأصلية على الفتح اعتباطًا، وعليه تكون الأقوالُ الأخرى أكثر تفصيلاً في بيان سبب الاختيار.

أما القول الثاني قول الفراء فهو ضعيف؛ لأن عادة اللغة أن تُنقل الحركة فيها من الحرف إلى ما قبله، لا إلى ما بعده[1].

وأما القول الثالث قول ابن كيسان فظاهره أن الضمة على الواو أخف من غيرها عمومًا، وهذا يشمل الفتحة والكسرة، وهذا غريب؛ لأن كلمة التصريفين متفقة على أن الفتحة أخفُّ الحركات[2] على الواو وغيرها، فلو كان السبب الخفة لاختاروا الفتحة.

فإن قيل: لعله يريد أن الضمة على الواو أخف من الكسرة لأنها من جنسها[3]، قلتُ: هذا يجعل قوله غير صالح لتعليل الاختيار؛ لأن واو

---

(١) انظر: الحجة للفارسي ١/ ٣٧٢-٣٤٧، وردَّه الفارسي بأمور أخرى أيضًا.

(٢) انظر: الكتاب (هارون) ٤/ ١٥٧ - والمقتضب ١/ ١٨٤ - والأصول لابن السراج ١/ ٢٢٤.

(٣) هذا ما نقله مكي عن ابن كيسان في مشكله ١/ ٧٩، وانظر كون الضمة على الواو أخف من الكسرة في الإنصاف ٢/ ٦٨٢، والمشهور أن الكسرة أخف من الضمة مطلقًا حتى على الواو، =

لجماعة والواو الأصلية حينئذ ليست إحداهما بأولى بالضم من الأخرى لأنهما واوان والضمة من جنسهما.

وأما القول الرابع فهو أرجح الأقوال؛ فواو الجماعة تشبه (نحنُ) في الدلالة على الجمع فبُنِيَتْ على الضم مثلها، أما الواو الأصلية فكُسِرت لأنها أصلية والكسر هو الأصل في التخلص من التقاء الساكنين.

٧ - سورة البقرة، الآية ٢٦

إعراب (ما بعوضةً) في: ($bÎ ®$ ẅ ƒ ǫG ÕÃ¼y &b „ ØÎ> BW×W B$ /ãq ÊÞ ùJ$

ùǫ%g$)

ذهبت جمهرة المعربين إلى أن (ما) في هذه الآية حرفٌ زائد للتأكيد[1]، أما ابن كيسان فيكره أن يجعلها كذلك، ويقول: ((وأنا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحو قول الله -جل وعزَّ-: (ùÎJ$ ‘ ôJ7 B`$ ł«)[2]، وكـــــذا (ùÎJ$ Rþ ÕÃÍN B‹V» (§Ó))[3]، وكـــــذا (&ƒJ$$ Ž_#Ē) ÒøMÅ%)[4]، (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه، وما بعدها تابعٌ لها، وكذا

= انظر: الكتاب (هارون) ٤/ ٣٧، قال: ((لأن الكسرة أخف عليهم من الضمة.... والياء أخف عليهم من الواو))، قلتُ: والحسُّ يشهد بذلك، فـ(وِ) أخف من (وُ).

(١) انظر الإعرابات في: معاني الفراء ١/ ٢١ - ومعاني الأخفش ١/ ٥٣ - ومجاز القرآن ١/ ٣٥، و١٠٧، و٢/ ٥٨ - والكامل للمبرد ١/ ٤٤٢ - ومجالس ثعلب ١/ ١٩١ - ومعاني الزجاج ١/ ١٠٣ - وإعراب النحاس ١/ ٢٠٣ - وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٥٤ - والعكبري في التبيان ١/ ٤٣ - البحر المحيط ١/ ٢٦٧ - والدر المصون ١/ ١٦٣ - ومغني اللبيب ٤١٣.

(٢) سورة آل عمران ١٥٩، وستأتي دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٣) سورة النساء ١٥٥، وستأتي دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٤) سورة القصص ٢٨، وستأتي دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

{ÎbÛ$© ẅ ƒ óGÕÖ¾y &b „Ø Î> BWW B$ /ãq Ê Z}، (مـا) في موضـع نصـبٍ، و(بعوضةً) تابعة لها))[1].

ويظهر أن سبب ذلك تحرُّزه من أن يقول إن في القرآن زوائد؛ لأن ظاهر لفظ زوائد أنها لا فائدة منها، وهذا ينـزه عنه الكلام الفصيح، بله القرآن الكريم.

فـ(ما) عند ابن كيسان اسم في محل نصب، و(بعوضةً) تابع له، لكنه لم يُبيِّن من أيِّ المنصوبات (ما)، ولا من أيِّ التوابع (بعوضةً)؟

أما (بعوضة) فلا تحتمل على ما ذكره من شواهد إلا أن تكون بدلاً؛ فهي لا يصح أن تكون عطف نسق لعدم وجود حرف العطف، ولا نعتًا ولا عطفَ بيان لأن من شرطهما أن يوافقا متبوعهما في التعريف والتنكير[2]، و(ما) هنا أُتبعت بنكرة في آيتين وبمعرفة في آيتين، ولا توكيدًا لأنه نوعان: لفظي بتكرار اللفظ ومعنوي بألفاظ معينة، وليس (بعوضة) شيئًا من ذلك.

أما (ما) فلا يتبيَّن لي ولا يظهر من كلام ابن كيسان من أيِّ المنصوبات هي، وبالرجوع إلى ما في الآية من إعرابات وصلت ثمانية[3] نجد (ما) عند ابن كيسان محتملة لأمرين:

---

(١) إعراب النحاس ٣/٢٤٨.

(٢) انظر: أسرار العربية ٢٦٠ - واللباب للعكبري ١/٤٠٥، ٤٠٩ - وأوضح المسالك ٣/٣٠٢، ٣٤٨.

(٣) انظر المراجع في أول هامش في هذه المسألة، وقد تتبعتُ هذه الإعرابات فوجدتها ثمانية، في رسالتي للعالِية (ما أعربه الكسائي من القرآن الكريم جمعًا ودراسة) ص ١٢٦.

١ -أن تكون نعتًا لـ(مثلاً) لما فيها من الدلالة على العموم والشيوع، فتكون اسماً نكرة غير موصوفة، أو كما يسمِّيها ابن هشام النكرة التامة المجردة عن معنى الحرف[١]، وهي -عند من أثبتها- إنما تكون في ثلاثة أبواب: التعجب، ونعم وبئس، وقولهم في المبالغة: ((إن زيداً مما أن يكتب))[٢]، ولا شك أن آية المسألة ليست من هذه الأبواب، كما أن البدل على نية إحلاله محل المبدل منه، فيكون التقدير: (مثلاً بعوضةً)، فتقع (بعوضةً) وصفًا وهي اسم جنس، والوصف باسم الجنس لا ينقاس.

٢ -وأن تكون بدلاً من (مثلاً)، و(بعوضةً) بدل من (ما)، ((ولا يُعرف أن البدل يتكرر إلا في بدل الإضراب))[٣].

وعلى ذلك لا يخلو إعراب ابن كيسان من ضعفٍ.

وأقوى الإعرابات في الآية عندي أن يكون (يضرب) فعلاً ناصبًا لمفعولين بمعنى (يجعل ويصيِّر)، و(بعوضة) مفعول أول مؤخر، و(مثلاً) مفعول ثان مقدم، و(ما) حرف زائد للتوكيد، فتكون كغيرها من الآيات التي جاء فيها ذكر الضرب والمضروب والمثل، نحو قوله تعالى: (ŽÏŸ>$!ª

(١) انظر: مغني اللبيب ٣٩١.

(٢) فالتعجب نحو: ((ما أحسن زيدًا))، وهذا قول البصريين إلا الأخفش، و(نِعْمَ وبِئْسَ) نحو: ((غسلتُه غَسْلاً نِعِمَّا))، أي: نِعْمَ شيئًا، وهذا قول بعض النحويين، ومعنى قولهم في المبالغة ((إنَّ زيدًا ممَّا أن يكتب)): إنَّ زيدًا من شيءٍ كتابةٍ، وذها قول بعض النحويين. انظر: الجنى الداني ٣٣٧- ومغني اللبيب ٣٩٢- والهمع ١/ ٣١٧.

(٣) مغني اللبيب ١١٧، وانظر: إعراب الألفية لخالد الأزهري ٩.

¸xVB #%6ôã ‰Zqè©B)[1]، وقوله: (r Ì¿Ž< $! ª BWW ‰ö/y ËYR$M ä#BŸ)[2].

ويدل لصحة هذا الإعراب أن (ضرب) إذا بُني للمفعول لم يكن (مثلاً) نائب فاعله؛ لأنه المفعول الثاني، وذلك نحو قوله تعالى: (r9$# Ñ‹Î< $#ËŒ ¸xWB OŸ÷èB 7 ÜQ‰ Œ#ÇŽ çZB f Ä‰r ŠcŠ)[3].

٨ - سورة البقرة، الآية ٢٦

إعراب (ماذا) في: (r&B$$‰ŸïÛ 2Ÿy ä¯r ù<à)q®q ŠcŠ B$#Œ‘#Š$! ª Î g»< # BWW)

تكاد تتفق كلمة النحويين على أن (ماذا) إذا دلت على استفهام، ووصلت بجملة فعلية يمكن أن يعود منها عائد إلى (ذا)، مثل: (ماذا تريد؟)، ومثل آية المسألة، أنه يجوز فيها إعرابان[4]:

١ -أن (ماذا) اسم استفهام مركب من (ما) و(ذا)، في محل نصب مفعول به مقدم للفعل بعدها، وجملته حينئذ فعليه في معنى: ما أراد؟

٢ -أن (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، و(ذا) اسم موصول في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الفعلية صلة الموصول، وفيها عائد إلى (ما)،

---

(١) سورة النحل ٧٥.

(٢) سورة النحل ١١٢.

(٣) سورة الزخرف ٥٧.

(٤) وأجاز بعضهم كابن مالك إعراباً ثالثاً، وهو أن تكون (ما) اسم استفهام مفعولاً للفعل بعده، و(ذا) لغو زائدة، والجملة حينئذ فعلية، انظر: شرح التسهيل ١/ ١٩٦ - وشرح الكافية الشافية ١/ ٢٨٢، وهذا القول ضعيف؛ إذ قياسه أن يقال في: (ماذا) المجرورة بحرف جر: عَمَّ ذا تسأل؟ وهو لا يُقال، كما أنَّ القول بزيادة الأسماء على التحقيق غير جائز، انظر: الكتاب ١/ ٤٠٥ - والبغداديات ٣٧٢ - وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٥٠ - والمغني ٣٩٧ - والتصريح ١/ ١٣٩.

والجملة حينئذ اسمية في معنى: ما الذي أراده؟

ولذا أجاز المعربون في (ماذا) في الآية الإعرابين[١]، ولكن جمهورهم يختار فيها إن كان لها جواب أن توافق جوابها، فإذا أُجيبت بجملةٍ فعلية قُدِّر فيها الإعرابُ الأول ، وإذا أُجيبت بجملة اسمية قُدِّر فيها الإعرابُ الثاني ، وإذا لم يكن لها جواب فالإعرابان جائزان.

والمنقول عن ابن كيسان هنا أنه أجاز الإعرابين، إلا أنه جعل الإعراب الأول أجود[٢]، ومعنى إجادته هذه أنه يرجح كون الجواب في الآية -وهو قوله: (@ÅÒ ¾iĩ7 #ŽŸÏŸ2 ....) - جملة فعلية على تقدير: أراد أن يضلَّ، ثم حذف صدر الجواب.

٩ - سورة البقرة، الآية ٢٦

إعراب (مثلاً) في: (û¨ïÏ%©!$$B&r #rãŸÏŸ2 q®à)‹ù ¨d$B Œ#Š$!ª g΃ #‹»yWB)

في إعراب (مثلاً) في هذه الآية ثلاثة إعرابات، فقيل: تمييز، وقيل: حالٌ، وقيل: منصوب على القطع[٣].

---

(١) انظر: الكتاب ١/ ٤٠٥-٤٠٦ - وأمالي ابن الشجري ٢/ ٤٤٣-٤٤٤، ٤/ ٢٤٢ - ومعاني الأخفش ١/ ٥٣، و١٧٢، و٢/ ٣٨٢ - ومعاني الزجاج ٣/ ١٩٤، ١٩٦ - وإعراب النحاس ٢/ ٣٩٤ - والحجة للفارسي ١/ ٣١٦ - ومشكل مكي ١/ ٤١٧-٤١٨ - والبيان للكمال الأنباري ٢/ ٧٧ - والتبيان للعكبري ٢/ ٧٩٣-٧٩٤ - وشرح التسهيل ١/ ١٩٦-١٩٧ - والبحر المحيط ٥/ ٤٧٣، و١/ ٢٦٢-٢٦٣ - والارتشاف ١/ ٥٢٩ - والدر المصون ١/ ١٦٦.

(٢) انظر: إعراب النحاس ١/ ٢٠٤ - وتفسير القرطبي ١/ ٢٤٤.

(٣) انظر الإعرابات في: إعراب النحاس ١/ ٢٠٤ - ومشكل مكي ٢/ ٧٧٤ - والكشاف ١/ ١٢٢ - والتفسير الكبير ٢/ ١٢٦ - والتبيان للعكبري ١/ ٤٤ - وتفسير القرطبي ١/ ٢٤٤ - والبحر =

فجمهور المعربين قدَّموا كونه تمييزًا، أي: مِن مَثَلٍ، وهذا هو الإعراب الظاهر، فهو كقولك لمن أجابَ بجوابٍ غَثٍّ: ((ماذا أردتَ بهذا جوابًا؟))، وعلى ذلك يكون من التمييز الذي جاء للتوكيد؛ لأنه من حيث أُشير إليه عُلِمَ أنه مَثَلٌ.

ثم أجاز كثيرٌ من المعربين بعد ذلك أن يكون حالاً، إمَّا من (هذا)، أي: مُتَمَثَّلاً به، أو من (الله)، أي: مُتَمَثِّلاً.

وأما النصب على القطع فمنسوب إلى أبي العباس ثعلب وإلى الكوفيين عمومًا، ومصطلح القطع مصطلح كوفي لا يثبته البصريون، ومعناه عند الكوفيين أن الأصل في (المثل) أن يتبع ما قبله، فيقال: (بهذا المثلِ)، فلما قُطِع عن التبعية بتنكيره انتصب على القطع، ((والاستدلال على بطلان ما ذهب إليه الكوفيون مذكورٌ في مبسوطات النحو))[1].

والذي جاء عن ابن كيسان في إعراب (مثل) هنا قوله: ((هو منصوبٌ على التمييز الذي وقعَ موقعَ الحال))[2]، والذي يظهر لي أنه يريد أنه منصوب على الحال الجامد المؤول بالمشتق؛ لأن من شأن التمييز أن يكون بالجوامد، فـ(مَثَل) جامد ولكنه هنا مؤول بمشتق وهو (مُتَمَثَّلاً به) أو (مُتَمَثِّلاً) كما سبق في بيان الإعراب الثاني، ولم يأت عن ابن كيسان بيان صاحب الحال: أ(هذا) أم (الله)؟

= المحيط ١/ ٢٦٩- والدر المصون ١/ ١٦٦.

(١) البحر المحيط ١/ ٢٦٩.

(٢) إعراب النحاس ١/ ٢٠٤- وتفسير القرطبي ١/ ٢٤٤- وفتح القدير ١/ ٥٧.

١٠ - سورة البقرة، الآية ٣٥

إعراب (رَغَدًا) في: (#‰ î ‘ $gZÏB Ÿxär pYøŠø$ 7 ã ﬞ-r |MR ôãð"$šå$«7 $Zùir)

(رَغَدًا) مصدرُ الفعل (رَغِدَ العيشُ)، وقد وقع هنا موقع الحال، فهو نحو: (#Y$gÅ Nåkõ$Ïãš ’ûj Ûÿe)[١]، و($$è™ 7Y•ïÛ £ßã$š$©è)[٢]، و((جئتُ رَكْضًا))، و((قتلته صبرًا)).

وفي إعراب المصدر وتقدير جملتِهِ هنا خلاف بين النحويين يبلغ ستة إعرابات، تعود إلى قولين، القول الأول: أنه حالٌ، والثاني: أنه مفعول مطلق.

وأما الإعرابات والتقدير فعلى التفصيل الآتي[٣]:

١ -أن التقدير: جئتُ راكضًا، ويأتينك ساعياتٍ، فالمصدر نفسه حالٌ مؤولة بالوصف[٤]، وهو قول سيبويه والجمهور.

٢ -أن التقدير: جئتُ ذا رَكْضٍ، ويأتينك ذواتِ سعيٍ، فالمصدر حال

---

(١) سورة البقرة ٢٦٠.

(٢) سورة نوح ٨.

(٣) انظر: شرح التسهيل ٢ /٣٢٧- ومنهج السالك لأبي حيان ١٨٨ - وتمهيد القواعد ٥ /٢٢٦٦- وشرح الأشموني ٢ /١٧٢- والتصريح ١ /٣٧٤- والهمع ٤ /١٤-

(٤) ويرى بعض النحويين أن رأي سيبويه في ذلك أن المصدر حالٌ من ضمير مصدر الفعل، أي: يأتينكه سعيًا، وجئته ركضًا، أي: يأتينك الإتيان حالة كونه سعيًا، وجئتُ حالة كون المجيء سعيًا، ويقدرون الآية على مذهبه: كلاه رَغَدًا، أي: كلا الأكلَ حالة كونه رَغَدًا. انظر: البحر المحيط١ /٣٠٩- والدر المصون ١ /١٨٩- والمغني ٨٥٥- وشرح قطر الندى ٢٢٦، وانظر: المسائل النحوية والصرفية التي تحتمل وجهين أو أكثر في كتاب سيبويه لرشيد الحربي ١ /١٨٧.

غير مؤولة، وكان مضافًا إليه، والمضاف هو الحال، فلما حُذِف المضاف قام المصدر مَقامه وانتصب انتصابه.

٣-أن التقدير: جئتُ أركُضُ رَكْضًا، ويأتينك يسْعَيْنَ سعيًا، فالمصدر مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف، جملة هذا الفعل هي الواقعة حالاً، وهذا منسوب إلى الأخفش والمبرد[١].

٤-أن التقدير: رَكَضْتُ رَكْضًا، ويسعين سعيًا، فالمصدر مفعول مطلق منصوب بالفعل المذكور على تأويله بفعل من لفظه، وهذا قول الكوفيين.

٥-أن التقدير: جئتُ مجيءَ ركضٍ، ويأتينك إتيانَ سعيٍ، فالمصدر مفعولٌ مطلق على حذف مصدر مضاف قبله هو المفعول المطلق، فلما حُذِف المصدر المضاف قبله قام هو مَقامه وانتصب انتصابه.

٦-أن التقدير: جئتُ مجيئًا ركضًا، ويأتينك إتيانًا سعيًا، فالمصدر مفعول مطلق على حذف موصوف قبله، فلما حُذِف موصوفه قام مَقامه وانتصب انتصابه.

هذا الاختلاف في إعراب هذا الأسلوب، والذي وجدته من إعرابات في آية المسألة إعرابان[٢]:

---

(١) كلام المبرد في المقتضب ٣/ ٢٣٤، ٢٦٨، ٤/ ٣١٢، يحتمل الإعرابين الأول والثالث، وانظر تعليق المحقق ٣/ ٢٣٤.

(٢) انظر: إعراب النحاس ١/ ٢١٣- ومشكل مكي ١/ ٨٧- والكشاف ١/ ١٣١- والمحرر الوجيز ١/ ١٢٧- والتبيان للعكبري ١/ ٥٢- والبحر المحيط ١/ ٣٠٩- والدر المصون =

١ -أن (رَغَدًا) مفعول مطلق، على تقدير: كُلا أَكْلاً رَغَدًا، فحُذِف الموصوف (أكلاً) وهو مصدر مفعول مطلق، فناب نعتُه مَنابه، وانتصب انتصابه، فصار هو المفعول المطلق.

٢ -أن (رَغَدًا) حالٌ مؤولة، والتقدير نحو: كلا طَيِّبَيْنِ مُهَنَّأَيْنِ.

والذي قاله ابن كيسان في إعراب الآية: ((ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال))[١]، ونفهم من قوله ((ويجوز)) أنه يجوِّز التقدير الأول، ويجوِّز معه تقديرًا آخر، ولعلَّ هذا التقدير الآخر يكشفه قول ابن كيسان في الموفقي: ((باب ما يُنصب على إضمار الفعل، كلُّ شيء حَسُنَ في موضعه الفعل وإضماره فالنصب يحسن فيه .... و(أتى بزيد سحبًا)[٢]، أي: أسحبُ سحبًا .... و(قُتِلَ عمرٌو صبرًا)، أي: صَبَرَ صَبْرًا))[٣]، فهذا الكلام يجيز في الآية التقدير الثالث المنسوب إلى الأخفش والمبرد.

١١ - سورة البقرة، الآية ٦١

نوع (مِن) في: ($gîþ/ . `B ÞÚ öF $$AÎ6.^e$ÎÊ $Z9 óÓ ßâ)

اختلف المعربون في نوع (مِن) في الموضعين في هذه الآية، وبعضهم يفصِّل وبعضهم يُجْمِل، ويرتبط ذلك بإعراب (بقلها)، وملخص القول

= ١/ ١٨٩ - ومغني اللبيب ٨٥٥ - وشرح قطر الندى ٢٢٦.

(١) إعراب النحاس ١/ ٢١٣ - وتفسير القرطبي ١/ ٣١٠، وقد تصرَّف مكي في مشكله ١/ ٨٧ - وأبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٠٩ - والألوسي في روح المعاني ١/ ٢٣٤ فجعلوا ما جوَّزه ابن كيسان هو قوله الوحيد.

(٢) كذا، ولعلَّ صوابه: (أتيتُ بزيدٍ سحبًا)؛ لأن كل الأمثلة الكثيرة قبله مسندة إلى المتكلِّم.

(٣) الموفقي لابن كيسان ١٢١.

فيها يعود إلى إعرابين[1]:

١ -أن (بقلها) بدل من (ما) في قوله: (مِمَّا تنبت)، و(مِن) مكررة مع البدل لدخولها على المبدل منه، وعليه يكون معنى (مِن) الثانية كمعنى الأولى، فقيل: معناهما التبعيض[2]، وقيل: الابتداء[3].

ولم يراعِ بعضهم[4] اتفاق معنى الحرفين، فجعلوا الأول للتبعيض والثاني لبيان الجنس.

٢ -أن (مِن بقلها) متعلقان بحال محذوفة من الضمير العائد إلى (ما)، تقديره: مِمَّا تنبتُهُ الأرضُ كائنًا مِن بقلها، فهي حينئذ لبيان الجنس، و(مِن) الأولى إما تبعيضية[5]، وإما ابتدائية[6].

والذي جاء عن ابن كيسان في ذلك ما حكاه مكي، قال: ((قوله: (مِن بقلها) بدلٌ مِن (ما) بإعادة الخافض، فـ(مِن) الأولى للتبعيض، والثانية للتخصيص، على قول ابن كيسان))[7].

---

(١) انظر مع المراجع القادمة: تفسير الطبري ١/٣٥٠- وإعراب النحاس ١/٢٣١- والمحرر الوجيز ١/١٥٣ - والتبيان للعكبري ١/٦٨- وتفسير القرطبي ١/٤٢٤، وقد قدَّم الأخفش في معانيه ١/٩٨ أن تكون (مِن) الأولى تبعيضية، ثم جوَّز أن تكون زائدة، ولكنه لم يتكلم على (مِن) الثانية.

(٢) هذا اختيار أبي حيان في البحر المحيط ١/٣٠٩.

(٣) جوَّزه ابن هشام في مغني اللبيب ٤٢٩.

(٤) جوَّزه السمين في الدر المصون ١/٢٤٠.

(٥) قدَّمه: البيضاوي في تفسيره ١/٣٣١- وأبو السعود في تفسيره ١/١٠٦- والألوسي في روح المعاني ١/٢٧٤.

(٦) جوَّزه ابن هشام في مغني اللبيب ٤٢٩.

(٧) مشكل إعراب القرآن ١/٩٦.

ولي على ما نقله مكي تعليقات:

١ -أني لم أجد هذا النقل عند غيره، حتى الذين اهتموا بنقل إعرابات ابن كيسان، كالنحاس في كتبه، والثعلبي في تفسيره، والقرطبي في تفسيره، وأبي حيان في البحر المحيط[١].

٢ -أن قوله: ((للتخصيص)) يريد به بيان الجنس، وقد نَصَّ أبو حيان[٢] هنا على أن المراد بالتخصيص بيان الجنس.

٣ -إنْ كان كلُّ ما نقله مكي هو إعراب ابن كيسان فمعنى ذلك أنه من أهل الإعراب الأول، لكنه من الذين لم يراعوا اتفاق معنى الحرفين، وهذا يُضعف قوله؛ لأن الحرفين إذا اختلف معناهما كانا كالحرفين المختلفين، وهذا لا يجوز في البدل[٣].

وإنْ كان المنقولُ عنه معنى الحرفين فقط فالمتبادر أنه من أهل الإعراب الثاني.

١٢ - سورة البقرة، الآية ٨٥

إعراب (أنتم هؤلاء تقتلون) في: (Na ¡ ãR& šc qèç) äwàd Nç R& Se)

هذه الآية من الآيات التي كثُر فيها اختلاف المعربين، وكلامهم عليها يعود إلى إعرابين[٤]:

---

(١) انظر: إعراب النحاس ١/ ٢٣١- وتفسير الثعلبي ١/ ٢٠٣- وتفسير القرطبي ١/ ٤٢٤- والبحر المحيط ١/ ٣٩٥.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/ ٣٩٥.

(٣) انظر: البحر المحيط ١/ ٣٩٥- وحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ١/ ٢٦٧.

(٤) انظر: معاني الزجاج ١/ ١٦٧- ومشكل مكي ١/ ١٠٣- والكشاف ١/ ١٦١- والمحرر الوجيز =

١ -أن (أنتم) مبتدأ خبره (هؤلاء)، وأما جملة (تقتلون) فقيل: حال لازمة من (هؤلاء)، وقيل: استئنافية بيانية، وقيل: صلة لـ(هؤلاء)، لأن (هؤلاء) هنا اسم موصول.

٢ -أن (أنتم) مبتدأ خبره جملة (تقتلون)، وأما (هؤلاء) فقيل: منادى محذوف منه حرف النداء، أي: ياهؤلاء، وقيل: تأكيد لفظي لـ(أنتم)؛ لأن الضمير قد يؤكد باسم الإشارة، وقيل: منصوب على الاختصاص، أي: أعني هؤلاء.

فهذه ستة إعرابات تفصيلاً، السادس منها هو قول ابن كيسان، إذ قال: ((أنتم) مبتدأ، و(تقتلون) الخبر، ودَخَلَتْ (هؤلاء) ليَخُصَّ بها المخاطبين إذ نُبِّهُوا على الحال التي هم عليها مقيمون))[1]، ومعنى كلامهم أن تقدير الآية: أنتم -أعني هؤلاء الناكثين الناقضين- تقتلون.

وما ذهب إليه ابن كيسان لا يرتضيه جمهور النحويين، قال أبو حيان: ((وقد نَصَّ النحويون على أن التخصيص لا يكون بالنكرات ولا بأسماء الإشارة، والمستقرَأُ من لسان العرب أنه يكون (أيًّا) .... أو مُعرَّفًا بالألف واللام .... أو بالإضافة .... وقد يكون علماً .... وأكثر ما يأتي بعد ضميرِ متكلِّمٍ كما مثلناه وقد جاء بعد ضميرِ مخاطَب))[2]، فابن كيسان يخالف

= ١/٤٥١ - التبيان للعكبري ١/٨٦ - والبحر المحيط ١/٤٥٨ - والدر المصون ١/٢٨٣.

(١) مشكل مكي ١/١٠٣، وانظر: البحر المحيط ١/٤٥٨ - والدر المصون ٢٨٤ - وروح المعاني ١/٣١٢.

(٢) البحر المحيط ١/٤٥٨-٤٥٩، وانظر مصداق كلامه في: شرح المفصل ١٧/ - وشرح التسهيل =

جمهور النحويين ويجيز التخصيص بأسماء الإشارة.

وإذا كان إعراب ابن كيسان مخالفًا لما عليه جمهور النحويين، فكذا الإعرابات الثالث والرابع والخامس مخالفة لما عليه جمهور البصريين الذين لا يجيزون مجيءَ أسماءِ الإشارة أسماءً موصولة[١]، ولا يجيزون حذفَ حرفِ النداء مع الأسماء المبهمة كأسماء الإشارة[٢]، ولا يجيزون توكيد الضمير بأسماء الإشارة[٣].

وأرجح الإعربات في الآية الإعراب الأول، فيكون مثل قول العرب[٤]: ((هأنذا قائمًا))، ((وها أنت ذا قائمًا))، فالمراد الإخبار عن الضمير بالقيام، فلـمَّا أُخبر باسم الإشارة عن الضمير انتصب القيام حالاً لازمة، والمعنى: أنا الحاضر في هذه الحال، وأنت الحاضر في حال القيام[٥].

= ٣/ ٤٣٤- وشرح الكافية الشافية ٣/ ١٣٧٣- وشرح الأشموني ٣/ ١٨٧.

(١) انظر: الكتاب ١/ ٤٠٤- ومعاني الفراء ٢/ ١٧٧-والإنصاف ٢-٧١٧- وشرح المفصل ٤/ ٢٣- والهمع ١/ ٢٨٩.

(٢) انظر: الكتاب ١/ ٣٢٥- والمقتضب ٤/ ٢٥٨- وشرح المفصل ٢/ ١٥- والتسهيل ١٧٩- والهمع ٣/ ٤٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٤٤- والارتشاف ٤/ ١٩٥٩- والهمع ٥/ ٢١١.

(٤) انظر: الكتاب (هارون) ٢/ ٦١- والأصول لابن السراج ١/ ١٥٢.

(٥) انظر: البحر المحيط ١/ ٤٥٨- والدر المصون ١/ ٢٨٣، وفي كتاب سيبويه ٢/ ٣٥٣: ((لم يُرد بقوله: (هذا أنت) أن يُعَرِّفَهُ نفسَه، كأنه يريد أن يُعْلِمَهُ أنه ليس غيرَه، هذا محال، ولكنه أراد أنْ يُنَبِّهَهُ، كأنه قال: الحاضرُ عندنا أنت، والحاضرُ القائلُ كذا وكذا أنت))، وفي الأصول لابن السراج ١/ ١٥٢: ((وقال قوم: إنَّ كلام العرب أن يجعلوا هذه الأسماء المكنية بين (ها) و(ذا) وينصبون أخبارها على الحال، فيقولون: (ها هو ذا قائمًا))).

١٣ - سورة البقرة، الآية ١٥١

متعلَّق الكاف في: (.J$ ö™Zt$ ‹ïi Nà6‹ ’ßqZw ....)

انشقت كلمة المفسرين والمعربين في متعلَّق الكاف هنا، فثلاثة أقوال لهم جعلت المتعلَّق في الآية السابقة، وقول واحد جعله في آية متقدمة جدًّا، وقول واحد جعله في الآية اللاحقة.

والترجيح بين هذه الإعرابات من عمل المفسِّر لا النحوي؛ لاعتمادها على معنى الآية.

والذي يهمنا هنا الإعراب الأخير؛ لأنه الذي قال به ابن كيسان[١]، وهو بذلك ينضم إلى ((جماعة من المحققين))[٢] من السلف والمفسرين والمعربين؛ إذ قالوا: إن المتعلَّقَ الفعلُ (اذكروني) في (þÎTrãä.øŒ$$ù Nä.ö.ä&)[٣]، والتقدير: اذكروني كما ذكرتكم بإرسال رسول فيكم أذكركم.

وأنبه هنا إلى خطأ من استنتج من إعراب ابن كيسان هذا أنه ((أحد القلائل الذين قالوا إن الكاف تأتي للتعليل))[٤]، فالذين نقلوا هذا التفسير عمن قالوا به -ومنهم ابن كيسان- نقلوه على معنى التشبيه لا التعليل[٥]، كما سبق في تقدير الإعراب الأول، ويصرِّح بعضهم بالتشبيه على تقدير:

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٢/ ١٩- والبحر المحيط ١/ ٦١٧.

(٢) التبيان للعكبري ١/ ١٢٨.

(٣) سورة البقرة ١٥٢.

(٤) ابن كيسان النحوي لـ د. محمد إبراهيم البنا ص١٣٩.

(٥) انظر مراجع الهامش قبل السابق.

فاذكروني ذكرًا مثل ذكرنا لكم بالإرسال[١]، إلا أن بعض المتأخرين جوَّزوا أن تكون الكاف هنا التعليل[٢].

١٤ - سورة البقرة، الآية ٢٧١

إعراب (ما) وما بعدها في: (bÎ) ‘ ÏdÅ$s%¢Á9$# (r$£JÏèÏZsù ‘ Ïd)

إذا جاءت (ما) بعد (نِعْمَ) و(بِئْسَ) فلها ثلاثة أحوال، إما أن يتلوها اسم، كآية المسألة، وكقول العرب: ((بِئْسما تزويجٌ ولا مهر))[٣]، وإما أن يتلوها فعل، كقوله تعالى: (y$yJ¡¡ø©$$ (#÷rt|³o© ¾ÏmÎ/ öNßg|¡àÿRr&)[٤]، وقوله: (bÎ) ©!$# $KÏèÏR /ä3ÝàÏèt ¾ÏmÎ/)[٥]، وإما ألا يتلوها اسم ولا فعل، كقولهم: ((دَقَقْتُهُ دَقًّا نِعِمَّا))[٦].

أما الحالة الثانية فسيأتي الكلام عليها في المسألة (٢٠)، وأما الأولى فهي التي تهمنا في هذه المسألة، وقد ذكرت كتب النحو[٧] والتفسير[٨] في

---

(١) انظر: البحر المحيط ١/٦١٧.

(٢) انظر: البحر المحيط ١/٦١٧ - والدر المصون ١/٤١٠.

(٣) انظر: معاني الفراء ١/٥٨ - ومعاني الزجاج ١/١٧٣ - وتهذيب اللغة ١٣/٧٤ - وشرح التسهيل ٣/٩.

(٤) سورة البقرة ٩٠.

(٥) سورة النساء ٥٨.

(٦) انظر: المقتضب ٤/١٧٥ - ولسان العرب ١٢/٥٨٧ - ومغني اللبيب ٣٩١.

(٧) انظر: البغداديات ٢٥١ - وشرح السيرافي ٤/٤٦ - شرح التسهيل ٣/٩ - والارتشاف ٤/٢٠٤٣ - والجنى الداني ٣٣٨ - وتوضيح المقاصد للمرادي ٣/٩٨ - وشرح الأشموني ٣/٣٦ - والتصريح ٢/٩٧ - والهمع ٥/٣٨.

(٨) وأغلب كلام أهل التفسير على ذلك في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿y$yJ¡¡ø©$$ (#÷rt|³o© ¾ÏmÎ/

=

(ما) هنا ثلاثة أقوال:

١ -أنها نكـرة تامـة غـير موصـوفة، في موضـع نصـب عـلى التمييـز، والفاعل مضمر، و(هي) المخصوص بالمدح، والتقدير: نِعْمَ شيئًا هي.

٢ -أنها معرفة تامة غير موصوفة، وهي الفاعل، و(هي) المخصـوص بالمدح، والتقدير: نِعْمَ الشيءُ هي.

٣ -أن (ما) تركَّبتْ مع الفعل، فلا موضع لها من الإعـراب، و(هـي) الفاعل.

والقولان الأولان هما المشهوران عند النحويين، وقد نصرَ كلَّ واحدٍ منهما عددٌ من كبار النحـويين، وأمـا الثالـث فلـم أجـده إلا عنـد الفـراء[1]، ونقله عنه النحاس[2]، وذكره بعض المتأخرين[3].

أما ابن كيسـان فقـد قـال: ((نِعْـمَ) و(بِـئْسَ) ترفعـان مـا فيـه الألـف واللام، وتنصبان ما سقطتا منه، ثم ترفعان بعدُ الاسـمَ الممـدوح والمـذموم بهما، تقول: (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ) .... و(بِئْسَ رجلاً عمرٌو) .... وتدخل (ما) فيهما فترفع ما بعـدها، نحـو: (نِعْـمَ مـا زيـدٌ)، وكـذلك (Îb© R$ëK$ f/éXa/

= &RãÏ ¡ÏSGN﴾ [سورة البقرة ٩٠]، انظر: إعراب النحاس ١/٢٤٧- ومشكل مكي ١/١٠٤- والمحرر الوجيز ١/١٧٨- والبيان للكمال الأنباري ١/١٠٨- وتفسير القرطبي ٢/٢٨- والبحر المحيط ١/٤٧٢- والمُجيد للصفاقسي ٣٣٨- والدر المصون ١/٢٢٩.

(١) انظر: معاني الفراء ١/٥٧.

(٢) في إعراب القرآن ١/٢٤٧.

(٣) مثل: الارتشاف ٤/٢٠٤٣- والجنى الداني ٣٣٨- وشرح الأشموني ٣/٣٦.

(¾ïnÎ)، و(bÎ ê©%r)$9Á %‰»M ùzëd$ ‘)، و(حَبَّــذا الزيــدانِ)، و(حَبَّــذا الزيدون)، و(حَبَّذا هندٌ)))[1].

والذي يظهر لي من كلامه أنه من أهل القول الثالث، ويُبيِّن ذلك من كلامه مواضعُ:

١ -أنه قال: ((وتدخل (ما) فيهما))، ولم يقل: (عليهما)، فجعل (ما) بعد دخولها جزءًا منهما؛ لأنهما مع (ما) يصيران بالتركيب كالكلمة الواحدة.

٢ -قوله: ((فترفع ما بعدها))، ظاهره أن فعل المدح والذم هو الذي يرفع ما بعد (ما)، وهذا لا يتأتَّى إلا على القول الثالث، الذي يجعله فاعلاً لفعل المدح والذم، أما في القولين الأول والثاني فهو المخصوص بالمدح والذم، وهو إما مبتدأ وخبره ما قبله وإما خبر مبتدؤه محذوف.

٣ -كونه قرَنَ بين (RëK$ ƒëÝaã/) و(ùzëd$ ‘)[2].

٤ -قوله: ((وكذلك .... (حبذا الزيدان) ....))، ومفهوم كلامه أن (حبذا الزيدان) مثل فعل المدح والذم إذا دخل فيه (ما) فرفع ما بعد (ما)، فالفعل (حَبَّ) تدخل فيه (ذا) فيتركب معها، فيرفع ما بعد (ذا) -وهو (الزيدان)- فاعلاً.

فإن قيل: ما ذكرته هنا في (حبذا الزيدان) هو قول كثير من النحويين، ونُقل عن ابن كيسان[3] أنه خالفهم، وقال: إن الفاعل (ذا)، و(الزيدان)

---

(١) الموفقي لابن كيسان ١٢١، والآية الأولى من سورة النساء ٥٨، والأخرى من سورة البقرة ٢٧١.

(٢) في المسألة (٢٠).

(٣) انظر: الارتشاف ٤/ ٢٠٦٠ - والمساعد لابن عقيل ٢/ ١٤٣ - والتصريح ٢/ ٩٩ - والهمع ٥/ ٤٦.

بدل من (ذا)، فلا يستقيم ما احتججت به.

قلتُ: أما كلام ابن كيسان هنا فلا يدل على ما نُقل عنه، ولعل الخلل في النقل عنه في هذه المسألة ناشيء من خلل آخر، وهو أنه نُقل[1] عنه في نحو (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ) أن (الرجل) فاعلٌ و(زيدٌ) بدل من الفاعل، وكلام ابن كيسان هنا لا يدل على هذا الإعراب، ولعل سبب اللبس في النقل أن الجمهور جعلوا فعل المدح والذم رافعًا لفاعله فقط، وأما المخصوص فليس مرفوعًا به، بل هو عندهم -كما سبق قريبًا- مبتدأ أو خبر، أما ابن كيسان فيرى أن المرفوعين (الرجل) و(زيدٌ) مرفوعان بفعل المدح والذم نفسه، وهذا واضح من كلامه السابق، ولكنه لم يَذكر أن المرفوع الثاني بدل من الفاعل، فإن كان نصَّ على ذلك في نقل آخر عنه فذاك، وإلا فيظهر أن هذا الإعراب اجتهاد من بعض المتأخرين في تفسير كلامه، وقد جاء عن الكسائي[2] نحو إعراب ابن كيسان، فقد جعل الفاعل اسم (نِعْمَ) الأول، والمخصوص اسم (نِعْمَ) الثاني، أي أنهما مرفوعان بـ(نِعْمَ)، ولم يُنسب إليه مثلُ ما نُسب إلى ابن كيسان.

ثم ترتَّب على ذلك أن جعلوا إعراب (حبَّذا الزيدان) عند ابن كيسان مثل الإعراب الذي نسبوه إليه في (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ)، وإلا فإن كلام ابن

(١) انظر: شرح الأشموني ٣/ ٣٧- والتصريح ٢/ ٩٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري ١/ ٤٥٨، وحررَّتُ في رسالتي للعالمية (ما أعربه الكسائي من القرآن، جمعًا ودراسة) ٢٠٨ أن هذا النص للكسائي من كتابه (معاني القرآن)، وقال نحو كلام الكسائي الخاورانيُّ في القواعد والفوائد في الإعراب ٦٧.

كيسان هنا لا يدل على ذلك، بل يدل على أن (حبذا الزيدان) مثل (نعمّا زيدٌ) لا مثل (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ).

١٥ - سورة آل عمران، الآية ١١

متعلَّق الكاف في: ($ZĞ»ƒ$«Ï ‡qç¤x . öÓgî6% `B ûïï%$!$# bqãöù Ÿ#ä É>ù%Ÿ2)

اختُلف في متعلَّق الكاف في الآية على عشرة أقوال[(١)]، أولها -وهو أظهرها وأقواها- أنه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: دَأْبُهم كدَأْبِ آل فرعون، وقولان يجعلانه متأخرًا، والأقوال الباقية تجعله متقدِّمًا.

قال ابن كيسان: ((ويحتمل على بُعْدٍ أن تكون معلَّقةً بـ(كذَّبوا)، ويكون في (كذَّبوا) ضمير الكافرين لا ضمير آل فرعون))[(٢)].

فابن كيسان هنا يذكر إعرابًا لا يختاره، بل يعترف بضعفه وبُعْده، ولعل سبب استبعاده إياه كونه خلاف ظاهر الآية؛ إذ يتبادر إلى الذهن أن الضمير في (كذبوا) لآل فرعون لا لكفار قريش غيرهم.

وكلام ابن كيسان هنا يدل على أنه يقدِّم عليه إعرابًا آخر، ولم أقف على إعرابه المقدَّم.

---

(١) انظر: معاني الفراء ١/١٩١- ومعاني الزجاج ١/٣٨٠- وإعراب النحاس ١/٣٥٩- ومشكل مكي ١/١٥٠- والكشاف ١/٣٣٤- وتفسير القرطبي ٤/٢٢- والتبيان ١/٢٤١- والبحر المحيط ٢/٤٠٦- والدر المصون ٢/٢١.

(٢) معاني القرآن لابن النحاس ١/٣٥٩.

١٦ - سورة آل عمران، الآية ١٥

إعراب (جناتٍ) بكسرتين في: (ö@ë /äãÎŽ, Ï ¼ò `Ï 9ºE Nà6 ûïÏ%©#Ï

(M»Y_ óÎgŽ ‰ZÏã öNÍkÍh5u‘

في إعراب قراءة[1] (جناتٍ) بكسرتين ثلاثة إعرابات[2]، فقيل: بدل من (خيرٌ)، فحكمها الجر، وقيل: بدل من (بخيرٍ)، فحكمها النصب؛ لأن (بخير) المفعول الثاني لـ(أؤنبِّئكم)، وقيل: منصوبة بإضمار (أعني).

أما ابن كيسان فيقول: ((ويجوز (جناتٍ) بالخفض على البدل، وبالنصب على إعادة الفعل))[3]، ونفهم من كلام ابن كيسان أمورًا:

١ -أنه يجيز أن تكون (جناتٍ) مجرورة، بدلاً من (خير)، والبدل من المجرور بحرف الجر تجوز[4] فيه البدلية بإعادة حرف الجر كقوله تعالى: (?ãaqã $Y9 ¨ä#%Šå #X¤r $Y9räá#$ $RÌ)[5]، وبعدمه كقوله تعالى: („ó9ãèq R7 Çã

$9 ¨ÏöÈ$#¥ s Q#• ‰%$F Zä ïnŠü)[6].

---

(١) هي قراءة شاذة، انظر: إعراب النحاس ١/٣٦١- والبحر المحيط ٢/٤١٧- والدر المصون ٢/٣٧.

(٢) انظر: معاني الزجاج ١/٣٨٤- وإعراب النحاس ١/٣٦١- ومشكل مكي ١/١٥١- والمحرر ١/٤١٠- والتبيان للعكبري ١/٢٤٦- والبحر المحيط ٢/٤١٧- والدر المصون ٢/٣٧.

(٣) إعراب النحاس ١/٣٦١.

(٤) انظر: الكتاب (هارون) ١/١٥٢- والمقتضب ٣/١١١- وشرح المفصل ٣/٦٧- وشرح التسهيل ٣/٣٣١.

(٥) سورة المائدة ١١٤.

(٦) سورة البقرة ٢١٧.

٢-أنه يجيز أن تكون (جناتٍ) منصوبة بإعادة الفعل (أؤنبئكم)، وهذا هو الإعراب الثاني في القراءة، أي أن (جنات) بدل من (بخير) المفعول الثاني لـ(أؤنبئكم) المتعدي لمفعولين[(١)]، ومفعوله الأول كاف الخطاب، وبيان ذلك أن في عامل البدل قولين:

الأول: أنه العامل في المبدل منه، فليس البدل على نية تكرار العامل، بل المبدل منه في حكم الطرح، فالبدل معمول لعامل المبدل، وهذا قول جمهور البصريين[(٢)].

الثاني: أنه غير العامل في المبدل منه، ولكنه بلفظه، ولا بدّ من إعادته، إما ظاهراً، وإما مقدراً، فالبدل من جملة ثانية، فالبدل على نية تكرار العامل، وهذا قول الكوفيين[(٣)].

ويظهر من إعراب ابن كيسان أنه من أهل القول الثاني في عامل البدل؛ فلذا أعرب (جناتٍ) بالنصب على إعادة العامل في البدل.

---

(١) يتعدى (أنبأ) إلى ثلاثة مفعولين إذا كان بمعنى (أَعْلَمَ)، ويتعدى إلى مفعولين إذا لم يكن بمعناه. انظر: شرح الكافية للرضي ٤/ ١٤٣- والدر المصون ٢/ ٣٦- وحاشية يس على التصريح ١/ ٢٦٤- وحاشية الصبان على الأشموني ٢/ ٤٠.

(٢) انظر: الكتاب ١/ ٧٥، ٣٦٩- المقتضب ١/ ٢٧، ٤/ ٣٩٥-٣٩٩- والأصول لابن السراج ٢/ ٤٦، ونصروه في: شرح الكتاب ٢/ ١٠- وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٢٧٩- وشرح المفصل ٣/ ٦٧- وشرح التسهيل ٣/ ٣٣٠.

(٣) انظر: معاني الفراء ١/ ١٤١، و٢/ ٧٣، و١٤٠، وانظر: إعراب النحاس ١/ ٣١٧- وشرح المفصل ٣/ ٦٧- وشرح التسهيل ٣/ ٣٣٠- وتفسير القرطبي ٣/ ٤٤- والبحر ٢/ ١٥٤- والمساعد ٢/ ٤٢٧- والدر المصون ١/ ٥٢٧.

٣-أنه -في ظاهر كلامه- أجاز (جناتٍ) وأعربها جوازًا نحويًا لا قراءة، وهذا كثير عند النحويين والمعربين، وما أجازه هنا قراءة كما في تخريجها في أول المسألة.

١٧ - سورة آل عمران، الآية ١٩

علة فتح همزة (أنَّ) في قراءة الكسائي: (¨bÎ) šú ïÏ$!$# y‰YÏã «!$# ÞO»n=ó™M}$#)

في تخريج قراءة الكسائي[1] (أنَّ) بفتح الهمزة خمسة إعرابات[2]:

١ -أن (إنَّ الدين عند الله الإسلام) بدل من (çR¨r& Iw tm»s9Î) žwÎ) uqèd)[3]، أي: شهد اللهُ أنه لا إله إلا هو أن الدين ....

٢ -أنه بدل من (القسط) في ($JÍ!$s% ÅÝó¡É)ø9$$Î/)[4]، أي: قائمًا بالقسط أن الدين ....

٣-أنه معطوف على (çR¨r& Iw tm»s9Î) žwÎ) uqèd)، وحُذِف حرف العطف، أي: شهد اللهُ أنه لا إله إلا هو وأن الدين ....

٤ -أن يكون معمولاً للفعل (شَهِدَ) في أول الآية السابقة، على تقدير: شهد اللهَ أن الدين .... لأنه لا إله إلا هو، أو على تقدير: شهد الله أن الدين

---

(١) قرأ الكسائي بفتح الهمزة، وقرأ الباقون بكسرها. انظر: السبعة لابن مجاهد ٢٠٢- والنشر لابن الجزري ٢/٢٣٨- والبحر المحيط ٢/٤٢٤- والدر المصون ٢/٤٦.

(٢) انظر: معاني الفراء ١/٢٠٠- ومعاني النحاس ١/٣٧٠- والحجة للفارسي ٢/٣٤٩- والكشاف ١/٣٩٩- والمحرر الوجيز ١/٤١٢- والبيان للأنباري ١/١٩٥- وتفسير القرطبي ٤/٤٣- والبحر المحيط ٢/٤٢٤- والدر المصون ٢/٤٦.

(٣) سورة آل عمران ١٨.

(٤) سورة آل عمران ١٨.

.... بأنه لا إله إلا هو.

٥ -أن يكون معمولاً لـ(الحكيم) في آخر الآية السابقة، على تقدير: الحكيم بأن الدين .... أي: الحاكم بأن الدين ....

وأظهر هذه الإعرابات الإعراب الأول، وهو الذي قال به ابن كيسان، ولفظه: ((أنَّ) الثانية بدلٌ من الأولى؛ لأن الإسلام تفسيره المعنى الذي هو التوحيد))[١].

فابن كيسان ممن يرى الإعراب الأول، ويضيف في كلامه بيان نوع البدل، فهو عنده من البدل المطابق، وهذا معنى جملته التعليلية.

١٨ - سورة آل عمران، الآية ٧٩

العاطف في: (`¿ﬁÏ»/‘ ﬁq§qä `Â»9r)

قال ابن كيسان: ((الواو هي العاطفة، و(لكنْ) للتحقيق))[٢].

يتكلَّم ابن كيسان هنا على العاطف في (ولكنْ)، أي: إذا اجتمع الواو و(لكنْ) الساكنة النون، وهي مسألة خلافية في النحو، إلا أنها تحتاج إلا بيان، فالمعطوف في الآية إما أن يكون[٣]:

١ -مفردًا، وهو فعل مضارع معطوف على (يُؤْتِيَهُ) في أول الآية، والتقدير: ما كان لبشر أن يؤتِيَه اللهُ الكتابَ .... ثم يقولَ .... ولكنْ يقولَ

(١) معاني القرآن لابن النحاس ١/ ٣٧٠- وتفسير القرطبي ٤/ ٤٣.

(٢) إعراب النحاس ١/ ٣٩٠.

(٣) انظر في الاحتمالين: إعراب النحاس ١/ ٣٩٠- والدر المصون ٢/ ١٤٧- وحاشية الشهاب على البيضاوي ٣/ ٧٧- وروح المعاني ٣/ ٢٠٨.

كونـوا ربـانيين، ويـرجَّح هـذا الاحـتمال قـراءةُ (‡rä Ï, 6? b& Ňä•ãû Ÿr)[١] بالنصب عطفًا على (يؤتيه)[٢]، فكلها أفعال متعاطفة.

٢ -وإما جملةً، على تقدير: ولكـن ليَقُـلْ كونـوا ....، أو: ولكـن هـو يقول ....

فإن كان المعطوف مفردًا ففي العاطف من (ولكنْ) أربعة مذاهب[٣]، نُسِب إلى ابن كيسان[٤] منها أن العاطف (لكنْ)، ولا تُشترط الـواو الزائـدة قبلها، بل يجوز ذكرها وحذفها.

وإعراب ابن كيسان هنا لا يوافق ما نُسِبَ إليه في كتـب النحـو[٥]؛ إذ صرَّح هنا أن العاطف الواو لا (لكنْ)، وأما كتب النحـو فتجعـل العـاطف عنده (لكنْ) مع الواو ودونه، إلا أن يقال إن الآية عنده من عطف الجمل لا المفردات.

---

(١) سورة آل عمران ٨٠، والنصب قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة، وقرأ باقي السبعة بالرفع، إلا أن أبا عمرو كان يختلس حركة الـراء انظر: السبعة ٢١٣- والـنشر ٢/ ٢٤٠- والبحـر المحيط ٢/ ٥٣٠.

(٢) قال سيبويه في الكتاب ١/ ٤٣٠ (هارون): ((والمعنـى: ومـا كـان لـبشرٍ أن يـأمركم أن تتخـذوا الملائكة)).

(٣) انظر: شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٢٢٤- وشرح التسهيل ٣/٣٤٣- والبسيط ١/ ٣٤٨- والارتشاف ٤/ ١٩٧٥- والبحـر المحيط ١/ ٤٩٥- والجنى الـداني ٥٨٧- والمغنـي ٣٨٥- وشرح الأشموني ٣/ ٩١-والتصريح ٢/ ١٥٣.

(٤) انظر: الارتشاف ٤/ ١٩٧٥- والجنى الداني ٥٨٨- ومغني اللبيـب ٣٨٦- وشرح الأشـموني ٣/ ٩١.

(٥) تكلَّم في الموفقي ١١٢ على العطف بالواو والعطف بـ(لكنْ)، ولم يتكلم على العطف بـ(ولكنْ).

فإن كان المعطوف في الآية جملةً ففي العاطف من (ولكنْ) مذهبان[١]:

١ -أن العاطف الواو، وهو قول أكثر المغاربة، وظاهر كلام المبرد، وابن السراج.

٢ -أن العاطف (لكنْ)، وهو اختيار ابن أبي الربيع، وقال إنه ظاهر كلام سيبويه.

ولا يظهرلي: آلآية عند ابن كيسان من عطف المفردات أم الجمل؟ فإن النحاسَ[٢] تلميذَ ابن كيسان -وهو أول من نقل هذا الإعراب عنه- لم يبيِّن ذلك، بل ذكر أن المعطوف يحتمل كونه مفردًا -وقدَّمه- وكونه جملة، ثم ذكر الخلاف في العاطف من (ولكنْ).

فإن صحَّ ما في كتب النحو، وأضفناه إلى كلام ابن كيسان في إعراب الآية وما نقلته عنه من الموفقي أمكن أن يقال: إن مذهبه في العاطف من (ولكنْ) يختلف باختلاف المعطوف، فإن كان مفردًا فالعاطف (لكنْ) والواو زائدة غير لازمة، وإن كان المعطوف جملة فالعاطف الواو.

بقي معنى قول ابن كيسان هنا: ((و(لكنْ) للتحقيق))، أي: للتأكيد، وذلك أن أول الآية يدل على معنى ما بعد (ولكنْ)، فصارت (لكن) للتحقيق والتاكيد لا للاستدراك، فالبشر المؤتى الكتاب إذا لم يدعُ للشرك فإنه يدعو إلى التوحيد، وهذا المعنى أثبته بعض المحققين لـ(لكنْ).

---

(١) انظر: الأصول لابن السراج ١/ ٢٤٤- والمقتضب ٤/ ١٠٨- وشرح التسهيل ٣/ ٣٤٣- والبسيط لابن أبي الربيع ١/ ٣٤٨- والجنى الداني ٥٩١- ومغني اللبيب ٣٨٥.

(٢) انظر: إعراب النحاس ١/ ٣٩٠.

وملخص الخلاف في معنى (لكنْ) إنها إذا كان المعطوف بعدها مفردًا فهي للاستدراك، وقيل: للتأكيد وقد يصحبه الاستدراك، وقيل: للاستدراك وقد تأتي للتأكيد، وإذا كان المعطوف جملة فهي حرف ابتداء لإفادة الاستدراك، وقيل: قد تأتي للإضراب، وقيل: تأتي حرف تأكيد وتأتي حرف استدراك[1].

١٩ - سورة آل عمران، الآية ١٥٩

نوع (ما) في: (N§9 |MZÏ9 «!$# `ÏB 7pJôm‘ $JÎ6ù)

ذهبت جمهرة[2] أهل النحو[3] والتفسير[4] إلى أن (ما) في هذه الآية حرفٌ زائد للتأكيد، وهو المأثور عن السلف[5]، وذهب قليلٌ إلى أن (ما) للاستفهام التعجبي[6]، أما ابن كيسان فيكره أن يجعلها زائدةً، ويقول:

---

(١) انظر: المحلى ١٣٠ - ومعاني الحروف للمجاشعي ١٣٣ - والمقرب لابن عصفور ١/٢٣٣ - ورصف المباني ٣٤٥ - ومغني اللبيب ٣٨٣ - وحاشية الصبان ٣/٩١.

(٢) نقله الزجاج في معانيه ١/٤٨٢ بإجماع النحويين، وعزاه الرازي في تفسيره الكبير ٩/٥١ إلى الأكثرين، والألوسي في روح المعاني ٤/١٠٥ إلى أجلة المفسرين.

(٣) منهم أصحاب هذه الكتب: الكتاب (هارون) ٣/٧٦ - ومعاني الأخفش ١/٢٢٠ - ومعاني الفراء ١/٢٤٤ - ومعاني الزجاج ١/٤٨٢ - والأصول لابن السراج ١/٤٣ - والمحلى ٢٩٠ - وحروف المعاني للزجاجي ٥٤ - وسر الصناعة ١/٢٦١ - ومنازل الحروف ٣٧ - والمفصل ٤٢٤ - ومغني اللبيب ١٧٩.

(٤) منهم أصحاب هذه الكتب: تفسير الطبري ٤/١٥٠ - والكشاف ١/٤٢٣ - والمحرر الوجيز ١/٥٣٣ - وتفسير البيضاوي ٢/١٠٨ - والبحر المحيط ٣/١٠٣.

(٥) كقتادة، انظر: تفسير الطبري ١/١٥١ - وتفسير ابن كثير ١/٤٢١.

(٦) نقله الثعلبي في تفسيره ٣/١٩٠ عن بعضهم، واختاره الرازي في تفسيره ٩/٥١، وهو ضعيف؛ لأنها لو كانت استفهامًا لوجب حذف الألف منها لدخول حرف الجر عليها، ولأنها لو كانت =

((وأنا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحو قول الله - جل وعزَّ -: ($Jθù ‘ôJ7 B`$ «!)[1]، وكذا ($Jθù NÍÅÒø)R »V‹ÏB óOßgs)[2]، وكذا (&ƒJ$$ F{_#=Èû %ÒŸMøà)[3]، (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه، وما بعدها تابعٌ لها، وكذا (b)$!© Ÿw ƒÓGóÄÿ b& „ØÎ> WxB $B /ãqÊZ ùJ$ ùöqs%g$)[4]، (ما) في موضع نصبٍ، و(بعوضةً) تابعة لها[5]))[6].

وكأنَّ ابن كيسان ((يفرُّ من الإطلاق عليها أنها زائدة))[7]، فقد ((كان يتلطَّفُ في أن لا يجعلَ شيئًا زائدًا في القران، ويُخَرِّجَ له وجهًا يُخْرِجُهُ من الزيادة))[8]، ولعل هذا من تحرُّزه؛ لأن ظاهر لفظ زائد أنه لا فائدة منه، وليس هذا بمسلَّمٍ؛ لأنه ليس معنى كونه زائدًا أنه يجوز سقوطه، ولا أنه

= استفهامًا لكانت (رحمةٍ) إما مضافةً وأسماء الاستفهام لا تضاف إلا (أيًّا)، وإما بدلاً والبدل من أسماء الاستفهام يجب معه إعادة حرف الاستفهام. انظر: البحر المحيط ٣/ ١٠٤ - والدر المصون ١/ ٢٤٥ - والمغني ٣٩٤.

(١) سورة آل عمران ١٥٩.

(٢) سورة النساء ١٥٥، وستأتي دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٣) سورة القصص ٢٨، وستأتي دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٤) سورة البقرة ٢٦، وسبقت دراسة إعراب الآية في المسألة (٧).

(٥) نسب العكبري في التبيان ١/ ٣٠٥ - والألوسي في روح المعاني ٤/ ١٠٥ هذا الإعراب إلى الأخفش، والذي في معاني الأخفش ١/ ٢٢٠ أنها (ما) زائدة.

(٦) إعراب النحاس ٣/ ٢٤٨، وانظر: مشكل مكي ١/ ١٧٨، ٢/ ٥٤٣ - وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٨ - والدر المصون ١/ ٢٤٥ - وفتح القدير ١/ ٣٩٣.

(٧) البحر المحيط ٣/ ١٠٣.

(٨) مشكل مكي ٢/ ٥٤٣.

مُهمَل لا معنى له، بل معناه التوكيد، كبقية ألفاظ التوكيد الواقعة في القرآن الكريم[1].

فـ(ما) عند ابن كيسان اسم في محلِّ جرٍّ، والظاهر أنه حينئذ نكرة تامة بمعنى (شيء)، و(رحمةٍ) تابع له، لكن ابن كيسان لم يُبيِّن نوعَ هذا التابع، إلا أنه لا يحتمل على ما ذكره من شواهد إلا أن يكون بدلاً؛ فهو لا يصح أن يكون عطف نسق لعدم وجود حرف العطف، ولا نعتًا ولا عطفَ بيان لأن من شرطهما أن يوافقا متبوعهما في التعريف والتنكير[2]، و(ما) في كلامه أُتبعت بنكرةٍ في آيتين وبمعرفةٍ في آيتين، ولا توكيدًا لأنه نوعان: لفظي بتكرار اللفظ ومعنوي بألفاظ معينة، وليس (رحمةٍ) شيئًا من ذلك، والخلاصة أنه يرى أن (ما) نكرة تامة بمعنى (شيء)، و(رحمةٍ) بدل منها، والتقدير: بشيءٍ رحمةٍ[3].

وعندي أن إعراب ابن كيسان ضعيف ومتكلَّفٌ؛ لضعف المعنى معه وركاكته؛ إذ لا فائدة للبدلية هنا، ولكونه خلاف الإعراب الظاهر الذي كاد أهل النحو والتفسير يتفقون عليه كما سبق، بل نقله الزجاج عن

---

(١) انظر: المحرر الوجيز ١/ ٥٣٣ - وتفسير القرطبي ٤/ ٢٤٨ - والبحر المحيط ٣/ ١٠٤ - والدر المصون ١/ ٢٤٦.

(٢) انظر: أسرار العربية ٢٦٠ - واللباب للعكبري ١/ ٤٠٥، ٤٠٩ - وأوضح المسالك ٣/ ٣٠٢، ٣٤٨.

(٣) وفسَّر هذا القولَ على هذا الإعراب: مشكل مكي ١/ ١٧٨، وزاد: بدل أو نعت لـ(ما) - والتبيان للعكبري ١/ ٣٠٥ - والبحر المحيط ٣/ ١٠٣ - والدر المصون ١/ ٢٤٥ - وفتح القدير ١/ ٣٩٣ - وروح المعاني ٤/ ١٠٥.

النحويين إجماعًا[١]، لأنَّ ((زيادة (ما) للتوكيد لا يُنكره في أماكنه مَن له أدنى تَعَلُّقٍ بالعربية، فضلاً عن مَنْ يتعاطى تفسير كلام الله))[٢].

٢٠ -سورة النساء، الآية ٥٨

نوع (ما) في: (ÿïîÎ /ãXÈƒ $KËÈR ©$bÎ)

سبق في المسألة (١٤) أن لـ(ما) إذا وقعت بعد (نِعْمِ) و(بِئْسَ) ثلاثة أحوال، يهمنا منها هنا الحالة الثانية، وهي إذا تلاها فعل، كما في آية المسألة.

وقد ذكرت كتب النحو[٣] والتفسير[٤] في (ما) حينئذ عشرة أقوال، تعود إجمالاً إلى خمسة: ١-أنها فاعل، فهي اسم في محل رفع.

٢-أنها تمييز، فهي اسم في محل نصب.

٣-أنها المخصوص، فهي اسم في محل رفع.

٤-أنها حرف مصدري، فهي وصلتها اسمٌ فاعلٌ في محل رفع.

٥-أنها حرف زائد كافٌّ، يكف الفعل عن عمله واختصاصه.

---

(١) انظر: معاني الزجاج ١/ ٤٨٢.

(٢) البحر المحيط ٣/ ١٠٤.

(٣) انظر: البغداديات ٢٥١- وشرح السيرافي ٤/ ٤٦- شرح التسهيل ٣/ ٩- والارتشاف ٤/ ٢٠٤٣- والجنى الداني ٣٣٨- وتوضيح المقاصد للمرادي ٣/ ٩٨- وشرح الأشموني ٣/ ٣٦- والتصريح ٢/ ٩٧- والهمع ٥/ ٣٨.

(٤) وأغلب كلام أهل التفسير على ذلك في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ûÎ) ¡ J$$©Ïlž¨ (ÿïîÎ R&ÿ ¡ §NÖ﴾ [سورة البقرة ٩٠]، انظر: إعراب النحاس ١/ ٢٤٧- ومشكل مكي ١/ ١٠٤- والمحرر الوجيز ١/ ١٧٨- والبيان للكمال الأنباري ١/ ١٠٨- وتفسير القرطبي ٢/ ٢٨- والبحر المحيط ١/ ٤٧٢- والمُجيد للصفاقسي ٣٣٨- والدر المصون ١/ ٢٢٩.

أما ابن كيسان فقال عن آية المسألة: ((نِعْمَ) و(بِئْسَ) ترفعان ما فيه ألف واللام، وتنصبان ما سقطتا منه، ثم ترفعان بعدُ الاسمَ الممدوح والمذموم بهما، تقول: (نِعْمَ الرجلُ زيدٌ) .... و(بِئْسَ رجلاً عمرٌو) .... وتدخل (ما) فيهما فترفع ما بعدها، نحو: (نِعْمَ ما زيدٌ)، وكذلك (Îbš$© èKë$ fëŸaã/ yïnÎ)، و(Îbè%rr&$9 Á‰%»M Ùzëè$Ð ‘ Ïd)، و(حَبَّذا الزيدانِ)، و(حَبَّذا الزيدون)، و(حَبَّذا هندٌ)))[1].

والذي يناسب كلامه من المذاهب النحوية هو الخامس؛ لأنه يرى - كما سبق تحريره والاستدلال عليه في المسألة (١٤) - أن (ما) قد تركبت مع فعل المدح والذم فصارا ككلمة واحدة، وهذا لا يناسبه إلا المذهب الخامس.

وعليه يكون مذهب ابن كيسان في (ما) الداخلة على (نِعْمَ) و(بِئْسَ) كمذهب الفراء في معانيه[2]، وخلاصته أن (ما) إذا دخلت على فعل المدح والذم فهي حرف زائد كافٌّ كما هي في (إنَّما) و(قَلَّما)، فتكفه عن:

١- الاختصاص بالاسم، فيدخل على الاسم، كقوله تعالى: (Ùzëè$Ð ‘ Ïd)، وعلى الفعل، كآية المسألة.

٢- وعمله، وهو طلب اسمين مرفوعين: فاعل له، ومخصوص بالمدح أو الذم، فإن دخل على اسمٍ رفعه فاعلاً واكتفى به، وإن دخل على فعل فهو

---

(١) الموفقي لابن كيسان ١٢١، والآية الأولى من سورة النساء ٥٨، والأخرى من سورة البقرة ٢٧١.

(٢) انظر: معاني الفراء ١/ ٥٧.

مكفوف لا يحتاج إلى فاعل.

٢١ - سورة النساء، الآية ١٥٥

نوع (ما) في: (ÓÖ§)»V‹Ï NÍÅ ðR $Jĵù)

ذهبت جماهير أهل النحو والتفسير إلى أن (ما) في هذه الآية حرفٌ زائد للتأكيد[١]، وهو المأثور عن السلف[٢]، والمعنى: فبنقضهم، أما ابن كيسان فيكره أن يجعلها زائدةً، وقد ذكرتُ هذين الإعرابين وكلام ابن كيسان في إعراب قوله تعالى: (»‹ $`Ï ϶Jôm‘ $Jĵù)[٣]، وناقشتهما ثَمَّ[٤]،وقد تأثر بإعراب ابن كيسان هنا بعض المعربين[٥].

٢٢ - سورة النساء، الآية ١٧٦

إعراب (أنْ) وصلتها في: (ŸwqÅÒ? b& öNà6 9ª! $ÚÎi6ã)

اختلفت كلمة المعربين في إعراب (أَنْ) وصلتها على ثلاثة إعرابات:

---

(١) انظر: الكتاب ١/٩٣، و٢/٣٠٦- ومعاني الأخفش ١/٢٤٨- ومعاني الفراء ١/٢٤٤- والمقتضب ١/٤٨، و٣/٥٢- ومعاني الزجاج ٢/١٢٧- والأصول ٢/٢٥٨- والأضداد لابن الأنباري ١٩٦- وإعراب النحاس ١/٥٠٢- وجمل الزجاجي ٣٢١- والبغداديات ١١١- والخصائص ٢/٢٧٤- والأزهية ٧٨- والكشاف ١/٥٧٢- والملخص ٥١٨- والبحر المحيط ٣/٤٠٤- والهمع ٤/٢٢٩، وحكى الرازي في التفسير الكبير ١١/٧٧ الاتّفاق عليه.

(٢) كقتادة، انظر: تفسير الطبري ٦/١١- ومعاني النحاس ٢/٢٣١.

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.

(٤) في المسألة (١٩).

(٥) فقد جوَّزه أبو السعود في تفسيره ٢/٢٥٠، وحكاه: مكيٌّ في مشكله ١/٢١٢- والكمال الأنباري في البيان ١/٢٧٣، وردّه- والعكبري في التبيان ١/٤٠٣- والهمداني في الفريد ١/٨١٤- والسمين في الدر ٢/٤٥٥.

١ -أنّ (أَنْ تضلُّوا) مفعول لأجله، وهو في الأصل مضاف إليه قام مقام المضاف ودلّ عليه، وأن المفعول به لـ(يبيّن) محذوف؛ لدلالة المعنى عليه، وتقدير الآية: يبيِّن الله لكم الحقَّ كراهةَ أن تضلُّوا، أي: كراهةَ ضلالِكم[١].

٢ -أنّ (أَنْ تضلُّوا) مفعول لأجله، وأن الأصل (لئلاّ)، ثم حذفت لام الجر؛ لأنها تحذف قبل (أَنْ) قياساً، وحذفت (لا) النافية بعد (أَنْ)؛ لدلالة المعنى عليها، وأنّ المفعول به لـ(يبيّن) محذوف؛ لدلالة المعنى عليه، والتقدير: يبيِّن الله لكم الحقَّ لئلاّ تضلّوا، أي: لعدم ضلالكم[٢].

٣ -أنّ (أَنْ تضلُّوا) مفعول به لـ(يبيّن)، أي: يُبيِّن الله لكم الضلال، أي: لتجتنبوه[٣].

أما ابن كيسان فيقول: (((أَنْ تشتُمونا) أي: ألا تشتمونا، كما قال الله عز وجل: (#q•A ? b& Nà6 9 ª! $Gi6ã)، أي: ألاَّ تَضِلُّوا، والمعنى: لئلا

(١) وهذا إعراب البصريين كالمبرد كما في معاني الزجاج ٢/١٣٧ - ومعاني النحاس ٢/٢٤٤، وإعراب النحاس ١/٥١١، واختاره أصحاب: أمالي ابن الشجري ٣/٤٢٤ - والمسائل العضديات ٤١ - والكشاف ٥/٥٨٧ - ورصف المباني ١٩٨ - والبيان ١/٢٨١ - وتذكرة النحاة ٨٤ - والدر المصون ٢/٤٧٥ - والمغني ٥٥.

(٢) قال به الكسائي، والفراء في معانيه ١/٢٩٧ - واختاره أصحاب: تأويل مشكل القرآن ٢٢٥ - وتفسير الطبري ٤/٣٨٣ - والأضداد للأنباري ٣١١ - وشرح القصائد السبع له ٥٧٣ - والأزهية ٧٠ - وإيضاح ابن الحاجب ٢/٣٢٦.

(٣) وهذا إعراب الجرجاني كما في التفسير الكبير ١١/٩٦، وقدّمه مكي في مشكله ١/٢١٥-٢١٦، وهو الوجه عند الباقولي في كشف المشكلات ١/٣٣٤.

تَشْتُمونا فَعَلْنا ذلك))[١]، فابن كيسان يقول إذًا بالإعراب الثاني، فهو متابع فيه للكسائي والفراء.

أما الإعراب الثالث فهو ضعيف لأمرين، الأول: أن التقدير عليه كان يجب أن يكون (يبيّن الله لكم ضلالكم)، لا (يبيّن الله لكم الضلال)؛ لوجود واو الجماعة في (تضلّوا)، والمتلقون للقرآن عند نزوله لم يكونوا كذلك، والثاني: أن المتأمّل في آية المسألة يرى أن المبيَّن فيها هو الحقّ في بعض مسائل المواريث، لا الضلال ولا ضلالهم.

وعلى ذلك يبقى في الآية الإعرابان الأول والثاني، وهما يتّفقان في جعل (أنْ تضلُّوا) مفعولاً لأجله، ويختلفان في التقدير، وهما يعودان إلى مسألة نحوية خلافية، وهي إعراب (أَنْ) وصلتها إذا وقعتا في موقع مصدرٍ تكون إرادةُ عدمه -لا وجوده- مفسِّرةً وعلةً لما قبله، وشواهد هذه المسألة كثيرة[٢]، منها آية المسألة، وقولُه تعالى: (b& @ßR"9$` B ρŽbù 4?ã ñìa9 Bî7ã ...)[٣]، وقوله: (4+ær öR$'î ÇÚ Å°r' † b& ?Ü‹‰% Î 6àñ)[٤].

---

(١) معلقة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان ٨٤، وقال ذلك تعليقًا على بيت عمرو بن كلثوم:

نزلتم منزلَ الأضيافِ منَّا فعَجَّلْنا القِرَى أنْ تَشْتُمونا

(٢) انظر: شواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة وشعر العرب في: تأويل مشكل القرآن ٢٢٥، وتفسير الطبري ٤/ ٣٨٤، والأضداد للأنباري ٣١١، ومعاني النحاس ٢/ ٢٤٣، والأزهية ٧٠، وأمالي ابن الشجري ٣/ ١٦٠، وشرح القصائد السبع ٤٢٠، وعقود الزبرجد ٣/ ١٤٤، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ٢/ ٦٥٥-٦٦١.

(٣) سورة المائدة ١٩.

(٤) سورة النحل ١٥، ولقمان ١٠.

وقد اختلف النحويون -بعد اتّفاقهم على (أَنْ) وصلتها مفعول لأجله- في تقدير الكلام على مذهبين[1]:

١-أن التقدير: كراهةَ أن تفعل، فحُذِفَ المضافُ؛ لدلالة المعنى والمضافِ إليه عليه، وقام المضافُ إليه مَقامه، وهذا قول البصريين[2].

٢-أن التقدير: (لئلاّ)، فحذفت لام الجر قبل (أَنْ) قياساً، وحذفت (لا) النافية بعد (أَنْ)؛ لدلالة المعنى عليها، وهذا قول الكوفيين[3].

والراجح المذهب الأول؛ لأنه حَمْلٌ على الأكثر الأشيع وهو حذف المضاف، والمذهب الثاني حمل على القليل المخالف لأصل ذكره وهو حذف الحرف، ولأن فيه حذفاً واحداً، وفي الثاني حذفين كما هو بيِّن، وما فيه حذف واحد مقدّم على ما فيه حذفان، وبهذا يتبيّن أن الإعراب الأول أرجح الإعرابات من حيث الصناعة النحوية، أما من حيث المعنى فالإعرابان متفقان؛ لأنَّ ((المآل واحد))[4].

---

(١) هذه المسألة بالمذهبين ذكرت في أغلب المراجع المذكورة في حواشي الإعرابين: الأول والثاني، وأذكر هنا بعض المراجع التي تضاف إلى ما سبق: شرح القصائد السبع ٤٢٠، ٥٧٣ - وإيضاح الوقف والابتداء ٦٦٩-٦٧٠ - وشرح القصائد العشر ٢٣٩، ٢٦١ - ورصف المباني ١٩٨ - والجنى الداني ٢٢٤ - والدر المصون ٣/٢٢٢ - والمغني ٥٥.

(٢) كالأخفش والمبرد، واختاره النحاس، والفارسي، والزمخشري، والباقولي، والكمال الأنباري، والعكبري، والقرافي، والمالقي، وابن هشام، انظر: معاني الأخفش ٢/٢٩١ - ومعاني النحاس ٢/٥٢١ - وإعراب النحاس ٢/١٠٨ - والكشاف ٢/٧٨ - وكشف المشكلات ١/١٦٢ - والتبيان ١/٥٥٠ - والفريد ٢/٢٥٤ - والاستغناء للقرافي ٥٩٧.

(٣) كالكسائي والفراء وأبي بكر الأنباري، واختاره الطبري، انظر: الأضداد للأنباري٣١٠- وتفسير الطبري ٥/٤٠٢.

(٤) انظر: الجواهر للباقولي ٤١-٦٤ - والمحتسب ١/١٨٨، وفيه: ((حذف المضاف في القرآن =

٢٣ - سورة الأنعام، الآية ٧١

نوع اللام في (لنسلم) في: (šú üÜ=»è@$Ï •9 Nîó ã $Rö@Ï)

اختلف النحويون في اللام التي بعد الفعل من الإرادة والأمر، في نحو آية المسألة، و(ß ã9 ûi7ã ª! $#ß f Ì ã)[(١)]، و(ßã6 Zã |=ÏdõãÏ ª! $#ß f Ì ã$JR)[(٢)]، على أربعة مذاهب[(٣)]:

١ -أنها زائدة، وما بعدها مفعول الفعل[(٤)]، أي: أُمرنا أنْ نسلم.

٢ -أنها بمعنى (أنْ)، تعاقبها معنى وعملاً، حتى سماها بعضهم (لام أنْ)، فهي وما دخلت عليه مفعول الفعل، أي: أمرنا أنْ نسلم.

٣ -أنها بمعنى الباء، فهي داخلة على مفعول الفعل، أي: أُمرنا بأنْ نسلم.

٤ -أنها لام التعليل، ويسميها بعضهم (لام كي)، وفي المفعول قولان:

= والشعر وفصيح الكلام في عدد الرمل سعة))- والاستغناء ٥٩٧- والمغني ٥٥- وحاشية الدماميني ١/ ٧٨- وحاشية الدسوقي ١/ ٣٧- ودراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣/ ٣/ ٣٨٩-٣٩٦- وتفسير ابن عاشور ٨/ ١٧٩، ومنه النقل.

(١) سورة النساء ٢٦.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣.

(٣) انظر مع المراجع المذكورة بعد هامشين: معاني الفراء ١/ ٣٣٩- والمحلى ٢٣٥- واللامات للهروي ١٧٥- وتفسير الثعلبي ٣/ ٢٩٠- والارتشاف ٤/ ١٦٦٠- والبحر المحيط ٤/ ١٦٣- والجنى الداني ١٢٢- والدر المصون ٣/ ٩٤- وشرح الشذور ٣٨٣- وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤/ ١٩٢.

(٤) المفعول الأول لـ(يبيِّن)، أي: يريد أن يُبيِّن، أي: التبيين، والمفعول الثاني لـ(أمرت)، وهو مجرور بالباء، أي: أمرنا بأن نسلم، أي: بالإسلام.

أ-أنه محذوف، تقديره نحو: أُمرنا بما أُمرنا به لنسلم، أو: أُمرنا بالإخلاص لنسلم.

ب-أن الفعل هنا مؤول بالمصدر، فهو منسبك بلا سابك ظاهر، واللام متعلقة بالخبر، والتقدير: الأمر للإسلام.

وظاهرٌ أن المذهبين الأولين يعودان إلى شيء واحد، إلا أنه مَن جعل نصب المضارع بـ(أنْ) مضمرة جعل اللام زائدة، ومَن جعل النصب باللام جعلها نفسها بمعنى (أنْ).

أما المذهب الثالث فضعيف؛ إذ ((مجيء اللام بمعنى الباء قول غريب))[1]، كما أن التكلف في القول الثاني من المذهب الرابع لائح؛ لعدم وجود سابك.

وأرجح هذه المذاهب هو الرابع بقوله الأول، وقد قال به أكثر المعربين[2]، ومنهم ابن كيسان؛ إذ يقول: ((هي لامُ الخفض، واللامات كُلُّها ثلاثٌ: لامُ خَفْضٍ، ولامُ أَمْرٍ، ولامُ توكيدٍ، لا يخرج شيءٌ عنها))[3]، فصرَّح هنا أنها حرف الجر، وذكر في آية (ª! $79 •ÿóøk)[4] أن اللام ((لا يجوز أن

---

(١) البحر المحيط ٤/ ١٦٣.

(٢) انظر: معاني الزجاج ٢/ ٢٦٢- والكشاف ٢/ ٣٥- والمحرر الوجيز ٢/ ٣٠٨- والتبيان للعكبري ١/ ٥٠٨- وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٢١- والبحر المحيط ٤/ ١٦٣- وتوضيح المقاصد للمرادي ٤/ ١٩٧- والجنى الداني ١٢١.

(٣) إعراب النحاس ٢/ ٧٤، ٣/ ٣٢- وتفسير القرطبي ٧/ ١٩.

(٤) سورة الفتح ٢، وانظر المسألة ٣١.

تكون إلا (لام كي)))[١]، وفي ذلك التصريح بانها المفيدة للتعليل، وهذا لا يتأتى إلا في المذهب الرابع.

وإذا كانت اللام هنا هي لام التعليل، أو كما يقول ابن كيسان (لام كي)، فيبقى أن نسأل عن نصب (نسلم): أبها كما يقول الكوفيون، أم بـ(أنْ) مضمرةً كما يقول البصريون[٢]؟

وللجواب عن هذا السؤال أنقل عن ابن كيسان نقلين:

الأول: تنقله كتب النحو، وهو أن ابن كيسان يوافق البصريين، ويزيد عليهم بجواز أن يكون الحرف المضمر (أنْ) وأن يكون (كي)[٣].

وهذا لا يخالف إعراب ابن كيسان هنا، بل ربما أشار إليه بتسميته اللام هنا (لام كي).

والنقل الثاني: عن كتابه الموفقي، إذ قال فيه: ((وحروف النصب التي تنصب الأفعال المستقبلة هي: أنْ، ولنْ، وحتى، وإذنْ، وكي، وكيلا، وكيما، ولام كي، ولام الجحْد، ولأنْ، ولئلا، وأنْ لا، وحتى لا))[٤]، وظاهر هذا النقل يخالف إعراب ابن كيسان هنا؛ إذ جعل (لام كي) هي الناصبة للمضارع بعدها، ولكن يبدو أن ما في الموفقي مذهب تعليمي لا علمي؛

(١) معاني النحاس ٦/ ٤٩٥.

(٢) انظر: الإنصاف ٢/ ٥٩٧ -وشرح المفصل ٧/ ١٩ - وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ١٤١ - وشرح التسهيل ٤/ ٢٣.

(٣) انظر: الارتشاف ٤/ ١٦٥٩ - والجنى الداني ١١٥ - ومغني اللبيب ٢٧٧ - والتصريح ٢/ ٢٤٤.

(٤) الموفقي ١٠٨.

لكونه مختصرًا، يدلك على ذلك أنه ذكر في النواصب أيضًا (لأنْ) و(لئلا) و(أنْ لا) و(حتى لا)، مع أن كل واحد منها أكثر من حرف.

والخلاصة أنه في هذه المسألة يخالف الكوفيين، ويوافق البصريين، ويزيد عليهم بتجويز كون المضمر (أنْ) أم (كي).

٢٤ - سورة يونس، الآية ٢٧

نوع الباء في: ($gî#ÜÎ ¥ĥ™ ãt“_)

قيل إن جملة (جزاء سيئة بمثلها) خبر (الذين كسبوا السيئات) في أول الآية[١]، ثم اختُلف في إعراب جملة الخبر على أربعة إعرابات:

١-أن الباء في (بمثلها) زائدة، فمعناها كقوله تعالى: (r_“ãt ¥ĥ™ 7 $gè#Ì ¥ĥ™)[٢].

٢-أن الباء ليست زائدة، بل متعلِّقة بالخبر المحذوف، المقدَّر بكون خاصٍّ نحو: مقدَّر بمثلها، أو عامٍّ نحو: كائن بمثلها، كقول العرب: إنما أنا بك، أي: كائن بك[٣].

٣-أن الباء ليست زائدة، بل متعلِّقة بالمصدر (جزاء)، كقوله تعالى: (r_“1ß N Î$J ¹ (#ÿr9ç _ Z r mr ì/ ƒ #)[٤]، والخبر شبه جملة جارٌّ ومجرور دلَّ

(١) وفي خبر (الذين كسبوا) سبعة إعرابات، انظر: التبيان ٢/ ٦٧١- والبحر المحيط ٥/ ١٥٠- والدر المصون ٤/ ٢٤.

(٢) سورة الشورى ٤٠.

(٣) اختاره ابن هشام في المغني ١٤٩، وجوَّزه الفراء في معانيه ١/ ٤٦١- وابن جني في سر الصناعة ١/ ١٣٨.

(٤) سورة الإنسان ١٢.

عليهـا قولـه تعـالى في الآيـة السـابقة: (öŠ$f Î-r 4_ó tø$(qã¡ ôm& ûïï%!$#)[١]، والتقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، أي: لهم أنْ يُجزوا سيئة بمثلها[٢].

٣-أن الباء ليست زائدة، بل متعلِّقة بالمصدر (جزاء)، والخبر كون عامٌّ محذوف، والتقدير: جزاء سيئة بمثلها كائن[٣].

أما ابن كيسان فيقول: ((الباء زائدة، والمعنى: جزاء سيئة مثلُها))[٤]، فهو يقول بالإعراب الأول، فهو تابع فيه للأخفش[٥]، وهذا الإعراب ليس بقـويٍّ؛ لأن زيـادة البـاء في غـير خـبر (لـيس) و(مـا) غـير مطـرِّد[٦]، كما أن الإعرابين الثاني والثالث يغنيان عنه، بل هما أظهر منه، أما الإعـراب الثـاني فهو الظاهر المتبادر من الآية، ولا مـانع منـه، وأمـا الإعـراب الثالـث فتـدلُّ عليه الآية السابقة لتحدث المشاكلة به بين الآيتين.

ومن الغريب قول ابن كيسان هنا بزيادة الباء مع أنه يكره القول بالزيادة في القرآن الكريم، حتـى ألجـأه ذلـك إلى مخالفـة الجمهـور والظـاهر في إعـراب بعض الآيات؛ لإخراجها عن القول بالزيادة، فقال: ((وأنا أختار أن أجعل

---

(١) سورة يونس ٢٦.

(٢) اختاره الفراء في معانيه ١/ ٤٦١- والطبري في تفسيره ٦/ ٥٥٤.

(٣) جوَّزه ابن جني في سر الصناعة ١/ ١٤٠- والعكبري في التبيان ٢/ ٦٧١.

(٤) تفسير القرطبي ٨/ ٣٣٢، وانظر: البحـر ٥/ ١٥٠- والـدر المصـون ٤/ ٢٤- والمغنـي ٥١٢- وفتح القدير ٢/ ٤٣٩.

(٥) انظر: معاني الأخفش ٢/ ٣٤٣، وانظر: سر الصناعة ١/ ١٣٨، وحسنه- وكشـف المشـكلات ١/ ٥٣٥، وقال به.

(٦) انظر: البحر المحيط ٥/ ١٥٠- والمغني ٥١٢.

لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحو قول الله - I -: (`Ḃ 7Jûn' $Jûù `
$ 4»)[1] .... (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه....))[2].

٢٥ - سورة طه، الآية ٦٣

إعراب (هذان) في قراءة: (bÎ d»‹ Èb¨ 9 ¡ »Ÿ•Ès)

تفرَّقت كلمة النحويين والمفسرين في توجيه هذه القراءة[3] شَعاعًا، ويمكن رَدُّ إعراباتهم إلى خمسة إعرابات:

١ -أن (هذان) اسم (إنَّ)، وقد جاء على لغة مَن يلزمون المثنى الألف[4].

٢ -أن (هذان) اسم (إنَّ)، و(إنَّ) هنا حرف غير عامل بمعنى (نَعَمْ)[5].

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩، وسبقت دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٢) إعراب النحاس ٣/٢٤٨، وانظر الكلام على كراهته القول بالزيادة في القرآن الكريم في الظاهرة الثانية في الفصل الثاني (منهج ابن كيسان في الإعراب).

(٣) هذه القراءة -وهي تشديد (إنَّ) وكون (هذان) بالألف مع تخفيف نونها المكسورة- هي قراءة العشرة إلا ثلاثة، وهم أبو عمرو إذ قرأ: ﴿bÎ d»x Èb¨ 9 ¡ »Ÿ•Ès﴾، وابن كثير إذ قرأ: ﴿bÎ d»‹ Èb¨ 9 ¡ »b•Ès﴾، وعاصم في رواية حفص إذ قرأ: ﴿bÎ d»‹ Èb¨ 9 ¡ »Èb•Ès﴾، انظر: السبعة ٤١٩- وإبراز المعاني ٣/٣٧٢-٣٧٣- والنشر ٢/٣٢٠-٣٢١.

(٤) هذا قول أكثر النحويين، كأبي زيد الأنصاري، والكسائي، والأخفش، وابن جني، وابن فارس، والزمخشري، وابن مالك، واختاره ابن يعيش وابن عصفور وأبو حيان، وجوَّزه الفراء والزجاج. انظر: معاني الأخفش ٢/٤٠٨- ومعاني الفراء ١/١٨٤- ومعاني الزجاج ٣/٣٦٤- إعراب النحاس ٣/٤٥- وسر الصناعة ٢/٧٠٦- والصاحبي ٢٩- والمفصل مع شرحه ٣/١٢٦- وشرح الجمل لابن عصفور ١/٤٤٦- وشرح التسهيل ١/٦٢- والبحر المحيط ٦/٢٣٨.

(٥) وهذا قول المبرد، وإسماعيل القاضي، والزجاج ونسبه إلى النحويين القدماء، والأخفش =

٣-أن اسم (إنَّ) ضمير شأنٍ محذوف، و(هذان) مبتدأ[١].

٤ -أن اسم (إنَّ) ضمير شأن مذكور وهو (ها) من (هذان)، و(ذان) مبتدأ[٢].

٥ -أن (هذان) اسم (إنَّ)، وهو لفظ ملازم لهذه الصيغة.

أما ابن كيسان فيُحِّدث عنه تلميذُه أبو جعفر النحاس قائلاً: ((سألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية، فقال: إنْ شئت أجبتك بجواب النحويين وإن شئت أجبتك بقولي، فقلت: بقولك، فقال: سألني إسماعيل بن إسحاق عنها، فقلت: القول عندي أنه لَّما كان يقال (هذا) في موضع الرفع والنصب والخفض على حال واحدة، وكانت التثنية يجب ألا يُغَيَّرَ لها الواحد أُجريت التثنية مُجرى الواحد، فقال: ما أحسنَ هذا لو تقدَّمك بالقول به حتى يُؤْنَسَ به، فقلتُ: فيقولُ القاضي به حتى يؤنس به، فتبسم))[٣]، وسؤال القاضي إسماعيل الذي ذكره ابن كيسان ذكر قصته صاحب إنباه الرواة، فقال: ((وذُكر أن القاضي إسماعيل كان مفتتنًا بما يأتي من مقاييسه في العربية .... فقال له يومًا: ياأبا الحسن، ما تقول في قراءة

= الأصغر. انظر: معاني الزجاج ٣/ ٣٦٤- وإعراب النحاس ٣/ ٤٤- وإبراز المعاني ٣/ ٣٧٦- والبحر المحيط ٥/ ٣٥.

(١) نسبه الزجاج في معانيه ٣/ ٣٦٤ إلى بعض النحويين القدماء، وانظر: مشكل مكي ٢/ ٤٦٧- والدر ٥/ ٣٥.

(٢) نُسِب في منتهى الأرب ٥١ إلى أبي زكريا يحيى بن علي الملقب (جبل النحو)، وانظر: إبراز المعاني ٣/ ٣٧٧.

(٣) إعراب النحاس ٣/ ٤٦- وتفسير القرطبي ١١/ ٢١٩، وانظر: المحرر ٤/ ٥٠.

الجمهور .... وما وجهها؟ على ما جرت به عادتك من الإغراب في الإعراب، فأطرق ابن كيسان مليًّا ثم قال: نجعلها مبنيةً لا مُعربةً وقد استقام الأمر، قال له إسماعيل القاضي: فما علة بنائها؟ قال ابن كيسان: لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني، والجمع (هؤلاء) وهو مبني، فتُحمل التثنية على الوجهين ....))[1].

وبهذا يكون ابن كيسان من أهل الإعراب الخامس، والحقيقة أن أهل هذا الإعراب اختلف كلامهم في بيان التزام (هذان) هذه الصيغة[2]، ويهمنا منهم ابن كيسان الذي يرى أن (هذان) مبنية كـ(هذا) و(هؤلاء)، ولعله بهذا القول يوافق قول من قال: إن (هذان وهاتان) صيغتان مرتجلتان، لا تثنية (هذا وهاتا)[3].

وعندي أن هذا الإعراب ضعيف؛ لاعتماده على إعطاء خاصية لـ(هذان)؛ لكون مفردها مبنياً، ولذا لزم (هذان) حالة واحدة، كما لزم المفرد (هذا) حالة واحدة، وفي هذا التعليل نظر؛ لأن كون المفرد مبنياً لا يلزم منه كون المثنى مبنياً بدلالة الأمور الآتية:

١ -أن لأسماء الموصولة -وهي من الأسماء المبهمة -إذا ثُنِّيت فقيل: جاء اللذان أسلما، ورأيت اللذَّيْنِ أسلما، كانت آتيةً بالألف والياء بحسب الإعراب، ولا تلزم حالة واحدة، وهذه هي لغة العرب المشهورة، وبها نزل

(١) إنباه الرواة ٣/ ٥٨ - والأشباه والنظائر للسيوطي ٦/ ٦.

(٢) انظر هذا الاختلاف في (ما أعربه الكسائي من القرآن، جمعًا ودراسة) ص١٠١٧.

(٣) انظر: شرح المفصل ٣/ ١٢٧.

القرآن، قال تعالى: (Èb#%©!$#ur $ygÏY»Ï?ù'tƒ öNà6ZÏB $yJèdrèŒ$t«ù ...)[1]، وقـال: (‘/Z$
&ÍrÌ$$!©%#Èb$Rz |Ê& $R`Ì$Ïqy$!©#$Ry RÏBš ...)[2].

٢ -أن مثنى (هذا) جاء بالألف والياء بحسب الإعراب، في القرآن الكريم، وفي لغة العرب المشهورة، وفي لغة قريش، ففي القرآن الكريم قوله تعالى: (bÎ) ÈbºxÏ»yd Èbºtps»|¡9)[3]، على قراءة أبي عمرو السبعية كما سبق، وفي قولـه تعـالى: (’ÎoTÎ) ß‰ƒÍ‘é& ÷br& y7ysÅ3Ré& ”y‰÷nÎ) ¢ÓtLuZö/$# Èû÷ütG»yd)[4]، وفي الحـديث الشريف: ((إن هـذين حـرامٌ عـلى ذكـور أمتـي، حـلّ لإنـاثهم))[5]، يعنـي: الذهب والحرير، ومن كلام الصحابة - y - قول أبي بكر - t - في حديث السقيقة المشهور: ((وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين))[6].

ويضعف هذا الإعراب أيضًا أن قصارى تعليله أنه يجوِّز (هـذان) في الآية، ولا يُعَمِّم هذا التجويز في (هذان) في كل موضع، ولو كان الأمر كـما قالوا لجاز مجيء المثنى من كل مبني بالألف دائماً من أجل هذه المعاني فقـط، ولا يُعرف قائـلٌ بـه؛ لأن أقـوال هـذا الإعـراب ذات معـانٍ مطـردة، ومنـع طردها في الشبيه والنظير دليـل ضـعفها، ولسـمع عـن العـرب عامـة مجيء

(١) سورة النساء ١٦.

(٢) سورة فصلت ٢٩.

(٣) سورة طه ٦٣.

(٤) سورة القصص ٢٧.

(٥) انظر: صحيح الجامع الصغير ١/ ٤٥١ برقم (٢٢٧٤)، وفيه تخريج الحديث.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ١/ ٦٩ (في آخر مسند عمر).

(هذان) دون غيرها من المثنيات في بعض كلامهم بالألف دائماً، والمسموع من نحو ذلك إنما سُمع من القبائل التي تلزم المثنى الألف، وعلى هذا يكون الإعراب الخامس قد عاد إلى الإعراب الأول، ولم يَعْدُ أن يكون تعليلات لهذه اللغة، ولكنها تعليلات خاصة بـ(هذان)[١].

٢٦ – سورة النمل، الآية ٣٧

نوع اللام في: ($k5 Mç; @6% žv Šqã2 NgY•ÏÜz=ù)

قال أبو جعفر النحاسُ بعد أن ذكر أن اللام في (فلنأتينهم) لام القسم: ((وسمعت أبا الحسن بن كيسان يقول: هي لامُ توكيدٍ، وكذا كان عنده أنَّ اللاماتِ كلَّها ثلاثٌ لا غير: لامُ توكيدٍ، ولامُ أَمْرٍ، ولامُ خَفْضٍ، وهذا قولُ الحُذَّاقِ من النحويين؛ لأنهم يَرُدُّون الشيءَ إلى أصله، وهذا لا يَتَهَيَّأُ إلا لمن دَرِبَ بالعربية))[٢].

وظاهر هذا الكلام أن في اللام خلافًا، فقيل: لام قسم، وقيل: لام توكيد، وليس الأمر كذلك، بل الخلاف لفظيٌّ، فابن كيسان يرى أن اللامات ثلاث: الجارة والجازمة ولام التوكيد[٣]، فلام التوكيد عنده تشمل اللامات غير العاملة، كلام الابتداء، واللام الواقعة في الجوابات كجواب القسم، واللام الفارقة، واللام الموطئة، فهي لامات يراد بها التوكيد، فهي

---

(١) إبراز المعاني ٣/٣٧٦.

(٢) إعراب النحاس ٣/٢١١، ونقله القرطبي في تفسيره ١٣/٢٠١- والشوكاني في فتح القدير ٤/١٣٨.

(٣) انظر هذا الحصر عن ابن كيسان في: إعراب النحاس ٢/٧٤، ٣/٣٢، -وتفسير القرطبي ٧/١٩.

لامات توكيد، وهذا صحيح من حيث المعنى، وإنْ كانت أحكامها تختلف من موضع لموضع آخر، فالمستعملة في الابتداء تختلف في أحكامها عن المستعملة في القسم، وهكذا.

وممَّا يدل على ذلك أن ابن كيسان نفسه ذكر في الموفقي[1] أن اللام تقع في جواب القسم، ولهذا لم يذكر أحدٌ من المعربين أو المفسرين خلافًا في نوع اللام في الآية فيما أعلم.

٢٧ - سورة القصص، الآية ٢٨

نوع (ما) في: (¥?ã šc °r®ã Ÿù ÅMøÒ% È#_ F$$J ƒ&)

يرى جماهير النحويين والمفسرين أن (ما) في الآية زائدة للتأكيد، والمعنى: أيَّ الأجلين[2]، وأما ابن كيسان فيكره أن يجعلها زائدةً، وقد ذكرتُ هذين الإعرابين وكلام ابن كيسان في إعراب قوله تعالى: (‹ $` B 7Jôn‘ $J6ù)[3]، وناقشتهما ثَمَّ[4]،وقد حكى إعراب ابن كيسان هذا بعض المعربين دون عزو[5].

---

(١) الموفقي ١٢٣.

(٢) انظر: معاني الفراء ٢/٣٠٥- ومجاز القرآن ٢/١٠٢- وتفسير الطبري ١٠/٦٣- ومعاني الزجاج ٤/١٤٢- وإعراب النحاس ٣/٢٣٦- وتفسير البغوي ٣/٤٤٣- والكشاف ٣/٣٩٢- والمفصل ٤٢٤- والمغني ١٨٧- وتفسير البيضاوي ٤/٢٩٠- وتفسير أبي السعود ٧/١١.

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.

(٤) في المسألة (١٩).

(٥) حكاه: مشكل مكي ٢/٥٤٣- والتبيان للعكبري ٢/١٠١٩- وتفسير القرطبي ١٣/٢٧٩- والدر المصون ٥/٣٣٩- وفتح القدير ٤/١٦٩.

ويُضاف هنا أن مما يقوي إعراب الجمهور قراءة عبدالله بن مسعود - t -:

(& £$ ₣_ #;û B$ %ÖøMà)[1].

٢٨ - سورة العنكبوت، الآية ٤

نوع (ما) في: (™$ä B$ tØ3ãBq c š)[2]

أجاز ابن كيسان في (ما) توجيهين راجحًا ومرجوحًا، فالأول ((أنْ يكونَ (ما) مع (يحكمون) بمنزلة شيءٍ واحد، كما تقول: (أعجبني ما صنعتَ)، أي: صنيعُك، قال: وإن قلتَ: (ساء صنيعُك) لم يَجُزْ، والتقديرُ الآخرُ أنْ يكونَ (ما) لا موضعَ لها من الإعراب، وقد قامت مَقامَ الاسم لـ(ساء)، وكذا (نِعْمَ، وبِئْسَ)، قال أبو الحسن بن كيسان: وأنا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كُلِّ ما أَقْدِرُ عليه، نحو ....))[3].

وقبل الكلام على إعرابي ابن كيسان نلحظ أنه جعل (ساء) في الآية في حكم (نِعْمَ وبِئْسَ)، وهذه مسألة نحوية، فالفعل (ساء[4]) كغيره من

---

(١) انظر: معاني الفراء ٢/ ٣٠٥- وتفسير القرطبي ١٣-٢٧٩- والدر المصون ٥/ ٣٤٠.

(٢) هذه الجملة وردت في عدة آيات في سور: الأنعام ١٣٦، والنحل ٥٩، والعنكبوت ٤، والجاثية ٢١، وإنما درستها وذكرتها في سورة العنكبوت لأن النحاس تلميذ ابن كيسان إنما نقل هذا الإعراب عنه هنا.

(٣) إعراب النحاس ٣/٢٤٨، ونُقل عنه في: مشكل مكي ٢/ ٥٥٠- والمحرر الوجيز ٤/٣٠٦- وتفسير القرطبي ١٣/ ٣٢٧- والبحر المحيط ٧/١٣٧- والدر المصون ٥/٣٥٩- وفتح القدير ٤/ ١٩٢، وقد نقل مكي في مشكله ٢/ ٧٣٥ أن ابن كيسان أعرب بالتوجيه الأول قوله تعالى في سورة المنافقون ٢: ﴿ÎNã ™$ä B$. q₫ (f Jèqb﴾، فقال: ((ما) والفعل مصدر في موضع رفع بـ(ساء)، فلا يحتاج إلى هاء محذوفة)).

(٤) أصلها (سَوُأَ)، ثم انقلبت الواو ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ماقبلها، فصارت (ساء)، انظر:
=

الأفعال التي على (فَعُلَ) يأتي غير دالٍّ على ذَمٍّ، فيبقى فعلاً لازماً للدلالة على وقوعه من فاعله، ويأتي مرادًا به الذم، فيجوز إلحاقه بباب (نعم وبئس)، فيأخذ جميع أحكامه، وقيل: يجوز إلحاقه به وبالتعجب فيأخذ أحكامه[1].

وابن كيسان قد ألحق (ساء) هنا بـ(بِئْسَ) في الإعرابين، فبرهان الأول قوله: ((وإن قلتَ: (ساء صنيعُك) لم يَجُزْ))، وهذا لا يجوز في (بِئْسَ)، فلا يقال: (بئس صنيعك)، ولكنه يجوز مع (ساء) الباقية على أصلها، نحو: (حَسُنَ صنيعك)، و(ساء صنيعُك)، وبرهان الآخر قوله: ((وكذا (نِعْمَ، وبِئْسَ))).

فإذا كان (ساء) كـ(بِئْسَ) فـ(ساء ما) مثل (بِئْسَ ما) و(نِعْمَ ما)، وقد سبق الكلام على هذا في إعراب ابن كيسان لقوله تعالى: (¨bÎ) $#©! $KÏèÏR ƒ /ä3ÝàÏè ÿÏmÎ/)[2]، وملخص مذهبه أن (ما) تركبت مع (بِئْسَ) فكفَّتها عن طلب الفاعل كـ(قَلَّما)، فـ(ما) لا محل لها من الإعراب، وهذا توجيهه المرجوح هنا، مع أنه هناك لم يذكر سواه، ورجَّح هنا التوجيه الأول، وهو أن (ما)

= التصريح وحاشية يس عليه ٢/ ٩٨- وشرح الأشموني (مع الصبان) ٣/ ٢٩.

(١) الأول قول الفارسي، وظاهر كلام ابن السراج، ونسب إلى أكثر الكوفيين، والثاني وهذا قول الأخفش، والمبرد، واختاره ابن هشام. انظر: معاني الأخفش ٢/ ٣٩٣- والمقتضب ٢/ ١٤٩- والأصول ١/ ١١٥- والإيضاح مع المقتصد ١/ ٣٦٩، ٣٧٠- والارتشاف ٣/ ٢٠- وتوضيح المقاصد ٣/ ١٠٧- وأوضح المسالك ٣/ ٣٨٠- والتصريح ٢/ ٩٨.

(٢) سورة النساء ٥٨، في المسألة (٢٠).

مصدرية[1]، والتقدير: ساء حكمهم، وقد أغنى المصدر المؤول عن المخصوص.

فإن قلتَ: كأنَّ بين إعرابه لـ(بِئْسما) والملحَق به (ساء ما) اختلافًا.

قلتُ: نعم، يظهر أنه يجعل (ما) في (بِئْسما) زائدة مركبَّة، ويجيز ذلك في (ساء ما) مرجوحًا لكراهة القول بالزيادة في القرآن الكريم، ويقدِّم عليه كونها مصدرية؛ لكون (ساء) يجوز في أصله أن يقال: (ساء حكمهم).

٢٩ - سورة الشورى، الآية ١١

معنى (في) في: (_èŸ@ 9ãa/ Bô &Rÿ Å ãa N &ør°_[$ rB`$ {R»è É &ør°_[$ ƒõ ‘ääN

(ïnŠü)

اختلف النحويون والمفسرون في معنى (في) في الآية على ثلاثة أقوال[2]:

١-أن معنى (في) معنى الباء السببية، أي: به، والتقدير: يُكَثِّركم بسببه، والضمير عائد إلى مفهوم، نحو: يكثركم بجعلكم أزواجًا، أو بالتزويج ....

٢-أن معناها الظرفية الحقيقية، على تقدير: يخلقكم أو يعيشكم في

(١) ابن كيسان ممن يرى أن (ما) المصدرية اسمٌ لا حرف، انظر: الموفقي له ص١٢٢، وانظر الخلاف فيها في: المقتضب ٣/ ٢٠٠- والبغداديات ٢٧١- ونتائج الفكر ١٨٥- والجنى الداني ٣٣٢- والمغني ٤٠٢.

(٢) انظر مع المراجع المذكورة في الدراسة: إعراب النحاس ٤/ ٧٣- ومعانيه ٦/ ٢٩٦- والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨- وتفسير الرازي ٢٧/ ١٢٩- والإتقان للسيوطي ٣/ ٣٠٨.

البطن أو في الروح أو في هذا الوجه من الخلقية.

٣-أن معناها الظرفية المجازية، على تقدير: يكثركم في خلق الأزواج، كما تقول: للحيوان في خلق الأزواج تكثيرٌ.

وابن كيسان ممن يرى أن (في) بمعنى الباء[١]، وقد سبقه إلى ذلك: الفراء[٢]، وفي هذا القول إخراج لـ(في) عن معناها الأصلي الكثير إلى معنى قليل.

وأرجح منه الإعراب الثالث؛ لأن له نظائر من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ öNä3s9r ÎûÄ $|ÁÉ)ø9$# ×o4quym ﴾[٣]، ولأن فيه إبقاءً للحرف على معناه الأصلي، ولأن الآية به تكون أبلغ في الدلالة على معناها؛ لأنها مَسُوْقَةٌ لإظهار الاقتدار مع الوحدانية فأسقطت السببية وأثبتت (في) الظرفية فجَعَلَتْ خَلْقَ الأزواج كالمَنْبَعِ والمَعْدِنِ للبَثِّ والتكثير؛ وبهذا رجَّحه بعض المحققين[٤].

٣٠ - سورة محمد - e - الآية ١٥

المُشَبَّه في: (.ÔJ qè z »$Ö Î'$$9Z$í)

اختُلف في المُشَبَّه في هذه الآية، وبناءً عليه اختُلف في إعرابها على

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي ٨/٣٠٥- وتفسير القرطبي ١٦/- وفتح القدير ٤/٥٢٨.

(٢) انظر: معاني الفراء ٣/٢٢، وممن تبعهما على ذلك: الزجاج في معانيه ٤/٣٩٥- وأبو حيان في البحر ١/١٥٥.

(٣) سورة البقرة ١٧٩.

(٤) كالزمخشري في الكشاف٤/٢٠٦- وابن هشام في المغني ٣٠٥- والزركشي في البرهان ٣/٣٠٨.

إعرابين[1]:

١ - أنها خبر لـ(مَثَلُ الجنةِ) في أول الآية، أي: مَثَلُ الجنةِ كمن هو خالدٌ في النار[2]، على معنى التوبيخ والتقريع[3]، وقيل: بل هي خبر على تقدير استفهام، فقيل التقدير: أمثل أهل الجنة كمَن هو خالدٌ في النار؟، وقيل التقدير: أمثل الجنة كمثل جزاء مَن هو خالد في النار؟[4].

٢ -أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير نحو: هم (أي أهل الجنة) كمن هو خالدٌ في النار، وقيل: هي خبر على تقدير استفهام، والتقدير نحو: أمَن هو في الجنة كمن هو خالدٌ في النار؟[5]

وأما ابن كيسان فيقول: ((مَثَلُ هذه الجنةِ التي فيها الثِّمارُ والأنهارُ كمَثَلِ النارِ التي فيها الحميمُ والزَّقومُ، ومَثَلُ أهلِ الجنةِ في النعيمِ المقيم كمَثَلِ أهلِ النارِ في العذاب المقيم))[6].

وظاهر كلامه أن الآية من جملتين حّذِفَ من كلِّ جملةٍ ركن، فحّذِفَ

---

(١) انظر مع مراجع المسألة: تفسير الرازي ٢٨/ ٤٩ - والبحر المحيط ٨/٧٨- وحاشية الشهاب على البيضاوي ٤٩٥ - وروح المعاني ٢٦/ ٤٩.

(٢) هذا قول الكسائي، انظر: إعراب النحاس ٤/ ١٨٣-١٨٤ - ومشكل مكي ٢/ ٦٧٣.

(٣) انظر: معاني النحاس ٦/ ٤٧٢.

(٤) الأول تقدير جوَّزه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١١٤، والثاني تقدير الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣١٣.

(٥) هذا تقدير الفراء في معانيه ٣/ ٦٠، وانظر تقديرات أخر في: المحرر الوجيز ٥/ ١١٤ - وتفسير أبي السعود ٨/ ٩٦ - وتفسير ابن كثير ٤/ ١٧٧.

(٦) تفسير الثعلبي ٩/ ٣٣- وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٣٧.

من الأولى الخبر، وهو (كمثل النار)، وحُذِفَ من الجملة الثانية المبتدأ، وهو (مثل أهل الجنة)، لدلالة معنى الآية على المحذوفين.

ولم أجد من قال بهذا التأويل، وليس بعيدًا عندي عن معنى الآية، ولكن فيه حذفًا كثيرًا.

ولكن ما معنى تشبيه الجنة بالنار، وتشبيه أهلها بأهل النار، مع أنه لا مشابهة، بل هما مختلفتان، وأهلها مختلفون؟

والجواب: لعل المراد الاستهزاء والتهكم[١]، كمَن يجهد في إقناعك بأن الربا مثل البيع، فتقول له مستهزئًا: نعمْ صحيحٌ الربا كالبيع.

ومع ذلك الأرجحُ عندي أن يكون المبتدأُ المحذوفُ مقدَّرًا مع استفهام، نحو: أمَن هو في الجنة التي سبق وصفها كمن هو خالدٌ في النار؟ لأن لهذا نظائر في القرآن، وأقربها قوله تعالى في الآية السابقة: (b‰. ` Jù& 4?ã ÉΟ÷ƒ ß` ¨ïÎ7s% ` J. ` Îã 9çμ¼ ÏMtRÍ ä &#ÎŠ¾)[٢]، وقد كثُر حذف أحد الركنين في هذا الأسلوب[٣]، كقوله تعالى: (Jù& ô dèq $%Í Ï 4?ã äè R÷ø S¨ Î J$)[٤]، فقيل: إن التقدير: (كمَن ليس كذلك)، وقوله: (Jù& ` fÉ÷ ‘ ¡ 6M .

---

(١) انظر: التبيان للعكبري ٢/ ١١٦٢- والدر المصون ٦/ ١٥١٠، أما صاحب فتح القدير ٥/ ٣٤ فقد نقل عن ابن كيسان أن التقدير: (ليس مثل الجنة ... وليس مثل أهل الجنة ....)، ولعله أراد أن يصلح التقدير بزيادة كلمة (ليس)، وإلا فإن الثعلبي والقرطبي قد نقلا قول ابن كيسان -كما سبق- وما ذكرا كلمة (ليس).

(٢) سورة محمد - e - ١٤.

(٣) انظر: معاني النحاس ٦/ ٤٧٢- والمغني ١/ ١٨-١٩- والإيضاح في علوم البلاغة ٨٣..

(٤) سورة الرعد ٣٣.

qÎ ô̲ĝïn¾ ßr‰pä$ø è‹# ≥É /ïöP$ø ÉŠ»J þ)[1]، فقيل:إن التقدير: (كمَن ينعَم في الجنة)، وقوله تعالى: (&ùJ ` ãÉû 9çü¼ ßr‰pä åH#ï¼ ù•ä#ç m ¡Y$)[2]، فقيل: إن التقدير:(كمَن هداه الله).

٣١ - سورة الفتح، الآية ٢

نوع اللام في (ليغفر) في: (ïøöŸ• 9 7 $! ª B$?)‰P Ë` ŒRÎ •š rB$?' ż•)

في اللام في (ليغفر) قولان[3]:

١ -أنها لام التعليل، والفعل منتصب بعدها، وهذا قول الجماهير[4]، وهو الظاهر.

٢ -أنها لام القسم دخلت على جواب قسم مقدَّر، والتقدير: والله لَيَغْفِرَنَّ، فكُسِرت اللام تشبيهًا بلام التعليل،وحُذِفت النون فبقي الفعل مبنيًّا على الفتح، وهو قول أبي حاتم السجستاني.

والقول الثاني ظاهر الضعف، وهو ((قول مردود))؛ لأن لام القسم لا تُكسر، ولأن نون التوكيد واجبة هنا[5].

ولعل الذي دفع أبا حاتم إلى هذا الإعراب الغريب أن معنى الآية

---

(١) سورة الزمر ٢٤.

(٢) سورة فاطر ٨.

(٣) انظر: معاني النحاس ٦/ ٤٩٥- وتفسير الثعلبي ٩/ ٤٢- وكشف المشكلات ٢/ ١٢٥٠- والبحر المحيط ٨/ ٩٠- وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٦٢- وفتح القدير ٥/ ٤٥.

(٤) انظر: المقتضب ٢/ ٧- والمحلى ٢٢٧- واللمع ١٣١- والخصائص ١/ ٢٠٤- وسر الصناعة ١/ ٣٣١- ومنازل الحروف ٢٢- وشرح الشذور ٣٨٣- وشرح القطر ٦٦.

(٥) انظر: الدر المصون ٦/ ١٦٠، والنقل منه.

على قول الجمهور: أن المغفرة هي علة الفتح، وليس الأمر كذلك، وقد أجاب الزمخشري عن ذلك فقال: ليست المغفرة علة الفتح، بل العلة ((اجتماع ما عدَّدَ من الأمور الأربعة، وهي: المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز، كأنه قيل: يَسَّرْنا لك فتح ... ونصرناك على عدوِّك لنجمعَ لك بين عزِّ الدارين وأغراض العاجل والآجل، ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث إنه جهاد للعدوّ سببًا للغفران والثواب))[1].

وابن كيسان مع الجمهور، فيقول: ((لا يجوز أن تكون إلا لامَ (كي)))[2]، يعني لام التعليل، وفي كلامه رَدٌّ على القول الثاني.

٣٢ – سورة الفتح، الآية ٢٧

إعراب (لتدخلن) في: ﴿ £ëö %G9 ¨ s $ /ä9$ qß ' ª! $šX ‰ ¹ ô)© ﴾

(šú üÏB#ä ª! $ä$© bÎ) P#• s $%Ê ó J$)

في المُقْسِمِ في هذه الآية خلاف على قولين[3]، فقيل: إنه الله - Y - فـ(تدخلن) جواب قسم محذوف له تعلُّقٌ بالفعل (صَدَقَ)، والتقدير: واللهِ لتدخلن، وقيل: إنه غير الله - Y - فقيل: المَلَك الذي جاء الرسول - e - في الرؤيا، فحكى الله - Y - كلامه، وقيل: الرسول - e - فبعد أن رأى الرؤيا وقالها لقومه، حكى الله كلامه.

---

(١) الكشاف ٤/٣٢٣.

(٢) معاني النحاس ٦/٤٩٥.

(٣) انظر مع المراجع المذكور في المسألة: معاني النحاس ٦/٥١٢- وإعراب النحاس ٤/٢٠٤- والكشاف ٤/٣٣٦- والمحرر الوجيز ٥/١٣٩- وتفسير الرازي ٢٨/٩٠.

أما ابن كيسان فيقول: ((قوله: (لتدخلنّ) مِن قول رسـول الله - **e** - لأصحابه حكايةً عن رؤياه، فـأخبرَ الله - **I** - عـن رسـوله أنّـه قـال ذلـك، ولهذا استثنى تأدُّبًا بأَدَبِ الله - **I** - حيـث قـال لـه: (Ÿr ?àq9£ ï±$ 'ôä ţ' ’ ù$ä@ Œ°ï •š î ‰# ÈÌÊÇ ûï b& „±$ä$! ª)[1]))[2].

فابن كيسان من الذين يقولون إن المقسِم في الآية هو الرسول **e** .

ومن الواضح أن السبب الداعي لهذا القول هو قوله - **Y** -: (bÎ ©$ä $! ª)، فالله لا يحتاج أن يستثني، فبيده الأمر كله، وهذا القول لا يجعل الله - **Y** - المُقسِم، فليس هو المستثني أيضًا، ولا إشكال في الآية على ذلك.

وأهل القول الأول يستشكلون هـذا الإشـكال، ويجيبـون عنـه بعـدة أجوبة، فقيل: إنه لتأكيد الخبر، فهو تحقيـق لا تعليـق، وقيـل: (إنْ) في الآيـة بمعنى (إذ) الظرفية، وقيل: إنَّ الله خاطب العباد بما يجب أن يقولوه، وقيل: استثنى الله فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون[3].

وفي البحر المحيط[4] أن ابن كيسان يرى أن المقسِم المَلَك، وأنَّ المقسَم به هو (بالحق[5])، وليس فيما نقله الثعلبي من كلام ابـن كيسـان دلالـة عـلى

---

(١) سورة الكهف ٢٣-٢٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٩/ ٦٤، ونحوه في تفسير البغوي ٤/ ٢٠٥- وتفسير القرطبي ١٦/ ٢٩٠.

(٣) انظر مع مراجع المسألة: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٤٥-٤٦- وتفسير ابن كثير ٤/ ٢٠٢.

(٤) انظر: البحر المحيط ٨/ ١٠٠، نقله واستبعده، وقد اكتفى د. الدعجاني في (ابن كيسان النحوي) ٣٣٤ بنقل إعراب ابن كيسان هنا عن البحر المحيط، ودرسه بناء على ذلك.

(٥) فيكون المراد بالحقِّ اللهُ - **Y** -؛ لأن الحقَّ من أسمائه. انظر: تفسـير الـرازي ٢٨/ ٩٠- وتفسـير البيضاوي ٥/ ٢٠٨.

ذلك، بل صريحه أن المقسِمَ الرسولُ e ، وظاهرَه أنَّ (بالحق) متعلِّقٌ بالفعل (صَدَقَ)، والمقسَم به محذوف.

٣٣ - سورة ق، ١، ١٨

جواب القسم في: ﴿ #$ÏÉ J9$#ur ¨bäöà)ø9$#ur ﴾ ﴿ $B ãÝÏÿù= tƒ `ÏB @Aöqs% žwÎ) Ïm÷ƒy‰s9 ë=‹Ï%u‘ Ó‰ŠÏGtã ﴾

اختُلف في جواب القسم (والقرآنِ المجيدِ) على أقوال تعود إلى قولين[1]:

الأول: أن الجواب محذوف، فقيل: (لتبعثُنَّ)[2]، دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ #ŒÏär& $uZ÷FÏB $¨Zä.ur $\/#tè? ﴾[3]، وقيل: ما ردُّوا أمرك بحجة[4]، وقيل: إنك جئتهم منذرًا، وقيل غير ذلك.

الثاني: أنَّ الجواب مذكور، فقيل: قوله ﴿ @/ (#þqç6Åft ﴾[5]، وهو قول أهل الكوفة، وقيل: قوله ﴿ ô‰s% $uZôJÎ=tã $tB ßÈà)Zs? ÞÚö‘F{$# öNåk÷]ÏB ﴾[6]، وقيل:

(١) انظر مع المراجع المذكورة في المسألة: تفسير البغوي ٤ / ٢٢٠ - وكشف المشكلات ٢ / ١٢٦٤ - والدر المصون ٦ / ١٧٤ - والتبيان في أقسام القرآن ٩ - ١٠.

(٢) وهو قول الفراء في معانيه ٣ / ٧٥ - والزجاج في معانيه ٥ / ٤١، وقدَّره بـ(إنكم لمبعوثون).

(٣) سورة ق ٣.

(٤) وهو ما قدمه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥ / ١٥٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٩ / ٩٣.

(٥) سورة ق ٢.

(٦) سورة ق ٤. وهو قول الأخفش في معانيه ٢ / ٤٨٣.

قوله ﴿$B àŒÏÿù `ÏB @Aöqs%﴾[1]، وهو قول ابن كيسان[2]، وقيل: قوله ﴿$B ãA£‰t7ãƒ ãAöqs)ø9$# £“t$s!‰s9﴾[3]، وقيل: قوله ﴿¨bÎ) ’Îû y7Ï9ºsŒ 3“tø.Ï%s!﴾[4].

فابن كيسان من أهل القول الثاني الذين يرون أن الجواب مذكور في السورة، وقال إنه قوله تعالى: ﴿$B àŒÏÿù `ÏB @Aöqs%﴾، أي بين المقسَم به وجوابه ست عشرة آية، وهذا عندي يُضعف قوله؛ لطول الفاصل جدًّا، ولعل ابن كيسان إنما جوَّز هذا الإعراب ولم يختره، فنُقل تجويزه على أنه اختياره[5].

والذي يظهر أن الجواب محذوف؛ لكثرة نظائره في القرآن، ولكون جعل الجواب مذكورًا إما على مذهب نحوي ضعيف، كجعله (بل عجبوا)، وإما ((تكلف وتحكم على اللسان))؛ لبعدها عن القسم[6].

٣٤ - سورة القمر، الآية ١

معنى (الواو) في: ﴿ÏMt/uŽtIø%$# èptã$¡¡9$# ¨,t±S$#ur ãyJs)ø9$#﴾

صَحَّ الخبر بأنَّ المراد بانشقاق القمر انشقاقه على عهد رسول الله -

---

(١) سورة ق ١٨.

(٢) انظر: تفسير الثعلبي ٩/ ٩٣- والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٥- وتفسير القرطبي ١٧/ ٣- والبحر المحيط ٨/ ١٢٠- والمغني ٨٤٧- وفتح القدير ٥/ ٧١.

(٣) سورة ق ٢٩.

(٤) سورة ق ٣٧.

(٥) وهذا يحدث أحيانًا، انظر الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٦) انظر: إعراب النحاس ٤/ ٢١٩- والمحرر الوجيز ٥/ ١٥٥، ومنه النقل- والبحر المحيط ٨/ ١٢٠.

e - قبل الهجرة[١]، فيكون بذلك قد حَدَثَ قبل الساعة، وهي القيامة، مع أنه في الآية قد جاء بعد اقتراب الساعة، فلذا قال ابن كيسان: ((في الآيةِ تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازُها (انشَقَّ القمرُ واقتربت الساعة))[٢].

أما جمهور النحويين[٣] الذين يرون أن الواو تفيد مطلق الجمع، ولا تدل على ترتيب ولا معية فلا إشكال عندهم في الآية؛ لأنها حينئذ من عطف المتقدِّم على المتأخر، نحو قوله - Y -: ﴿ . › ÿ7 ãq Çû ÏÎ7 r ‹Îr ' $%ïûÎ B` %ïî7 ﴾[٤].

أما من خالف الجمهور في دلالة الواو، فقالوا: إنها تفيد الترتيب، كالفراء[٥]، أو قالوا: إنها تفيد المعية حقيقة وغيرها مجازًا، كابن كيسان[٦]، فقالوا: إن في الآية تقديمًا وتأخيرًا.

وكلام ابن كيسان هنا سائر على مذهبه في أن الواو تفيد المعية حقيقة،

---

(١) من حديث عبدالله بن مسعود - t - في صحيح البخاري ٣/ ١٣٣٠ (٣٤٣٧)- ومسلم ٤/ ٢١٥٨ (٢٨٠٠).

(٢) تفسير الثعلبي ٩/ ١٦٠- وتفسير القرطبي ١٧/ ١٢٧- وفتح القدير ٥/ ١٢٠.

(٣) انظر: الكتاب (هارون) ١/ ٢١٨- والخصائص ٣/ ٣٢٠- وسر الصناعة ٢/ ٦٣٤- وأسرار العربية ٢٦٧- واللباب للعكبري ١/ ٤١٧- والارتشاف٤/ ١٩٨١- وشرح الشذور ٥٧٧- وشرح القطر ٣٠٢- والهمع ٥-٢٢٣.

(٤) سورة الشورى ٣.

(٥) وقطرب والربعي وهشام الضرير وثعلب وأبي عمرو الزاهد، ونُقل عن الكسائي وابن درستويه. انظر: الارتشاف ٤/ ١٩٨١- والجنى الداني ١٦٠- والمغني ٢١٤- والفصول المفيدة ٦٨- والهمع ٥/ ٢٢٤.

(٦) انظر تخريج كلامه على الآية، وانظر مراجع الهامش السابق.

واستعمالها في غيرها مجاز[1]، وكلامه في الموفقي صريح بذلك، قال: ((كقولك: (جاءني زيدٌ وعمرٌو) أردتَ اجتماعهما في المجيء .... الواو: تُوجب الاجتماع، وليس فيها دليلٌ على السابق))[2].

ولذا حكم ابن كيسان على الآية بأنها آتية على غير حقيقة الواو، وكذا الفراء الذي قال: ((المعنى -والله أعلم- انشقَّ القمرُ واقتربت الساعةُ))[3].

٣٥ - سورة الحديد، الآية ٢٩

نوع اللام في: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾

قال ابن كيسان: ((ويكون [أي: (لا)] توكيدًا للجَحْد مع واو النَّسَق، كقولك: (خِفْتُ ألا تقومَ)، و﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾، أي: ليعلمَ))[4].

فابن كيسان يرى أن (لا) في الآية زائدةٌ للتوكيد، وهذا هو المشهور عند النحويين والمفسرين والمعربين[5]، والقول بزيادة (لا) سائغ ذائع[1]،

---

(١) نقل د. البنا في (ابن كيسان النحوي) ١٢١ مذهب ابن كيسان هذا عن السيوطي وشكَّك فيه، وتابعه د. الدعجاني في (ابن كيسان النحوي) ٣٠٦، ولكن إعرابه هنا وما نقلته عنه في (الموفقي) يدل على صحة نسبة هذا المذهب إليه.

(٢) الموفقي ١١١-١١٢.

(٣) معاني الفراء ٣/ ٩٦.

(٤) الموفقي ١٢٢.

(٥) انظر: الكتاب (هارون) ١/ ٣٩٠ - ومعاني الأخفش ٢/ ٤٩٥ - ومعاني الفراء ٣/ ١٣٧ - ومجاز القرآن ٢/ ٢٥٦ - والمقتضب ١/ ٤٧ - والمحلى ١٨٥ - ومعاني الزجاج ٥/ ١٣١ - والأصول للسراج ١/ ٤٠١ - وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٩ - وتفسير الثعلبي ٩/ ٢٥١ - وتفسير البغوي ٤/ ٣٠٢ - والمفصل ٤٢٤ - والكشاف ٤/ ٤٧٠ - وزاد المسير ٨/ ١٧٩ - وتفسير ابن كثير ٤/ ٣١٨ - والبحر المحيط ٨/ ٢٢٧ - وأوضح المسالك ٤/ ١٩٢ - وشرح الشذور ٢٧٢.

ويؤيِّده في الآيةِ قراءةُ ﴿ِÏ‹O=è﴾، وقراءة ﴿ bl{ O=è/﴾[٢].

وقيل: إن اللام في الآية غير زائدة، والمعنى: لئلا يعلـم أهـل الكتـاب عجز المؤمنين، وهذا قول فاسدٌ مُطَّرَحٌ؛ لأنـه ((غـير مسـتقيم؛ لأن المـؤمنين عاجزون أيضًا عن شيءٍ من فضل الله، فكيف يَعمل هذا القائل بقوله ﴿b&r $‹Ï ‰u‹Î/ «!$# ﴾، فإنه معطوف على مفعول العلم المنفي، فيصير التقـدير: ولئلا يعلمَ أهل الكتاب أن الفضل بيد الله، وهذا لا يستقيم))[٣].

٣٦ - سورة النبأ، الآية ٢٣، ٢٤

إعراب جملة (لا يذوقون) في: ﴿$Y/#uŽŸ wur #YŠöt/ $pkŽÏù bqè%räƒ žw﴾

اختُلف في إعراب جملة (لا يذوقون) في قوله - I -:﴿ tûüÏV Î7»©9 $pkŽÏù $Y/$s)ômr& ÇËÌÈ žw tbqè%räƒ $pkŽÏù #YŠöt/ Ÿwur $Y/#uŽŸ﴾ على أقوالٍ أقواها أربعة[٤]:

١ -أنها جملة استئنافية خبرية، أي: هم [أي: الطاغون] لا يذوقون.

٢ - أنها حال أخرى من الطاغين، والحال الأولى (لابثين).

٣- أنهـا حـال مـن الضـمير في (لابثـين)، فهـي حـالٌ متداخلـة، أي:

---

(١) انظر: الكتاب (هارون) ٤/٢٢٢- ومعاني الفراء ٣/١٣٧- والمفصل ٤٢٤- والجنى الداني ١١٦- والمغني ٣٢٧- والبرهان للزركشي ٣/٧٨- والإتقان للسيوطي ١/٥٠١.

(٢) كلاهما قراءة شاذة، فالأولى قراءة عبدالله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة والجحدري وعبدالله بن سلمة، والأخرى قراءة حطان بن عبدالله. انظر: إعراب النحاس ٣/٣٧٠- وتفسير القرطبي ١٧/٢٦٧- والبحر المحيط ٨/٢٢٧- والدر المصون ٦/٢٨٢.

(٣) الدر المصون ٦/٢٨٢.

(٤) انظر: مشكل مكي ٢/٧٩٥- والتبيان للعكبري ٢/١٢٦٧- والبحر المحيط ٨/٤٠٥- والدر المصون ٦/٤٦٤.

لابثين غير ذائقين.

٤ -أنها صفة لـ(أحقابًا)، أي: أحقابًا هذه صفتها، فالضمير في (فيها) عائد إلى الأحقاب لا إلى جهنم.

قال أبو جعفر النحاس: ((سألت أبا إسحاقَ عنها، فقال: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يقول: "المعنى: لابثين فيها أحقابًا هذه صفتها، أي: يُعذَّبون بهذا العذاب في هذه الأحقاب لا يذوقون فيها إلا الحميم والغَسَّاق، ويُعذَّبون بَعْدَ هذا العذابِ بأصنافٍ من العذاب غيرِ هذا"، وهذا جوابٌ نَظَرِيٌّ بَيِّنٌ، وهو قولُ ابن كيسان، يكونُ (لا يذوقون) من نعت الأحقاب))[(١)].

فابن كيسان هنا يتابع شيخه المبرد في هذا الإعراب، وفيه محاولة لإزالة إشكال في معنى الآية، وهو أن (أحقابًا) قد يدل على أن لَبْثَ الطاغين الكافرين في جهنم غير دائم، فيكون معنى الآية على هذا الإعراب: أن الطاغين يلبثون في جهنم أحقابًا يعذبون بهذا العذاب، ثم أحقابًا أخرى يعذبون فيها بأصناف أخرى من العذاب، وهكذا أبدًا[(٢)].

وهذا الإشكال وارد على كل الإعرابات، إلا أن الظاهر أن المراد بـ(أحقابًا) الدوام، أي: أحقابًا بعد أحقاب أبد الآبدين، وأن جملة (لا

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٣١.

(٢) انظر: الكشاف ٤/ ٦٧٥ - وكشف المشكلات ٢/ ١٤٢٣ - وحاشية الشهاب على البيضاوي ٩/ ٣٨٧ - وروح المعاني ٣٠/ ١٥.

يذقون) استئناف[١].

٣٧ - سورة الأعلى، الآية ٦

نوع (لا) في: ﴿ ™ãø)èÎ •š ùxŸ ?Y¤|Ó# ﴾

اختُلف في نوع (لا) في الآية على قولين:

١ -أنها نافية، والمعنى: سنقرئك يامحمد فلست تنسى ما نقرئك إياه، فالآية خبر.

٢ -أنها ناهية جازمة، والألف في (تنسى) زائدة للإشباع لمناسبة فاصلة الآية، كقوله - I -: ﴿ ù' Ê|•qR$$9 ¡¡Î‹ xÿ ﴾[٢]، أي: لا تُغفل قراءته وتكريره فتنساه، فالآية نهي.

والإعراب الأول هو إعراب الجمهور[٣]، وهو الذي يعجب ابن كيسان، فقد سأل أحدَهم عن الآية، فقال: معناها ((لا تنسى العملَ به، فأُعْجِبَ ابنُ كيسان به إعجابًا شديدًا، وقال: لا يَفْضُضِ الله فاك، مثلُك من يُصْدَرُ عن رأيه))[٤].

---

(١) انظر: البحر المحيط ٨/ ٤٠٥- وحاشية الشهاب على البيضاوي ٩/ ٣٨٧.

(٢) سورة الأحزاب ٦٧.

(٣) انظر: معاني الزجاج ٥/ ٣١٦- وإعراب النحاس ٥/ ٢٠٥- ومشكل مكي ٢/ ٨١٣- وتفسير الثعلبي ١/ ١٨٤- والكشاف ٤/ ٧٢٦- والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩- والتفسير الكبير ٣١/ ١٢٨- والتبيان للعكبري ٢/ ١٢٨٣- وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٩- وتفسير ابن كثير ٤/ ٥٠١- والبحر المحيط ٨/ ٤٥٣، وفي فتح الباري ٩/ ٤٥: ((هو المشهور، وقول الأكثر)).

(٤) تفسير السلمي ٢/ ٣٨٩- وتفسير الثعلبي١٠/ ١٨٤- وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٩، وانظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩.

ومعنى ذلك أن (لا) نافية، ولكنه جعل المنفي نسيان العمل بالوحي، وكون (لا) نافية هو ظاهر الآية؛ لأنها في معنى قوله - Y -: ﴿ w ëtħ 8 ìnÎ ¾ ï ¡ |$R 7 Gëè f ÿ@ Îní ¾ÿ ÈÏ Ç Îb ãø Z$ dèt çè¼ èöøä#Rç¼ ﴾[1]، إذ كان يُبادر بقـراءة الوحي بعد انتهـاء جبريـل مـن قراءتـه مخافـةَ نسـيانه، فوَعَـدَهُ الله أنْ يُقْرِئَـهَ، وأخبره أنه لا ينسـاه، فهـي نحـو: (سأكسـوك فـلا تعـرَى)[2]، أي: فلسـت تعرى، وهذه آيةٌ للرسول - e - في أنه أُمِّيٌّ وحَفِظَ الله عليه الـوحيَ وأَمَّنَـهُ من نسيانه[3].

(١) سورة القيامة ١٦-١٧.

(٢) انظر: تفسير الرازي ٣١/١٢٨.

(٣) انظر: البحر المحيط ٨/٤٥٣- والتبيان في أقسام القرآن ١٠٠، وانظر القصة في صحيح البخاري ١/٦ (٥).

القسم الثاني: الدراسة المنهجية

الفصل الأول: نقل إعرابات ابن كيسان

خدَمَ ابن كيسان القرآن الكريم بأربعة كتب[١]، وهي (معاني القرآن)، و(كتاب القراءات)، و(وكتاب الهجاء) أي: رسم المصحف، و(كتاب الوقف والابتداء)[٢].

كما خَلَّفَ ابن كيسان تلاميذ عدَّةً، نقلوا علمه، إما في كتبهم، وإما إلى تلاميذهم

وأكثر من اهتم ونقل عنه إعراباته تلميذه الوفي أبو جعفر النحاس، فقد نقلتُ عنه في البحث ثلاثة وعشرين إعرابًا[٣]:

-ثلاثةٌ في كتابه (معاني القرآن)[٤]، وباقيها في كتابه (إعراب القرآن).

-اثنان نقلهما بالمعنى[٥]، وباقيها نقلها بالنص، وقد تصل إلى عدة أسطر[٦].

---

(١) انظر الكلام على كتب ابن كيسان بالتفصيل في ترجمة ابن كيسان في (التمهيد).

(٢) انظر: الفهرست ١٢٠ - وإرشاد الأريب ١٧/ ١٣٩ - وإنباه الرواة ٣/ ٥٨-٥٩ - وبغية الوعاة ١/ ١٩ - وهدية العارفين ٢/ ٢٣.

(٣) وهي في المسائل: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٦.

(٤) وهي في المسائل: ١٥، ١٧، ٣١.

(٥) وهي في المسألتين: ٨، ٣٦.

(٦) نحو المسألة (١٩)، في خمسة أسطر.

وقد نَقَلَ بعضَها سماعًا من ابن كيسان، ومن ذلك قوله: ((سألت أبا الحسن بن كيسان عن هذه الآية [يعني (ﭑbÎ d»‹ ĕº 9 ¡|» Å•ºĕ)]، فقال: إنْ شئت أجبتك بجواب النحويين وإن شئت أجبتك بقولي))[1]، وقوله: ((وسمعت أبا الحسن بن كيسان يقول: هي لامُ توكيدٍ))[2].

وممن اعتنى بإعرابات ابن كيسان من المتقدمين الثعلبي في تفسيره[3]، ومكي في مشكله[4]، وأغلب الظن أنهما نقلا ذلك من كتابه (معاني القرآن)، لا من طريق النحاس؛ لأنهما نقلا إعراباتٍ له لم يذكرها النحاس فيما وقفتُ عليه[5].

وممن اهتم بنقل إعرابات ابن كيسان بعد ذلك القرطبي، وأبو حيان، والشوكاني[6]، وأغلب الظن أنهم نقلوا ذلك بوساطة، لا عن كتبه، فالقرطبي كثير النقل عن النحاس[7]، والشوكاني كثير النقل عن القرطبي[8]، وأبو حيان لا يعرف في مراجعه (معاني القرآن) لابن كيسان.

---

(١) انظر: المسألة ٢٥.

(٢) انظر: المسألة ٢٦.

(٣) في المسائل: ٣، ١٣، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧.

(٤) في المسائل: ٦، ١٠، ١١، ١٢، ١٩، ٢٧، ٢٨.

(٥) وهي المسائل: ١١، ١٢، ١٣، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧.

(٦) الأول في المسائل: ٣، ٥، ٨، ٩، ١٠، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٧. والثاني في المسائل: ٣، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٤، ٢٨، ٣٢، ٣٣. والثالث في المسائل: ٩، ١٩، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤.

(٧) انظر: النحو وكتب التفسير ٢/ ٨٥٢.

(٨) انظر: النحو وكتب التفسير ٢/ ١٠١٥.

وأغلب هذه النقول دقيقة في نسبة الإعراب إلى ابن كيسان، إذ كانت بنص كلامه، إلا نقولاً قليلة[١] كانت بمعنى كلامه.

ومن النقول غير الدقيقة أن مكيًّا وأبا حيان نقلا عنه أنه يُعرب (رغدًا) في قوله تعالى: ﴿ #‰ î ‘ $gZB Ÿxär ﴾[٢]، مصدرًا في موضع الحال، والنقل الدقيق ما ذكره النحاس من أنه يجوِّز ذلك ولا يقدِّمه، فضلاً عن أن يكتفي به[٣].

ولعل منها ما نقله القرطبي عنه من أنه يرى أن الباء زائدة في قوله تعالى: (_"ât ™ÎŸ¤ Ï÷Ü#$g)[٤]، فلعل ابن كيسان جوَّز ذلك ولم يختره؛ لأنه يختار القول بعدم الزيادة في القرآن الكريم[٥].

ولعل منها أيضًا إعراباته الغريبة المستبعدة، كالذي نقله عنه الثعلبي في تفسيره، من أنه يرى أن قوله تعالى ﴿ @ö% `B ä ÿtƒ $B ﴾ هو جواب ﴿ ‰‹É J ¨$Ê ä ë ﴾[٦]، مع أن بينهما ست عشرة آية! فلعل الصواب أنه جوَّزه فقط، أو أنه قال فيه: ((ويحتمل على بُعْدٍ))، كما قال في غيره[٧].

---

(١) وهي في المسائل: ٨، ١٣، ٢٩، ٣٣، ٣٦.

(٢) سورة البقرة ٣٥.

(٣) انظر المسألة (١٠).

(٤) سورة يونس ٢٧.

(٥) انظر المسألة (١٩)، وانظر: الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٦) سورة ق ١٨، ١.

(٧) كما في المسألة (١٥).

ومن النقول غير الدقيقة ما نقله عنه أبو حيان من أنه يقول إن المُقْسِم في قولـه تعـالى: ﴿šú üŽB#ä ª! $ä$© bĵ P#• s ø$%Ê ó J ø$£ èä ô‰G9﴾[١] هـو المَلَك، وأنَّ المقسَم به هو (الحق)، والذي نقله الثعلبي عن ابن كيسان -وهو أوثق في النقل عنه- أنَّ المقسِمَ الرسولُ e، وأنَّ (بالحق) متعلِّقٌ بالفعل (صَدَقَ)، والمقسَم به محذوف.

ومما يدخل في الكلام على نقل إعراباته الكلام على مخالفة بعض ما نُقل عنه لكلامٍ له آخر، سواء في كتبه أم منقول عنه.

ومن ذلك أن ابن كيسان جعل اللام في قوله تعالى (ŁÉ •Ï NÎó ä $RóÉÉr šú üÏ=»èø9$)[٢] لام الخفض، فهو بذلك يوافق البصريين في أن الفعل ليس منصوبًا باللام بل بـ(أنْ) مضمرة، وهذا هو المنسوب إليه في كتب النحو، وفيها أنه يزيد عليهم بجواز أن يكون الحرف المضمر (أنْ) وأن يكون (كي)، وهذا يخالف ما في كتابه الموفقي من قوله: ((وحروف النصب التي تنصب الأفعال المستقبلة هي: أنْ، ولنْ، وحتى، وإذنْ، وكي، وكيلا، وكيما، ولام كي ....))، وفسَّرتُ ذلك بأنَّ ما في الموفقي مذهب تعليمي لا علمي؛ لكونه مختصرًا[٣].

ومن ذلك أنه جعل الواو في قوله تعالى (Ä»9r ` ä qãqä ‹/»Ÿ ¿ `)[٤] هي

---

(١) سورة الفتح ٢٧.

(٢) سورة الأنعام ٧١.

(٣) انظر المسألة (٢٣).

(٤) سورة آل عمران ٧٩.

العاطفة، والذي في كتب النحو أنه يرى أن العاطف في نحو ذلك (لكنْ)، وفسَّرتُ ذلك بأنه قد يقال: إن الآية عنده من عطف الجمل لا المفردات، ولم يُبَيِّن مذهبه في ذلك، مع أن الظاهر أنها من عطف المفردات[١].

(١) انظر المسألة (١٨).

الفصل الثاني
منهج ابن كيسان في إعراب القرآن الكريم

أحاول في هذا الفصل بيان منهج ابن كيسان في إعراب القرآن الكريم، وإبراز أهم الظواهر التي برزت لي فيه، وهي:

١ - ربط الإعراب بالمعنى:

كان ابن كيسان بصيرًا بكلام العرب، عارفًا بمقاصده، فلهذا كان شديد الاهتمام بالمعنى عند إعرابه لكلام الله Y ، ومن ذلك[١]:

-أنه جعل (مِنْ) الأولى في قوله - I -: (ÓÌ$Z9 $£JÎ6/è? $£Ê$!$% ÖÅR{$$ ÓU

B` .$/Ï(gÎ)[٢] للتبعيض، والأخرى لبيان الجنس، ولم يراعِ اتفاق معنى الحرفين كما فعل كثير من المعربين؛ طلبًا لمعنى الآية[٣].

-وأنه رَدَّ قولَ من جعل (رب) في قراءة ($s%Ô ÏB +‘ U ً

$#è»=ÏJüú š)[٤] منصوبة على النداء، وجعلها منصوبة على المدح؛ لأن اتصال الكلام عنده أولى من انفصاله[٥].

---

(١) انظر أمثلة أخرى في المسائل (١٣)، (١٧)، (١٩)، (٢٩)، (٣٤)، (٣٦)، (٣٧).

(٢) سورة البقرة ٦١.

(٣) انظر المسألة (١١).

(٤) سورة الفاتحة ٢.

(٥) انظر المسألة (١).

-وأنه جوَّز تقديرَ حذفٍ كثير؛ لدلالـة المعنى عليـه، في قولـه - I -: (.ÔJ qè z «#$!Î ’$9Z$ í)[١]، فقال: إن التقدير: ((مَثَلُ هذه الجنةِ التي فيها الثِّمارُ والأنهارُ كمَثَلِ النارِ التي فيها الحميمُ والزَّقومُ، ومَثَلُ أهلِ الجنةِ في النعيمِ المقيم كمَثَلِ أهلِ النارِ في العذاب المقيم))[٢].

-وأنـه خـرج بقولـه - I -: (©9 ‰ ¹ ‰ $šX !ª ‘ qß$ã9”ä/$ Ž$ sÈ ‰G9 ã£$ J ó É‰$ s •#P bÎ ©$ä$!ª ä#ŽÏü úš)[٣] عـن ظـاهره، فجعـل الكلام من قول الرسول e، لا من كلام الله Y، ومـن الواضـح أن الـذي دعاه لـذلك هـو قولـه - Y -: ﴿bÎ ©$ä$!ª﴾، فـالله لا يحتـاج أن يسـتثني، فبيده الأمر كله، وهذا القول لا يجعل الله - Y - المُقسِم، فليس هو المستثني أيضًا، فلا إشكال في الآية على ذلك[٤].

٢- كراهة القول بالزيادة في القرآن الكريم:

قـال بالزيـادة في كـلام العـرب وفي كـلام الله - Y - أكثـر العلـماء، وأنكرها قليلون[٥]، وابن كيسان يكـره القـول بالزيـادة في كـلام الله - I - تعظيمًا وإجلالاً، لا إنكارًا لها في أصـل اللغـة، ولـذا هـو يقـول بهـا في كـلام العرب بلا حرج.

---

(١) سورة محمد ١٥.

(٢) انظر المسألة (٣٠).

(٣) سورة الفتح ٢٧.

(٤) انظر المسألة (٣٢).

(٥) انظر: البحر المحيط ٣/١٠٣ - والبرهان للزركشي ٣/٧٢.

ولذا يتكلف لتخريج كلِّ ما قيل فيه إنه زائد، وفي هـذا يقـول: ((وأنـا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحـو قـول الله - Y -: (Ng9 |MZï «I $`Ë 7Jôm‘ $Jîù)[١]، وكـذا (Ög) »V‹Ë NÍÃÖ)R $Jîù)[٢]، وكـذا ﴿ AMøÖ% È#_ R$$Jƒ&﴾[٣]، (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه، وما بعدها تابعٌ لها، وكذا ($g%qù $Jù ZÊ qã/ $B WxB >ÎØ„ b& ¾ÄÖGó ƒ Ÿw ©!$bÎ)[٤]، (ما) في موضع نصبٍ، و(بعوضةً) تابعة لها)).

وإعرابه هنا ظاهر التكلف، ولكنه عنـده أحـب مـن القـول بالزيـادة، حتى قيل عنه: ((كان يتلطَّفُ في أن لا يجعلَ شيئًا زائدًا في القران، ويُخَرِّجَ له وجهًا يُخْرِجُهُ من الزيادة))[٥]، ولعل هذا من تحرُّزه؛ لأن ظاهر لفظ زائد أنه لا فائدة منه، ولـيس هـذا بمسلَّمٍ؛ لأنـه لـيس معنى كونـه زائـدًا أنـه يجـوز سقوطه، ولا أنه مُهمَل لا معنى له، بل معناه التوكيد، كبقية ألفاظ التوكيـد الواقعة في القرآن الكريم[٦].

وابن كيسان يكتفي بالكراهة، ولا يتعصب لهـذا القـول؛ ولـذا نجـده يتسمح في الحكم على بعض الكلمات بالزيادة، عندما يكـون ذلـك واضـحًا

---

(١) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٢) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٣) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٤) سورة البقرة ٢٦، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٧).

(٥) مشكل مكي ٢/٥٤٣.

(٦) انظر: المحرر الوجيز ١/٥٣٣ - وتفسير القرطبي ٤/٢٤٨ - والبحر المحيط ٣/١٠٤ - والدر المصون ١/٢٤٦.

وأنسب للمعنى، فقد حكم على الباء في قوله - I -: (_"ât ™ßń$ î ÛÜ‡ïĝ$)[١] بالزيادة[٢]، من أجل التمسك بلفظ القرآن الكريم[٣]، وحكم على (لا) في قوله - I -: ﴿ž¥j ƒë-O ®ô@$# 6ÅG »Ë﴾[٤] بالزيادة[٥]، كما جوَّز في (ما) في قول الله - I -: (™$ä B$ tb%£ qßc)[٦] أن تكون زائدةً[٧].

٣-انفراده في بعض الإعرابات، وغرابة بعضها واستبعادها:

عُرِفَ ابن كيسان بالإغراب في الإعراب والنحو، وكان القاضي إسماعيل مفتتنًا بما يأتي به من إغرابٍ ومقاييس، ويقول له: ((ما وجهها على ما جرت به عادتك من الإغراب والإعراب؟))[٨].

ولهذا لا نستغرب إذا وجدنا له إعرابات غريبة ومستبعدة، حتى انفرد بإعرابات لم يُتابع عليها، فقد انفرد بإعراب (ما) في قول الله - Y -: ($J®Î ‘pJôm §` B$ «! |MZÏ 9 ßgs)[٩]، و($J®Î RÅÒ)Nk Í<»V¯ÏB ößg)[١٠]، و﴿&#ƒ$$J‡ _Fæ E﴾

---

(١) سورة يونس ٢٧.

(٢) انظر المسألة (٢٤).

(٣) انظر الكلام على مراعاته للفظ القرآن الكريم في الظاهرة الثامنة من هذا الفصل.

(٤) سورة الحديد ٢٩.

(٥) انظر المسألة (٣٥).

(٦) سورة العنكبوت ٤.

(٧) انظر المسألة (٢٧).

(٨) إنباه الرواة ٣/٥٨ - والأشباه والنظائر للسيوطي ٦/٦.

(٩) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(١٠) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

﴿ %ÒøMå ﴾[١] اسمًا في موضع جرٍّ، وما بعدها تابعٌ لها، كما انفرد بإعراب قوله - I - (Ne Ãè ¨RÄ šc qè=çGø)s? äIwàs¯d ó¨RÄ §Ne)[٢]، فجعــل (أنــتم) مبتــدأ، و(تقتلون) الخبر، و(هؤلاء) منصوبة على الاختصاص[٣]، كما انفرد بجعل قوله - I - (.JÔ ¨èq z ÎÛ$#? ’Î $Z9$ í)[٤] على تقدير ((مَثَلُ هذه الجنةِ التي فيها الثِّمارُ والأنهارُ كمَثَلِ النارِ التي فيها الحميمُ والزَّقومُ، ومَثَلُ أهلِ الجنةِ في النعيمِ المقيم كمَثَلِ أهلِ النارِ في العذاب المقيم))، مع أن فيه تقديرًا كثيرًا[٥]، كما انفرد بجعل قوله - I - ﴿ $B ãÿù ä B` ‰%9 @ŷ ‰ÎŸ ‰ ‹‘ ‹ë ã GšÓ ﴾ جوابَ قوله ﴿ r&#äŒÎ $# L Ê ‹‰ ﴾[٦]، مع أن بينهما ست عشرة آية[٧].

ويظهر لي أن كثيرًا من هذه الإعرابات الغريبة والمستبعدة كانت من ابن كيسان على وجه التجويز، لا الاختيار[٨]، إلا أن النقلة كانوا -أحيانًا- يكتفون بنقل ما انفرد به العالم، ويعزونه إليه دون بيان، حتى يكون كأنه قوله المختار[٩]، وأحيانًا ينقلون تجويزه، ومن ذلك قوله في (غيرِ) في قوله -

---

(١) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٢) سورة البقرة ٨٥.

(٣) انظر المسألة (١٢).

(٤) سورة محمد ١٥.

(٥) انظر المسألة (٣٠).

(٦) سورة ق ١٨، ١.

(٧) انظر المسألة (٣٣).

(٨) سبق كلام مختصر على هذه القضية في الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٩) انظر بيانًا لهذه المسألة وأمثلة عليها في (ما أعربه الكسائي من القرآن الكريم، جمعًا ودراسةً)،
=

I - (îôÎ$©!$# ÏNöqø Jø ǿŽxî Å Uqàóyè øóÉ9$# Ÿwur tûüÏj9!$žÒ9$#)[١] ((ويجوزُ أنْ يكونَ بـدلاً مِـن الهاءِ والميمِ في (عليهم)))[٢]، بل أحيانًا ينقلون استبعاده، ومن ذلك قوله في قولـــــه - I - (2Ÿ‰Ÿ2 É>#ä ŸböqtãöÏù tûïÏ%©!$#ur `ÏB öNÎgÎ=ö6s% 4 (#qç/¤‹x. $uZÏF»tƒ$t«Î/)[٣] ((ويحتمل على بُعْدٍ أن تكون معلَّقةً بـ(كـذَّبوا)، ويكـون في (كـذَّبوا) ضـمير الكافرين لا ضمير آل فرعون))[٤].

ولا أُنكر أن بعضها قوله المختار، كما في قصته من القاضي إسماعيل في إعراب قراءة (bÎ) Èb¨ºx‹»yd Èbºtų¿x»s9)[٥]، إذ قال له:((ياأبا الحسن، ما تقول في قراءة الجمهور .... وما وجهها على ما جرت بـه عادتـك مـن الإغـراب في الإعراب؟، فأطرق ابن كيسان مليًّا ثـم قـال: نجعلهـا مبنيـةً لا مُعربـةً وقـد استقام الأمر، قال له إسماعيل القاضي: فما علة بنائها؟ قال ابن كيسان: لأن المفرد منها (هذا) وهو مبني، والجمع (هؤلاء) وهـو مبنـي، فتُحمـل التثنيـة على الوجهين))[٦].

٤ -تتبعه لأساليب القرآن الكريم واللغة العربية:

وهذا من قوة إحاطته بآيات الذكر الحكيم وأساليب اللغة، ومن ذلك

= مبحث (هل المنقول عن الكسائي هو إعرابه الوحيد؟) ص ١٤٤١.

(١) سورة الفاتحة ٧.

(٢) انظر المسألة (٢)، وانظر في نقل تجويزه: المسائل (٣)، و(٨)، و(١٥)، و(٢٨).

(٣) سورة آل عمران ١١.

(٤) انظر المسألة (١٥).

(٥) سورة طه ٦٣.

(٦) انظر المسألة (٢٥).

قوله في اللام في قوله - I - (šú üÜ=»è$Ÿ•9 NÎó ä$RóÉ)[1] ((هي لامُ الخفض، واللامات كُلُّها ثلاثٌ: لامُ خَفْضٍ، ولامُ أَمْرٍ، ولامُ توكيدٍ، لا يخرج شيءٌ عنها))[2]، ويؤكد ذلك ويؤيده النحاس فيقول ((وسمعت أبا الحسن بن كيسان يقول: هي لامُ توكيدٍ، وكذا كان عنده أنَّ اللاماتِ كلَّها ثلاثٌ لا غير: لامُ توكيدٍ، ولامُ أَمْرٍ، ولامُ خَفْضٍ، وهذا قولُ الحُذَّاقِ من النحويين))[3].

ومن ذلك قوله: ((وأنا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحو قول الله - Y -: ($Jßù ‘ôJmu‘ ßB `ÏiB «!$# |MZÏ9 ßOßgs9)[4]، وكذا ($Jßù NÍkÅÒø)s% NèdsV»sW‹ÏiB)[5]، وكذا ﴿$$J‹ƒr& Èû÷üs#_F{$# |MøŠŸÒs%﴾[6]، (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه، وما بعدها تابعٌ لها، وكذا (žcÎ) ©!$# Ÿw ÿÄÓ÷ÕGó¡tƒ br& z>ÎŽôØo„)[7]، (ما) في موضع نصبٍ، و(بعوضةً) تابعة لها)).

ومن ذلك أن ابن كيسان قد يجيز في أسلوب ما لا يجيزه في أسلوب آخر؛ لمعرفته الفرق بين الأساليب، فقد أجاز في (ما) في قوله - I - (™$B ä$B

---

(١) سورة الأنعام ٧١.

(٢) انظر المسألة (٢٣).

(٣) انظر المسألة (٢٦).

(٤) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٥) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٦) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٧) سورة البقرة ٢٦، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٧).

(šc q3ãt)[1] ((أنْ يكونَ مع (يحكمون) بمنـزلة شيءٍ واحـد، كـما تقـول: (أعجبني ما صنعتَ)، أي: صنيعُك)) ثم قال: ((وإن قلتَ: (ساء صنيعُك) لم يَجُزْ))[2].

٥ - رَدُّ بعض إعرابات غيره:

ومـن ذلـك قولـه: ((يَبْعُـدُ النَّصْـبُ عـلى النِّـداءِ المضـافِ؛ لأنـه يَصِيْرُ كلامين، ولكنَّ نَصْبَهُ على المَدْحِ))، وهو بهذا يرُدُّ قول مـن أعـرب (ربَّ) في قراءة (šú üŪ=»è$ U ' + ôõ s$)[3] منصوبًا على النداء[4].

ومن ذلك أن الكسائي أجاز في قوله تعـالى: (7 ø Aî'R é$y3)[5] حـذف الهمزة من (إليك)، وإدغام الـلام في الـلام، فيُقـرأ: (أُنْزِلَّيْـكَ)، وشـبَّهَ ذلـك بقوله تعالى: (ô©Å3» s$qèd ª! ' ĥ)[6]، فرَدَّ ابنُ كيسان قوله، فقال: ((ليس مثلَه؛ لأنَّ النونَ مِن (لكنْ) ساكنةٌ، واللامُ مِن (أُنْزِلَ) متحركةٌ))[7].

ومن ذلك أن أبا حاتم السجستاني جعل اللام في قولـه - I - (Ÿ x ø ó u ‹ Ï j 9 $ 7 ª! $ B ?) P ŸB ` R Œ î • $Br š ? ' z •)[8] لام القسم الداخلـة عـلى جـواب

---

(١) سورة العنكبوت ٤.

(٢) انظر المسألة (٢٨).

(٣) سورة الفاتحة ٢.

(٤) انظر المسألة (٢).

(٥) سورة البقرة ٤.

(٦) سورة الكهف ٣٨.

(٧) انظر المسألة (٤).

(٨) سورة الفتح ٢.

قسم مقدَّر، والتقدير: والله لَيَغْفِرَنَّ، فرَدَّ ابن كيسان إعرابه، وقال: ((لا يجوز أن تكون إلا لامَ (كي)))[1].

هذه أبرز الظواهر التي برزت في إعراباته المدروسة، وهناك ظواهر أقل ظهورًا؛ ربما لأن إعراباته لم تصلنا كلها، ومن هذه الظواهر:

٦ - اطراد إعرابته للمتشابهات:

ومن ذلك قوله ((وأنا أختار أن أجعل لـ(ما) موضعًا في كلِّ ما أقدِرُ عليه، نحو قول الله - Y -: ($Jôù ‘ mJô7 B`$ «I ÏZM| 9ÏGÛ)[2]، وكذا ($Jôù RϕÅÒø)ÏΡ 'Ï‹»V (ÓΟßγ)[3]، وكذا ﴿&ƒJ$$ ÈÉ#_F{$ ∩ÈŸ%ÒøM﴾[4]، (ما) في موضع خفضٍ في هذا كلِّه، وما بعدها تابعٌ لها، وكذا (ÎbÎ$© Ÿw ‘ ƒó G÷ÕÜtƒ b& >Î ÎØ„)، (ما) في موضع نصبٍ، و(بعوضةً) تابعة لها)).

ومن ذلك قوله: ((وتدخل (ما) فيهما فترفع ما بعدها، نحو: (نِعْمَ ما زيدٌ)، وكذلك (ÎbÎ$© ŸKÏèÏΡ ƒÏδ ¼ϑÎ)، و(ÎbÎ$© ÆÏΡ r&$9 ÁϑÏ‰%»M ÏϑÎèŠù ‘ Ïd)، و(حَبَّذا الزيدانِ)، و(حَبَّذا الزيدون)، و(حَبَّذا هندٌ)))[6].

---

(١) انظر المسألة (٣١).

(٢) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٣) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٤) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٥) سورة البقرة ٢٦، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٧).

(٦) انظر المسألة (٢٠).

٧-مذاكرته بالإعراب:

ومن ذلك قصته مع القاضي إسماعيل المذكورة في الظاهرة الثالثة، ومن ذلك قصته مع الجُنيد حين سأله ابن كيسان عن قوله - I - ﴿ ™ãé Ÿxù š• ?Ÿ¤|¡s﴾[1]، فقال: معناها ((لا تنسى العملَ به، فأُعْجِبَ ابنُ كيسان به إعجابًا شديدًا، وقال: لا يَفْضُضِ الله فاك، مثلُك من يُصْدَرُ عن رأيه))[2].

٨- مراعاة لفظ القرآن الكريم:

ومن ذلك أن ابن كيسان اختار أن الباء في قوله - I - (_“ât ™ĥ¤¥p $gÎ#ÏÿÏB)[3] زائدة[4]، وبذلك تكون هذه الآية كقوله - I - (r_“Âãt ™ĥ¥7p $gè=÷WÏiB)[5].

٩-تجويز ما ليس بقراءة عنده:

ومن ذلك أن ابن كيسان قال عن قوله - I - (@è% /ä3ã¥Å⁄Ru&, Î 9ö B`Ï ... Ÿ_»M)[6] ((ويجوز (جناتٍ) بالخفض على البدل، وبالنصب على إعادة الفعل))، و(جناتٍ) بكسرتين قراءة شاذة في الآية[7].

---

(١) سورة الأعلى ٦.

(٢) انظر المسألة (٣٧).

(٣) سورة يونس ٢٧.

(٤) انظر المسألة (٢٤).

(٥) سورة الشورى ٤٠.

(٦) سورة آل عمران ١٥.

(٧) انظر المسألة (١٦).

الفصل الثالث
المذاهب والمصطلحات النحوية في إعرابات ابن كيسان

ابن كيسان عَلَمٌ من أعلام النحو، وقد ظهر في إعراباته مذاهب نحوية كثيرة، وافق في بعضها غيره، وخالفهم في بعضها، وانفرد في بعض آخر، كما ظهر في إعراباته مذاهب نحوية له لم تُنسب إليه في كتب النحو.

فمِمَّا وافق فيه جمهور النحويين:

-أن الهمزة المتحركة لا يجوز أن تحذف حذفًا مع حركتها[1].

-أن (ماذا) في (ماذا تريد؟) يجوز فيها وجهان[2].

-جواز إجراء (ساء) مجرى (بِئْسَ) عند الذم[3].

-زيادة (لا) في نحو ﴿ž¥ÿ O-è∫ d‹ @$$ GÅ6 »É﴾[4].

ومِمَّا خالف فيه جمهور النحويين:

-قوله: إن الضمة على الواو أخف من غيرها[5].

-قوله: إن (ما) في (ù$J6 ‘ ôJ7 B`$ ‹« Z|M 9ỗ)[6]، وكذا (ù$J6

---

(١) انظر المسألة (٤).

(٢) انظر المسألة (٨).

(٣) انظر المسألة (٢٨).

(٤) انظر المسألة (٣٥).

(٥) انظر المسألة (٦).

(٦) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

﴿ϑR NÍÅ ‹B»V‹(ÕΟ)﴾[1]، وكذا ﴿ $$J ƒ‹ R$$ _#Ë %Ö ø M å﴾[2] اسمٌ في محل جر، وما بعدها تابع لها.

-قوله: إن أسماء الإشارة يجوز أن تنتصب على الاختصاص[3].

-قوله: إن (ما) في نحو (üŽë$ $ΒÏ ‘)[4] تركبت مع (نِعْمِ)، فلا محل لها من الإعراب[5].

-قوله: إن واو العطف تدل على المعية[6].

ومِمَّا وافق فيه البصريين أو بعضهم:

-وافق سيبويه في أن (ربَّ) في قراءة (﴿$$s ô‰ß ϑ ‘ +Ï ‘ U $$# è=»ϑ ŠÏü úš﴾)[7] نصب على المدح[8].

-وافق البصريين في أن (إنَّ) تنصب خبرها، ويسمى خبرها[9].

-أجاز في (رَكْضًا) في نحو (جئتُ ركْضًا) إعرابين، وافق في أحدهما جمهور البصريين، وفي الآخر الأخفش وشيخه المبرد[10].

(١) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٢) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٣) انظر المسألة (١٢).

(٤) سورة البقرة ٢٧١.

(٥) انظر المسألة (١٤).

(٦) انظر المسألة (٣٤).

(٧) سورة الفاتحة ٢.

(٨) انظر المسألة (١).

(٩) انظر المسألة (٥).

(١٠) انظر المسألة (١٠).

-وافـق البصريـين في أن ناصـب المضـارع بعـد لام التعليـل (أَنْ) مضمرة، وزاد عليهم بجواز كون الناصب (أَنْ) أو (كي)[١].

-وافـق الأخفـش في أن البـاء في قولـه - ا - (_“ât ™ói¾ Îü#îg$)[٢] زائدة[٣].

-وافق شيخه المبرد في توجيه قوله - ا -: ﴿ žw ƒ ä®rèqb ÛŽk$ ö@Š# rÿw Ÿ#Ž7$﴾[٤].

ومِمَّا خالف فيه البصريين أو بعضهم:

-خالف الخليل وسيبويه والأخفش في جعله للحروف المقطَّعة في أوائل بعض السور محلاً من الإعراب[٥].

-خالف جمهور البصريين في تجويزه إعمال اسم الفعل المحذوف[٦].

-خالف جمهور البصريين في علة ضم واو الجماعة إذا انفتح ما قبلها والتقت بساكن بعدها[٧].

ومِمَّا وافق فيه الكوفيين أو بعضهم:

-وافق الكسائي والفراء في إعمال اسم الفعل المحذوف[٨].

---

(١) انظر المسألة (٢٣).

(٢) سورة يونس ٢٧.

(٣) انظر المسألة (٢٤).

(٤) سورة النبأ ٢٤.

(٥) انظر المسألة (٣).

(٦) انظر المسألة (٣).

(٧) انظر المسألة (٦).

(٨) انظر المسألة (٣).

-وافق الكوفيين في أن العامل في البدل عامل آخر من لفظ العامل في المبدل منه[١].

-وافق الفراء في حكم (ما) بعد (نِعْمَ) و(بِئْسَ)[٢].

-وافق الكوفيين في أن تقدير نحو (ûÎiüt7ãƒ ª!$# öNà6s9 br& (#q=ÅÒs?)[٣] هـو: لئلا تضلوا[٤].

-وافق الكوفيين في أن حروف الجر قد تتناوب[٥].

وممَّا خالف فيه الكوفيين أو بعضهم:

-رَدَّ ما جوَّزه الكسائي من حذف الهمزة المتحركة حذفًا في قراءة (!$yJÎ/ tAÌ“Ré& 7ø‹s9Î)[٦] دون تقدير نقل حركتها[٧].

-خالف الكوفيين في ناصب المضارع بعد لام التعليل[٨].

وممَّا انفرد به ابن كيسان:

-جواز التخصيص بأسماء الإشارة[٩].

(١) انظر المسألة (١٦).
(٢) انظر المسألة (٢٠).
(٣) سورة النساء ١٧٦.
(٤) انظر المسألة (٢٣).
(٥) انظر المسألة (٢٩).
(٦) سورة البقرة ٤.
(٧) انظر المسألة (٤).
(٨) انظر المسألة (٢٣).
(٩) انظر المسألة (١٢).

-أن الضمة أخف على الواو من غيرها[١].

-أن (مـا) في (NŐ9 |MZÏ «‹ $`Ï ÷Jôm‘ $JÎû)[٢]، وكـذا (NÍÅÔ)R $JÎû

»V‹Ï (ÓŐ)[٣]، وكذا ﴿ $$J ƒ #_ F$ Ï% Ô ø M ﴾[٤] اسمٌ في محل جر، وما بعدها تابع لها.

ومن المذاهب النحوية التي استطعتُ نسبتها إلى ابن كيسان من خلال إعراباته:

-كون الضمة أخف على الواو من غيرها[٥].

-كون همزة التسوية من الحروف السابكة للمصدر المؤول[٦].

-مجيء (ما) نكرة غير موصوفة[٧].

-أن (إنَّ) تنصب خبرها، ويسمى خبرها[٨].

-أن (لكنْ) قد تأتي للتأكيد[٩].

-أن الـلام في مفعـول الإرادة والأمـر في نحـو (ÉŐ $R ä Nîó •Ï É

(١) انظر المسألة (٦).

(٢) سورة آل عمران ١٥٩، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (١٩).

(٣) سورة النساء ١٥٥، وانظر دراسة إعراب الآية في المسألة (٢١).

(٤) سورة القصص ٢٨، وانظر: دراسة إعراب الآية في المسألة (٢٧).

(٥) انظر المسألة (٦).

(٦) انظر المسألة (٥).

(٧) انظر المسألة (٧)، (١٩).

(٨) انظر المسألة (٥).

(٩) انظر المسألة (١٨).

(šú üŪ=»è$)[١] لام الجر تفيد التعليل، والمفعول محذوف، أي: أُمِرنا بها أُمْرِنا لنُسْلِمَ[٢].

-أن تقدير نحو (#q•Ô ? b& Ñà6 9 ª! $Ûî6ã)[٣] هو: لئلا تضلوا[٤].

-كون نحو (رَكْضًا) في نحو (جئتُ ركضًا) يجوز فيه أن يكون: حالاً مؤولة بالوصف، أي: راكضًا، وأن يكون: مفعولاً مطلقًا منصوبًا بفعل مقدر محذوف، أي: جئتُ أركضُ ركضًا[٥].

-جواز إعمال اسم الفعل المحذوف[٦].

-كون (ما) في (نعما) و(بئسما) تركبت مع (نِعْمَ) و(بِئْسَ)، فلا محل لها من الإعراب[٧].

-جواز إلحاق (ساء) بـ(بِئْسَ) إذا كانت للذم[٨].

-كون العامل في البدل غير العامل في المبدل منه، بل هو عامل آخر من لفظه[٩].

---

(١) سورة الأنعام ٧١.

(٢) انظر المسألة (٢٣).

(٣) سورة النساء ١٧٦.

(٤) انظر المسألة (٢٣).

(٥) انظر المسألة (١٠).

(٦) انظر المسألة (٣).

(٧) انظر المسألة (١٤)، و(٢٠).

(٨) انظر المسألة (٢٨).

(٩) انظر المسألة (١٦).

-جواز التخصيص بأسماء الإشارة[1].

-كراهة القول بالزيادة في القرآن الكريم[2].

(١) انظر المسألة (١٢).

(٢) انظر المسألة (٧).

الفصل الرابع

المصطلحات النحوية في إعرابات ابن كيسان

ترددت في إعرابات ابن كيسان مصطلحات نحوية كثيرة، وقد تحريت ألا أذكر إلا ما ترجح عندي أنه من لفظه[١]، والناظر في هـذه المصـطلحات يرى فيها مصطلحات بصرية وأخرى كوفية.

فمن المصطلحات البصرية:

الضمير[٢]، والنصب على المدح[٣]، والحال[٤]، والمصدر الواقع في موضع الحال[٥]، والتمييز[٦]، والعطف[٧]، والبدل[٨]، والنداء[٩]، والزائد[١٠].

ومن المصطلحات الكوفية:

الخفض[١١]، والنسق[١٢]، والجحد[١٣].

---

(١) انظر الكلام على نقل إعراباته باللفظ أو بالمعنى في الفصل الأول (نقل إعرابات ابن كيسان).

(٢) انظر المسألة (١٥).

(٣) انظر المسألة (١).

(٤) انظر المسألة (٩)، (١٠).

(٥) انظر المسألة (١٠).

(٦) انظر المسألة (٩).

(٧) انظر المسألة (١٧).

(٨) انظر المسألة (٢)، (١١)، (١٦)، (١٧).

(٩) انظر المسألة (١).

(١٠) انظر المسألة (٢٤).

(١١) انظر المسألة (٧)، (١١)، (١٦)، (٢٣)، (٢٥).

(١٢) انظر المسألة (٣٥).

(١٣) انظر المسألة (٣٥).

ومن المصطلحات الشائعة عند النحويين:

الموضع[١]، والنصب والرفع[٢]، والتثنية[٣]، والساكن والمتحرك[٤]، والمبتدأ والخبر[٥]، والفاعل[٦]، وتعليق حرف الجر[٧]، والتبعيض[٨]، والتابع[٩]، ولام الأمر[١٠]، والتقديم والتأخير[١١]، والتأكيد[١٢].

ومن المصطلحات القليلة الورود:

-الواحد، يريد: المفرد[١٣].

-التمييز الذي وقع موقع الحال، يريد: الحال المؤول بالمشتق[١٤].

-لام التأكيد، يريد: لام الابتداء[١٥].

---

(١) انظر المسألة (٣)، (٧)، (١٩)، (٢١)، (٢٥)، (٢٧).

(٢) انظر المسألة (١)، (٣)، (٧)، (١٩)، (٢١)، (٢٥)، (٢٦)، (٢٧).

(٣) انظر المسألة (٢٥).

(٤) انظر المسألة (٤).

(٥) انظر المسألة (٥)، (١٢).

(٦) انظر المسألة (٥).

(٧) انظر المسألة (١٥).

(٨) انظر المسألة (١١).

(٩) انظر المسألة (٧)، (١٩)، (٢١)، (٢٧).

(١٠) انظر المسألة (٢٣)، (٢٦).

(١١) انظر المسألة (٣٤).

(١٢) انظر المسألة (٢٣)، (٣٥).

(١٣) انظر المسألة (٢٥).

(١٤) انظر المسألة (٩).

(١٥) انظر المسألة (٢٣)، (٢٦).

-التخصيص، يريد: بيان الجنس[١].

-لام (كي)، يريد: لام التعليل[٢].

-الاسم الممدوح والمذموم، يريد: المخصوص بالمدح والذم[٣].

-التحقيق، يريد: التأكيد[٤].

-مجاز الكلام، يريد: تقديره وتأويله[٥].

(١) انظر المسألة (١١).

(٢) انظر المسألة (٣١).

(٣) انظر المسألة (١٤)، (٢٠).

(٤) انظر المسألة (١٧).

(٥) انظر المسألة (٣٤).

الخاتمة

ابن كيسان نحوي متميِّز، جمع بين نحو البصريين والكوفيين، واجتهد في مسائل أخرى خالف فيها الفريقين، وآراؤه مبثوثة في كتب النحو، وما تبقَّى من كتبه، وما نقله عنه تلاميذه.

لذا اهتمَّ به الدارسون، فكتبوا فيه ثلاث رسائل علمية، ودراسة ماتعة للدكتور محمد إبراهيم البنا.

وله يَدٌّ مشكورة في إعراب القرآن الكريم، تبيَّنتْ في هذا البحث، إذ **ذكرتُ فيه إعرابه لاثنتين وأربعين آية في سبع وثلاثين مسألة.**

وقد تكشَّف فيها نحوٌ كثيرٌ له لم تسجله الدراسات السابقة، فنسبتُ له فيها ثلاثة آراءٍ نحوية انفرد بها، وأربعة عشر رأيًا نحويًّا اكتفت كتب النحو بنسبتها إلى غيره، وفيها ما يخالف شيئًا من نحو ابن كيسان، إما الذي في كتبه، وإما المنسوب إليه في كتب النحو.

وقد اهتم بنقل إعراباته بعض تلاميذه، وأكثرهم نقلاً تلميذه الوفي أبو جعفر النحاس، فقد نقلتُ عنه في البحث ثلاثة وعشرين إعرابًا.

وقد حاولت استجلاء منهج ابن كيسان في إعراب القرآن الكريم، وبيان أهم الظواهر فيه، وهي: ربطه الإعراب بالمعنى، وكراهته القول بالزيادة في القرآن الكريم، وانفراده في بعض الإعرابات، وغرابة بعضها واستبعادها، وتتبعه لأساليب القرآن الكريم واللغة العربية، ورَدُّه بعض إعرابات غيره، واطراد إعرابته للمتشابهات، ومذاكرته بالإعراب، ومراعاته لفظ القرآن الكريم، وتجويزه ما ليس بقراءة عنده.

كما درست مذاهب ابن كيسان النحوية في إعراباته، وبيَّنتُ أنه وافق البصريين في مسائل، ووافق الكوفيين في مسائل أخرى.

وأظنُّ ان أهمِّ نتائج البحث ما جاء فيه من ذكر آراء نحوية لابن كيسان في إعراباته انفرد بها عن النحويين، وهي ثلاثة آراء، كما استخرجت له أربعة عشر رأيًا نحويًّا بعضها يُذكر في كتب النحو دون نسبة، أو يُنسب إلى نحويِّين أقل شأنًا من ابن كيسان.

وقد تردَّد في إعرابات ابن كيسان مصطلحات نحوية كثيرة، وقد تحريت ألا أذكر إلا ما ترجح عندي أنه من لفظه، والناظر في هذه المصطلحات يرى فيها مصطلحات بصرية وأخرى كوفية، كما استعمل مصطلحات نحوية قديمة قَلَّ استعمالها عند النحويين المتأخرين.

المصادر والمراجع

-(ابن كيسان النحوي) لمحمد بن محمود الدعجاني، رسالة (ماجستير) في جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم اللغة والنحو والصرف، سنة ١٣٩٨.

-(ابن كيسان النحوي، حياته، وآثاره، وأراؤه) د. محمد إبراهيم البنا، طبعتها دار الاعتصام، بمصر، سنة ١٣٩٥، ثم أعاد نشرها في مجموع (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.

-(ابن كيسان وأثره في الدراسات النحوية) لمحمد أبو بكر بعيج، رسالة (ماجستير) في جامعة القاهرة، دار العلوم، قسم النحو والصرف والعروض، سنة ١٩٧٨م،

-(أبو الحسن بن كيسان، وآراؤه في النحو واللغة) لعلي مزهر الياسيري، رسالة (ماجستير) في جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، سنة ١٩٧٦م، وقد طبعتها دار الرشيد، في بغداد، سنة ١٩٧٩م.

-ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان، تحقيق رجب عثمان، مكتبة الخانجي بمصر، ط١، ١٤١٨.

-إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، المطبوع باسم (معجم الأدباء)، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٤٠٠/ ١٩٨٠م.

-الأصول في النحو، لأبي بكر ابن السراج، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٥.

- الأضداد، لمحمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبـو الفضـل إبـراهيم، دائرة المطبوعات والنشر في الكويت، ١٩٦٠م.
- إعراب القرآن، لأبي جعفـر النحـاس، تحقيـق زهـير زاهـد، عـالم الكتـب، بيروت، ومكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م.
- أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو بن الحاجب، تحقيق فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ودار عمار، عمان، ١٤٠٩/ ١٩٨٩م.
- أمـالي ابـن الشـجري، لهبـة الله الحسـني العلـوي، تحقيـق محمـود محمـد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٣/ ١٩٩٢م.
- إنباه الرواة على أنباء النحاة، لأبي الحسن القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافة ببيروت، ط ١، ١٤٠٦/ ١٩٨٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لكمال الدين أبي البركات الأنباري، المكتبـة العصرية، بيروت، ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابـن مالـك، لابـن هشـام الأنصـاري، طبعـة دار الفكر، بيروت، مع عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمـد محيـي الدين عبد الحميد.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني، تحقيـق محمـد عبـدالمنعم خفـاجي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٠.
- الإيضاح في شرح المفصل، لابن الحاجـب، تحقيـق الـدكتور موسـى بنـاي العليلي، وزارة الأوقاف العراقية، بغداد، ١٩٨٢م.

- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، حققه عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣/١٩٩٣م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، بيروت، ط٢.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي، لابن أبي الربيع، تحقيق عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧/١٩٨٦م.
- البغداديات = المسائل المشكلة، لأبي علي الفارسي، تحقيق صلاح الدين السنكاوي، مطبعة العاني، بغداد، وزارة الأوقاف العراقية، ١٩٨٣م.
- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات الأنباري، تحقيق طه عبد الحميد ومصطفى السقا، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٤٠٠/١٩٨٠م.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ العلماء النحويين لابن مسعر، تحقيق عبدالفتاح الحلو، دار هجر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٢.
- تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٠١/١٩٨١م.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت.
- التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء العكبري، تحقيق محمد علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي بمصر، ١٣٩٦.
- تذكرة النحاة، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦.

- التصريح بمضمون التوضيح، لخالد الأزهري، وعليه حاشية يس، وعدت إلى طبعتين: الاولى طبعة عيسى البابي، القاهرة، وهي الأصل وأنص على غيرها، والثانية التي حققها عبدالفتاح بحيري، نشر الزهراء لإعلام العربي بالقاهرة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣.
- تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)، لأبي إسحاق الثعلبي، تحقيق أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.
- التفسير الكبير= مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١.
- تفسير ابن كثير، لأبي الفداء بن كثير الدمشقي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١/١٩٨١م.
- تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها، لابن كيسان، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، نشره في (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لناظر الجيش، تحقيق د. على فاخر وآخرين، دار السلام بمصر، ط١، ١٤٢٨.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، لابن أم قاسم المرادي، تحقيق عبد الرحمن سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط ٢.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تصحيح أحمد البردوني، مكتبة الرياض الحديثة.
- الجنى الداني في حروف المعاني، لابن أم قاسم المرادي، تحقيق فخر الدين

قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣/١٩٩٢م.

- الجواهر لجامع العلوم الباقولي، وهو مطبوع باسم إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، ط٣، ١٤٠٦.

- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، لمحمد الخضري، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨/١٩٨٧م.

- حاشية الدسوقي على المغني لابن هشام، لمحمد عرفة الدسوقي، (نُسبت في المطبوع إلى ابنه مصطفى)، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

- شرح الدماميني على المغني (تحفة الغريب)، مطبوع بهامش حاشية الشمني (المنصف من الكلام)، المطبعة البهية بمصر.

- حاشية الشهاب = عناية القاضي وكفاية الراضي، لشهاب الدين الخفاجي، اعتناء عبدالرازق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

- حاشية زاده (حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي)، دار صادر، بيروت.

- حاشية الصبان على شرح الأشموني، لمحمد بن علي الصبان، صححه مصطفى حسين أحمد، دار الفكر، بيروت.

- الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، حققه قهوجي وحويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٤.

- الخصائص في العربية، لأبي الفتح بن جني، تحقيق محمد النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٤/ ١٩٩٤م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، للمالقي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي، صححه علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥/ ١٩٩٤م.
- سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥/ ١٩٨٥م.
- شرح التسهيل، لابن مالك الأندلسي، تحقيق محمد عطا وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور، تحقيق صاحب أبو جناح، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة
- شرح السيرافي لكتاب سيبويه، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، بتحقيق لفيف من الباحثين.

- شرح شافية ابن الحاجب، لرضي الدين الإستراباذي، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢/١٩٨٢م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لأبي بكر الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط ٤، ١٤٠٠.
- شرح الكافية الشافية، لابن مالك الأندلسي، تحقيق علي معوض وآخر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.
- شرح الكافية للرضي، لرضي الدين الإستراباذي، تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة بنغازي.
- شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، دار صادر، مصورة من الطبعة المنيرية.
- شرح المقدمة الجزولية الكبير، للشلوبين، تحقيق د. تركي العتيبي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤١٣.
- شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام الأنصاري، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١١، سنة ١٣٨٣.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط ٢.
- عقود الزبرجد في إعراب الحديث، للجلال السيوطي، حققه سلمان القضاة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤/١٩٩٤م.

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣.
-الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمداني، تحقيق محمد النمر وآخر، دار الثقافة، الدوحة، ط ٢، ١٤١١.
-الفصول المفيدة في الواو المزيدة، لصلاح الدين العلائي، تحقيق حسن الشاعر، دار البشير، عمان، ط ١، ١٤١٠.
-الفهرست لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨.
-الكامل، لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٦/١٩٨٦م.
-كتاب سيبويه (الكتاب)، لسيبويه، طبعة بولاق في المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣١٧، صورة صورتها دار صادر، بيروت، وعدت أحياناً إلى طبعة عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨/١٩٨٨م، فأنصّ عليها.
-الكشاف، لأبي القاسم الزمخشري، خدمه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥/١٩٩٥م، وعدت أحياناً إلى طبعة مصطفى البابي بمصر، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢/١٩٧٢م، فأنصّ عليها.
-كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، لجامع العلوم الباقولي، تحقيق محمد الدالي، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق.
-اللباب في علل البناء والإعراب، للعكبري، تحقيق غازي طليمات، دار الفكر المعاصر ببيروت، ط ١، ١٤١٦.

-لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.
-اللمع في العربية، لابن جني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥م.
- ما أعربه الكسائي من القرآن الكريم جمعًا ودراسة، رسالة عالمية، لسليمان بن عبدالعزيز العيوني، في جامعة الإمام، كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة.
-مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
-مجالس ثعلب، لأبي العباس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة.
-المُجيد في إعراب القرآن المَجيد، للصفاقسي، تحقيق موصى محمد زنين، منشورات كلية الدعوة ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
-المحتسب، لابن جني، تحقيق علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، دار سزكين، ط ٢، ١٤٠٦.
-المحرر الوجيز، لابن عطية الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٣/١٩٩٣م، وعدت أحياناً إلى طبعة المجلس العلمي بفاس، فأنصّ عليها حينئذٍ.
-المحلى (وجوه النصب)، لأبي بكر بن شقير البغدادي، تحقيق فائز فارس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨.

- مختصر الفرق بين السين والصاد لابن كيسان، اختصره أبو عبدالله محمد بن أحمد، ابن القماح (ت ٧٤١)، تحقيق أستاذنا الدكتور تركي بن سهو العتيبي، ونشره في مجلة الدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الثالث، ١٤٢١.
- المسائل العضديات
- المسائل النحوية والصرفية التي تحتمل وجهين أو أكثر في كتاب سيبويه لرشيد الحربي، دار المجتمع بجدة.
- المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق محمد بركات، مركز البحث بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠.
- مشكل إعراب القرآن، لمكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٤٠٨.
- معاني الحروف للمجاشعي، المنسوب إلى أبي الحسن الرماني، تحقيق عبدالفتاح شلبي، دار الشروق بجدة، ط٣، ١٤٠٤.
- معاني القرآن، لأبي الحسن الأخفش، حققه فائز فارس، دار البشير، ودار الأمل، ط ٣، ١٤٠١/ ١٩٨١م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا الفراء، تحقيق أحمد نجاتي ومحمد النجار، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٠م.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨/ ١٩٨٨م.
- معاني النحاس لأبي جعفر النحاس، تحقيق محمد الصابوني، نشر جامعة أم

القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

- معلقة عمرو بن كلثوم بشرح ابن كيسان، تحقيق د. محمد البنا، نشره في (دراسات ونصوص لغوية)، طبعته المكتبة المكية، مكة المكرمة، سنة ١٤٢٧.

- مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، حققه مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٢.

- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم بدمشق، ط ١، ١٤١٢.

- المفصل في العربية، للزمخشري، تحقيق د. علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- المقتصد في شرح التكملة لعبدالقاهر الجرجاني، رسالة عالية لأحمد بن عبدالله الدويش، جامعة الإمام، كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة.

- المقتضب، لأبي العباس المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

- منازل الحروف، لأبي الحسن الرماني، تحقيق إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمّان، ١٩٨٤م..

- منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبوع مع شرح شذور الذهب.

- منهج السالك، لأبي حيان، طبعة سدني كينر، هيوماتن، ١٩٤٧م.

- الموفقي حققه د. عبدالحسين الفتلي وهاشم شلاش، ونشراه في مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الثاني، ١٣٩٥.
- النحو وكتب التفسير، لإبراهيم عبد الله رفيدة، المنشأة العامة للنشر، طرابلس، ليبيا، ط ٢، ١٩٨٤م.
- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير ابن الجزري، تصحيح علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت.
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، مطبوع مع كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للحاج خليفة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧/١٩٨٧م، وعدت أحياناً إلى طبعة الخانجي، بتصحيح محمد بدر الدين النعساني، ط ١، ١٣٢٧هـ، فأنص عليها.
- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين الصفدي، تحقيق أحمد الأناؤوط وآخر، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠.